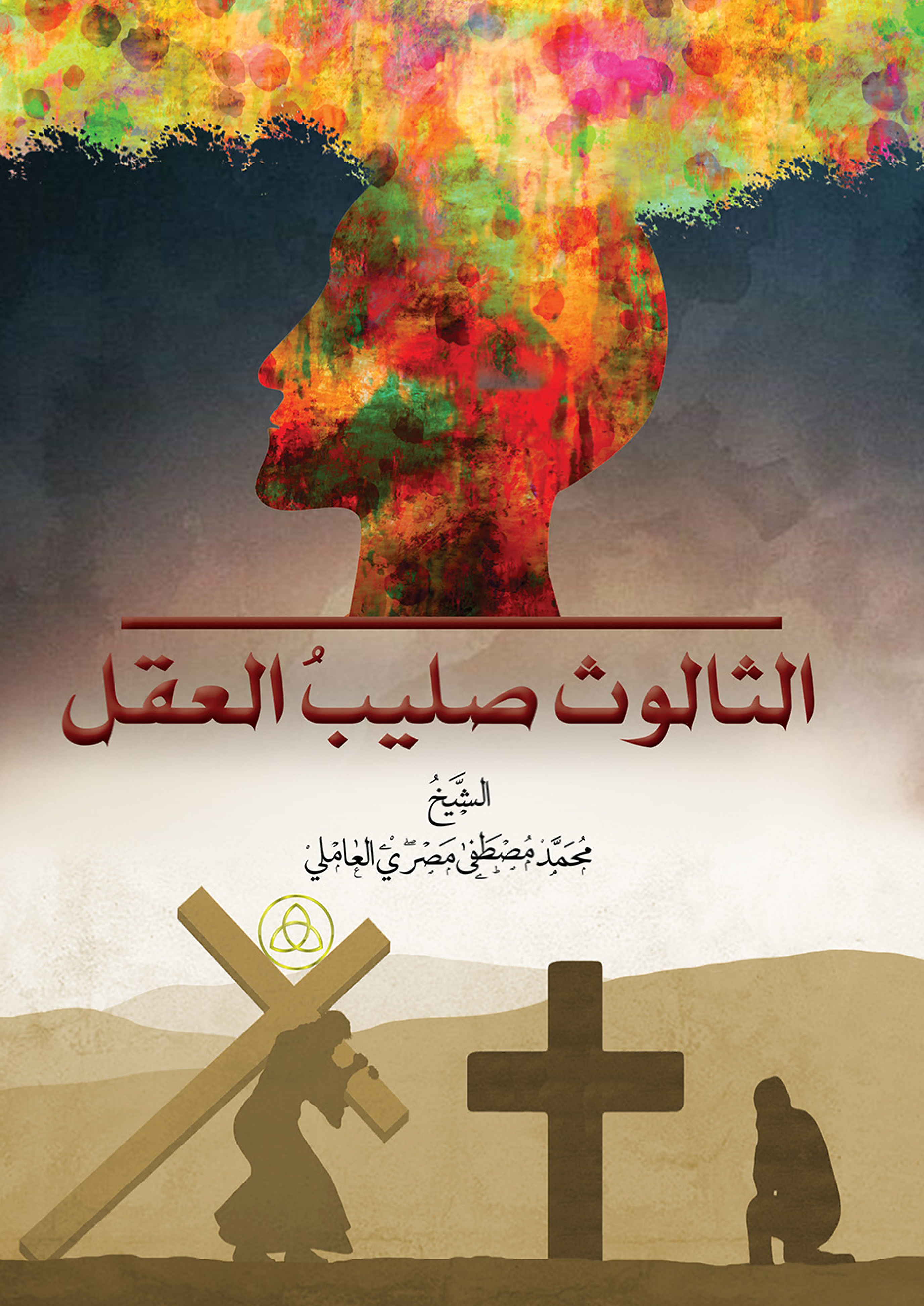


الثالوث صليبُ العقل

الشَّيخُ
مُحَمَّدُ مُصطَفى مِصرِيّ العامِلِيّ

الثالوث
صليب العقل

سلسلة العلم والإيمان (٦)

الثالوث صليبُ العقل

الشَّيخُ مُحَمَّدْ مُصطَفى مَصرِيْ العامِلي

mohammad@masrilb.net

منشورات

الجمعيّة العامليّة لإحياء التراث

الطبعة الأولى

بيروت، لبنان ٢٠٢٠ م

للحصول على الكتاب:

من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢

من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

مقدّمة: العقلُ والدّين

شَعْبٌ لاَ يَعْقِلُ يُصْرَعُ[1]: فَقَرَةٌ ذهبيّةٌ من سِفرِ هوشَع، أحد أنبياء العهد القديم من الكتاب المقدّس، تُرشِدُ إلى أهميَة التَعَقُّل في مسيرةِ الشُّعوب، فدونَهُ يُصرَعُ الناس، وبالتَّعَقُّل يتسامى العبدُ ويرتقي في مدارج الكمال، كما ينقل النبيّ أشعياء عن الله تعالى، وهو نبيٌّ آخر من أنبياء العهد القديم: **هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا**[2].

لا يُخَالِفُهم في ذلك نبيُّ الله سليمان عليه السلام، بحسب العهد القديم أيضاً، حيث اشترط دخول الحكمة في القلب لكي يصير العقلُ حافظاً للعبد، فقال: إِذَا دَخَلَتِ الحِكْمَةُ قَلْبَكَ، وَلَذَّتِ المَعْرِفَةُ لِنَفْسِكَ، **فَالعَقْلُ يَحْفَظُكَ، وَالفَهْمُ يَنْصُرُكَ**[3].

العقلُ مُجَدَّداً هو الحافظ إذاً حيث: **فِي شَفَتَيِ العَاقِلِ تُوجَدُ حِكْمَةٌ، وَالعَصَا لِظَهْرِ النَّاقِصِ الفَهْمِ**[4].

لكن يا تُرى: **من هو الناقِصُ الفَهمِ الذي يستحقُّ العصا؟**

هل العقلُ هو رفيقُ دَربِ الإنسان في أمور دُنياه دون دينه؟

هل نستفيدُ من عقولنا في تدبير حياتنا الدنيا، **ويَرتاحُ العقل جانباً عندما نخوضُ في أمور الدّين؟**

---

(١) هوشع ٤: ١٤.

(٢) أشعياء ٥٢: ١٣.

(٣) الأمثال ٢: ١٠-١١.

(٤) الأمثال ١٠: ١٣.

هل وَهَبَنا اللهُ العقلَ لنستفيد منه في العاجلة دون الآجلة؟ أم كان الثناءُ على العقل ومَدحُهُ شاملاً لأعمال الدّارَين؟

إذا ما اشتبه الأمر على من يعتقد بالكتاب المقدَّس فلم يُدرِك حدود ذلك، ويَمَّم وجهَهُ شَطرَ العهد القديم، وجد فيه ما يُرشِدُ إلى أنّ **القلوب إن حادت عن التعقُّل يوماً خرجت عن دين الله تعالى** وآمنت بآلهةٍ أخرى، فها هو ينفي الفهم والمعرفة والإبصار والتَعَقُّل عمّن يصنع لنفسه صنماً ويجعله إلهاً يصلي له، فيقول: وَبَقِيَّتُهُ **قَدْ صَنَعَهَا إِلَهًا، صَنَمًا لِنَفْسِهِ!** يَخُرُّ لَهُ وَيَسْجُدُ، وَيُصَلِّي إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «**نَجِّنِي لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهِي**». **لاَ يَعْرِفُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ لأَنَّهُ قَدْ طُمِسَتْ عُيُونُهُمْ عَنِ الإِبْصَارِ، وَقُلُوبُهُمْ عَنِ التَّعَقُّلِ**[١].

فكما نبّه العهد القديم على أهميّة العقل مراراً في أمور الدنيا حيث جعل العقلاء رؤساء: هَاتُوا مِنْ أَسْبَاطِكُمْ **رِجَالاً حُكَمَاءَ وَعُقَلاءَ وَمَعْرُوفِينَ، فَأَجْعَلُهُمْ رُؤُوسَكُمْ**[٢]، وأمر الملوك بالتعقُّل: فَالآنَ يَا **أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا**[٣]، ومَدَحَ الحكمة والفهم: الحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ. فَاقْتَنِ الحِكْمَةَ، **وَبِكُلِّ مُقْتَنَاكَ اقْتَنِ الفَهْمَ**[٤].

كذلك عدَّ الحماقة خطيّة: **فِكْرُ الحَمَاقَةِ خَطِيَّةٌ**[٥]، والخلاصُ من الخطيّة ونيلُ الآخرة إنّما يكون بالتَعَقُّل والفِطنة، فأرشد إلى أن **العاقل هو الذي يفطن ويتأمل**

(١) أشعياء ٤٤: ١٧-١٨.

(٢) التثنية ١: ١٣.

(٣) المزامير ٢: ١٠.

(٤) الأمثال ٤: ٧.

(٥) الأمثال ٢٤: ٩.

آخرته، فيسلك سبيل النجاة دون سواه: «إِنَّهُمْ أُمَّةٌ عَدِيمَةُ الرَّأْيِ وَلاَ بَصِيرَةَ فِيهِمْ. **لَوْ عَقَلُوا لَفَطِنُوا بِهذِهِ وَتَأَمَّلُوا آخِرَتَهُمْ**[١].

لم يخالف الإنجيلُ التوراةَ في ذلك، فحثَّ على كمال الذِّهن، حيث قال: أَيُّهَا الإِخْوَةُ، **لاَ تَكُونُوا أَوْلاَدًا فِي أَذْهَانِكُمْ**، بَلْ كُونُوا أَوْلاَدًا فِي الشَّرِّ، **وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ**[٢].

لا تكونوا أولاداً في أذهانكم: الخطابُ للكبار وليس للأطفال، فهل يمكن أن يكون الكبيرُ ولداً في ذهنه؟

بالطبع، **لأنّ العقلَ يُمكن أن يُخدَع، ويمكن أن يُعطَّل، فلو عُطِّلَ أو خُدِعِ صار مُماثِلاً لعقل الطفل غير المُدرِك، فيصير الكبيرُ صغيراً في ذهنه وفكره وإدراكه**، مَلوماً على أفعاله، وقد نبّه الإنجيلُ أتباعَه من **كثرة المخادعين**، فهؤلاء ليسوا قِلَّةً بل كُثُرٌ إلى درجةٍ دعت الإنجيل إلى التحذير منهم: فَإِنَّهُ **يُوجَدُ كَثِيرُونَ** مُتَمَرِّدِينَ يَتكَلَّمُونَ بِالبَاطِلِ، **وَيَخْدَعُونَ العُقُولَ**[٣].

إذاً ما السبيل إلى النجاة من هؤلاء؟

ليس هناك من سبيلٍ سوى التعقُّل بعيداً عن الاحتيال والخداع والغشّ، يقول بطرس: **اشْتَهُوا اللَّبَنَ العَقْلِيَّ العَدِيمَ الغِشِّ** لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ[٤].

اللبن العقليّ: تشبيهٌ جميلٌ بَديعٌ يشير إلى لزوم مصاحبة العقل في كلّ مرحلة

---

(١) التثنية ٣٢: ٢٨-٢٩.

(٢) كورنثوس الأولى ١٤: ٢٠.

(٣) تيطس ١: ١٠.

(٤) بطرس الأولى ٢: ٢.

من مراحل النموّ النفسيّ والروحيّ والفكريّ التي لا تنقطع، شرط أن يكون هذا اللبن العقلي عديم الغشّ كلَبَن الأمّ، غير متأثّرٍ بأفكارٍ مُسبَقةٍ مُنحَرِفَةٍ عن جادّة الصراط المستقيم.

إذاً، العقلُ هو رفيق درب الإنسان في رحلته نحو الله سبحانه وتعالى، لأنّه بالعقل عرف ربّه، وعرف أن هذا الربّ كاملُ الصفات، غير متّصفٍ بشيء من النقائص.

أمّا القرآن الكريم، فقد ذكر العقل ما يقرب من خمسين مرّة، فعدّ الذين لا يعقلون شرّ من يَدُبُّ على الأرض من خلق الله: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[1].

وذَمَّ اتّباعَ الآباء لو كانوا لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا الفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا** وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[2].

اتّباعُ الآباء هنا كان مقابلاً لاتِّباع ما أنزل الله تعالى، فلو ذهب الآباء إلى عقيدةٍ باطلةٍ مخالفةٍ للعقل كانوا مصداقاً للآية الشريفة، ولا ينبغي أن يكون اتّباعهم مُقَدّماً على رسالة السماء مع عدم تعقُّل هؤلاء الآباء، وإلا صار مُتَّبِعُهم مصدقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا **لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[3].

---

(١) الأنفال٢٢.

(٢) البقرة ١٧٠.

(٣) الملك١٠.

اتّفقت الكُتُبُ الثلاثةُ إذاً على أهميّة العقل والتعقُّل، وعدم مفارقة أحكامه، وإلا وقع الإنسان في مهاوي الضلال والجهالة، وصار لِجَهَنَّمَ حطباً.

مُدرَكاتُ العقل وأحكامُه التي حثّت هذه الكتبُ على اتّباعها هي **المسائل القطعية بلا شك**، لأنّ عليها المعوّل في أمور الاعتقاد ومصائر العباد، فمُدرَكاتُ العقل الظنيّة في أمّهات المسائل الاعتقادية وفي أهم قرارات العباد في حياتهم غير ذي قيمة، وقد قال القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا**﴾[1].

ما تقدّم هو **أداةٌ قويةٌ تُرشِدُ لها الكتب الثلاثة**، فيحثُّ كلُّ واحدٍ منها أتبَاعَهُ على التمَسُّك بهذه القاعدة المتينة حفظاً للنفس من الهلاك، وصوناً للإنسان من الانحراف.

وعليه فلا بدّ أن يكون العقلُ رفيقَنا.. حينما نغوص في بحث الثالوث، وموقف العقل منه.

فهل يُرشِدُ العقلُ إلى الثالوث؟!

وإن لم يُرشد:

هل يقبلُ العقلُ الثالوث؟!

وإن لم يقبل:

هل لنا أن نعتقد به؟! أم نَصيرُ ممن لا يعقِل فيُصرع؟!

هذا ما نحاول البحث عنه في هذا الكتاب، مُتَجَنِّبِين ما حذّر منه الكتاب

---

(١) يونس ٣٦.

المقدّس بقوله: **أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ**، حَسَبَ أَرْكَانِ العَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ المَسِيحِ[1].

مُستَعِينين بالله الواحد الأحد، ربّ اليهود والنصارى والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين

محمد مصطفى مصري العاملي

٢٣-٣-٢٠٢٠ م / نهاية شهر رجب ١٤٤١ للهجرة

---

(١) كولوسي ٢: ٨.

فصل١: التوحيد وصفات اللّه

دلَّ العقلُ على وحدانيّة الله تعالى، وعلى اتّصافه بصفات الكمال، وتنزُّهه عن صفات البشر.

١. التوحيد

وأرشدت الكتب السماوية الثلاثةُ[١] العقلَ إلى وحدانيّة الله تعالى إن خَفِيَت عليه وانطَمَسَت معالِمُهَا، لتُعيدَه إلى حظيرة المعرفة التوحيديّة المبنيّة على التَطَابُق بين الوحي والعقل. وقد **التزم النصارى بعقيدة التوحيد**، وكلماتهم في ذلك كثيرةٌ، منها ما ورد في في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية، ففيه: **الإيمان المسيحي يعترفُ أنه لا يوجد إلا إله واحد، واحدٌ بطبيعته، وجوهره، وإنيّته**[٢].

والتوحيدُ بحقيقته ينافي التَعَدُّد، فإذا ثبتَ التوحيدُ بطل كلُّ تعدُّدٍ في الله تعالى، وبما أنّ الوحدة المُطلقة تُنافي التعدّد مطلقاً، فلا بدّ من ردّ كل ما يخالفها وعدم الإقرار بأي نوع من أنواع التعددية.

ولازمُ القولِ بالتوحيد عند اليهود والنصارى والمسلمين هو اتفاق كلمتهم، لو لم يختَلِفُوا بعد ذلك في تفسيره، ويذهب النصارى إلى وحدانية الجوهر.

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وقد تعرّضنا للنصوص الدالة على ذلك من هذه الكتب الثلاثة في كتابنا (الثالوث والكتب السماوية).

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٦ فقرة٢٠٠.

٢. امتناع إدراك كنهه

دلّ العقلُ على امتناع احاطة المحدود بغير المحدود، ولمّا كان الله تعالى غير محدودٍ بحسب عقيدة النصارى[١]، فقد وافَقونا على القول **بامتناع إدراك كنه الله تعالى والإحاطة بذاته المقدّسة.** ومن كلماتهم في ذلك سوى ما يأتي في مطاوي الكتاب في سائر الفصول:

الإحاطة باللّه مستحيلة

يقول القدّيس توما الأكويني: **ان الاحاطة بالله مستحيلةٌ على كل عقلٍ مخلوق،** وإدراكه بالعقل على أيّ وجهٍ كان سعادةٌ عظيمة.. **ليس في قوة عقلٍ مخلوقٍ أن يبلُغَ في إدراك الذات الإلهية تلك الحال الكاملة** التي بها تقبل الإدراك في حدّ نفسها[٢].

ويقول القدّيس يوحنا الدمشقي: من ثمّ أُجِيبَ على السؤال: ما هو الله؟ **باستحالة الكلام عن جوهره.** وهذا المنطق أقرب إلينا جداً من تَخَيُّل جميع الصفات، ذلك لأن الله ليس واحداً من الكائنات، لا لأنه ليس كائناً، بل **لأنه فوق جميع الكائنات،** وهو فوق الوجود نفسه.. **في التكلم عن الله، الإقرارُ بعدم المعرفة هو الأفضل..** لقد اتّضح اتضاحاً وافياً أن الله موجودٌ **وأن جوهره لا**

---

(١) كما سيأتي في الباب الرابع من هذا الفصل، وقد بحثنا الأمر بشكل مفصل في كتابنا (عرفان آل محمد عليهم السلام) فليراجع.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص١٣٥.

يُدرك[١].

لن يتوصل أحدٌ الى اكتشافه

يقول القديس غريغوريوس النزينزي: **الله في طبيعته وفي جوهره لم يتوصّل أحدٌ قطّ ولن يتوصلَ أحدٌ إلى اكتشافه**.. فإن كان أحدٌ قد عرف الله أو عُدّ عارفاً لله فليست معرفته سوى أنه تعرّض للنور أكثر من غيره[٢].

ويقول عوض سمعان: **أما كُنهُ ماهيّة الله، فلا قدرة لنا على فحصه أو إدراك شيء عنه**، بل ولا يصح لنا أن نتطاول لفحصه أو إدراكه.. فقدرتنا محدودةٌ والله مُنَزَّهٌ عن الحدود، **وأنّى للمحدود أن يدرك كلّ شيء عن المنزّه عن الحدود؟!**[٣].

معرفة جوهر الله قمة الخَبَل

يقول القديس يوحنا ذهبيّ الفم: **لا يمكن البشرُ إدراكَ الله.. الإكبابُ على معرفة الله في جوهره هو قمّة الخَبَل.. أليس هذا إذن قمّة العَتَه** أن يدّعي أُناسٌ أقلُّ نعمةً من هذا النبيّ سبرَ **جوهرِ الله ذاته؟**.. إن الحكمة ممتنعةُ الإدراك على النبي، **أفيكون الجوهرُ لدينا قابلاً للإدراك؟ أليس ثمّة خبلٍ جَليٍّ وواضح؟ إن عظمته لا حدّ لها، وأنت تدّعي الإحاطة بجوهره؟**[٤].

ويقول في محلٍّ آخر: لقد برهنتُ حديثاً أن **إدراك جوهر الله يقع خارج**

---

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٦٠-٦١.

(٢) الخطب اللاهوتية ص٥٨.

(٣) الله في المسيحية ص٩٩.

(٤) في أن الله لا يمكن ادراكه ص٦٠-٦١.

متناول حكمة البشر والملائكة ورؤساء الملائكة، وفي كلمة واحدة كل الخليقة[١].

كل ما نتصوره عن الله فليس الإله

يقول القس إيدن ويلسون توزر: عندما نحاول أن نتخيّل شبه الله فيجب علينا أن نستعمل ما ليس هو الإله كوسيلة تستخدمها عقولنا، **ولذلك فكل ما نتصوّره عن الله، فليس الإله مثله، لأن الصورة التي تخيَّلناها قد تكوَّنت مما خلقه الله، وما خلقه الله ليس هو الله**[٢].

العقل فشل في معرفته

يقول توماس ف. تورانس: لنعترف بصمتنا أن **الكلمات لا تستطيع أن تصفه، وليعترف العقل أنّه فشل في محاولته لإدراك الله**، وفشل في سعيه لتعريف الله[٣].

يقول القس الدكتور لبيب ميخائيل: **العقلُ الإنسانيّ يعجز تماماً عن فهم واحتواء ذات الله**.. لم يستطع الإنسان أن يصل بقدراته العقلية إلى معرفة حقيقة الذات الإلهية.. **وكيف يمكن للمحدود أن يحتوي غير المحدود؟**[٤].

هو فَشَلٌ في المعرفة المطلقة لا في مُطلَقِ المعرفة، فَشَلٌ في معرفة الإحاطة، لا في معرفة وجوده واتّصافه بصفات الكمال.

(١) مساوٍ للآب في الجوهر ص١٤.

(٢) معرفة القدوس ص٨.

(٣) الإيمان بالثالوث ص١١٧.

(٤) كتاب: لا إله إلا الله ص٣-٤.

٣. نفيُ التركيب

ذهب النصارى أيضاً إلى نفي تركيب الله تعالى، ومن كلماتهم في ذلك:

الله بسيط لا تركيب فيه

يتحدث القدّيس يوحنا ذهبيّ الفم عن بولس لمّا قال: (إننا نعلم علماً ناقصاً)، فيشرح عبارته قائلاً: وقوله (ناقصاً) لا يعني أنه يعلم قسماً من الجوهر الإلهيّ، ويجهل الآخر (**لأن الله بسيط**)، ولكن لأنه **يجهل من هو الله في جوهره، رغم أنه عارف بوجوده**[١].

ويقول: **فالله في الواقع بسيطٌ لا تركيب فيه ولا صورة له**[٢].

الله بسيط غير مركب

يقول القدّيس يوحنا الدمشقي: **إن الإله بسيطٌ ولا تركيب فيه**[٣].

ويقول القدّيس كيرلس الاسكندري: **الله بسيطٌ في طبيعته وغير مُركّب**[٤].

ويقول القديس توما الأكويني عن الله تعالى: **انه ليس مركباً بحالٍ، بل بسيطاً من كل وجه.. لأن كل مركّب متأخرٌ عن أجزائه ومتوقف عليها**[٥].

---

(١) في أن الله لا يمكن ادراكه ص٦٣.

(٢) في أن الله لا يمكن ادراكه ص١٢٥.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٤.

(٤) الكنوز في الثالوث القدوس والمساوي ص٧٢.

(٥) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٤٧.

ويقول: **ليس يمكن أن يكون الله داخلاً بنحو من الأنحاء في تركيب شيءٍ.. يستحيل أن يكون الله جزءَ مركّبٍ**[١].

ويقول: ليس يمكن أن يكون الله متغيّراً بوجه من الوجوه.. كلُّ متحرّك يعتبر فيه نوع من التركيب.. **الله ليس مُرَكّباً بنوعٍ من الأنواع، بل هو بسيطٌ من كل وجه**، فإذاً واضحٌ أن الله ليس يمكن أن يتحرّك[٢].

ويقول عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: **والله كائن بسيط أي غير مركّب**، خالص تماماً من أيّ تمازجٍ بين روحٍ ومادة، وفكر ومدى، وكيان وصفات، وعقل وإرادة[٣].

ويقول القس إيدن ويلسون توزر: ونظرية الوحدة الإلهية لا تعني فقط أنه يوجد إله واحد بل تعني أيضا **أن الله بسيط، غير معقد، متّفق مع ذاته**[٤].

يقول الدكتور القس عماد شحادة: **لا يمكن للكائن الضروري أن يكون مركّباً، أو مكوّناً من أجزاء أو عناصر**[٥].

ويقول: الوحدانية وعدم التّركيب: **جوهر الله واحدٌ، غير مركّب من أجزاء، لأن المركب متحيّز بحيّز**، ومن الممكن أن يُدرَك أو يُرى، إذ إنه محدود

---

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٤٩.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٩٥.

(٣) بين العقل والإيمان ج٢ ص٢١.

(٤) معرفة القدوس ص١٥.

(٥) الآب والإبن والروح القدس ص١٧.

الأجزاء مُركّبٌ منها[١].

ويقول عوض سمعان: يتبين لنا أن المسيحية نادت منذ نشأتها بوحدانية الله **وعدم وجود تركيب فيه**[٢].

فإن قيل: مع تصريحات علماء النصارى بعدم التركيب في الله تعالى، كيف يُنسَبُ لهم القول بالتركيب في كلمات أئمتكم؟

كما في حديث الإمام الرضا عليه السلام مع أبي قُرّة المحدّث: قَالَ أَبُو قُرَّةَ: وَإِنَّا روينَا أَنَّ الكُتُبَ كُلَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالنَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، صُفُوفٌ قِيَامٌ لِرَبِّ العَالَمِينَ، يَنْظُرُونَ **حَتَّى تَرْجِعَ فِيهِ لِأَنَّهَا مِنْهُ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْهُ فَإِلَيْهِ تَصِيرُ**.

قَالَ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: **فَهَكَذَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي المَسِيحِ إِنَّهُ رُوحُهُ جُزْءٌ مِنْهُ وَيَرْجِعُ فِيهِ.. تَعَالَى رَبُّنَا أَنْ يَكُونَ مُتَجَزِّياً أَوْ مُخْتَلِفاً** وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ وَيَأْتَلِفُ المُتَجَزِّي، لِأَنَّ كُلَّ مُتَجَزٍّ مُتَوَهَّمٌ، وَالكَثْرَةُ وَالقِلَّةُ مَخْلُوقَةٌ دَالَّةٌ عَلَى خَالِقٍ خَلَقَهَا[٣].

قلنا: إن النصارى وإن لم يصرّحوا بالتركيب بل صرحوا بخلافه، إلا أن هذا الكلام من **باب الإلزام بلوازم عقيدتهم** إمعاناً في الحُجّة، **إذ لا يمكنُ الجمعُ بين التوحيد حقيقةَ والتثليث إلا بالقول بالتركيب والأجزاء**، لأنّ القول بالتعدُّد مخالفٌ للتوحيد، والقول بالتوحيد والتثليث معاً على نحو الحقيقة فيه **جمعٌ بين النقيضين**.

ولما كان النقيضان لا يجتمعان، لَزِمَ من التثليث **القول بالتركيب والأجزاء**،

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٢٤.

(٢) الله في المسيحية ص٤١.

(٣) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج٢ ص٤٠٦.

فكان احتجاجاً عليهم بما يلزم من كلامهم، من ثَمَّ أنكروا هذا اللازم فنفوا التركيب في الله تعالى، والتزموا بالتعدُّد في الأقانيم أو الاشخاص حقيقةً وهو منافٍ للتوحيد، وجمعوا بين النقيضين لمّا زعموا عدم منافاته مع التوحيد، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

٤. نفي المحدوديّة والمكان

ذهب النصارى أيضاً إلى أن الله تعالى غير محدود، فاتّفقنا وإياهم على ذلك، ومن كلماتهم في نفي المحدودية عن الله تعالى:

الإله لا يُحدّ

يقول القدّيس يوحنا الدمشقي: **الإله إذاً لا يُحدّ ولا يُدرك، والشيء الوحيد الذي نُدركه عنه أنه لا يُحد ولا يُدرك**. وكل ما نقوله في الله للتوضيح يدل على على طبيعته، بل على ما هو حول طبيعته[١].

لا تحدّه حدود

يقول عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: **كيف يمكن للإنسان أن يعرف الله الذي لا تحدُّه حدودٌ ولا يُدركه أحد**، لأننا لا نستطيع أن نقيسه بحدود الزمن أو الأبد[٢].

ويقول القس الدكتور لبيب ميخائيل: لأن الله تعالت قدرته لا يخضع للكمّ

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٦٠.

(٢) بين العقل والإيمان ج١ ص٢٢.

والكيف.. **فهو غير المحدود**، الذي لا يمكن أن يحتويه عقلُ الإنسان المحدود[١].

سرمديٌّ دائمٌ غير محدود

يقول القس جون. ر. ستوت: الله أياً كان ومهما كان كائنٌ سرمديٌّ دائمٌ **وغير محدود، بينما نحن البشر كائنات فانيةٌ محدودة... إنّه فوق إدراكنا..** وعقولنا.. أقل من أن ترقى إلى فكر الله السرمدي[٢].

كليّ الوجود

يقول جون كلايد تارنر: إن الله كُلِّيُّ الوجود.. هناك عباراتٌ في الكتاب المقدس ظهرت وكأنما هي **تحصر وجود الله في مكانٍ معين**.. (في السماوات).. إن هذه العبارات يجب أن ننظر إليها **كتعابير رمزية تماماً** كتلك التي تتكلم عن ذراعيه أو يديه. **لا يمكننا أن نحصر الله بمكان أو في مكان**[٣].

كيف يحضر الله في الأماكن؟

يتّفق المسلمون والنصارى على أن الله تعالى في كلّ مكان، لكن لا يقصدون من ذلك وجود ذات الله تعالى في كلّ مكان لأن وجوده في المكان المُحَدّد تَحديدٌ له، وهو مُنَزّهٌ عن ذلك، وإلى هذا المعنى أشار الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عندما سُئِل: **أَيْنَ الله يَا مُحَمَّدُ؟**

---

(١) كتاب: لا إله إلا الله ص٢.

(٢) المسيحية الأصلية ص٩.

(٣) هذه عقائدنا ص٢٦.

قَالَ: **هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مَوْجُودٌ بِآيَاتِهِ**(١).

فالله في كلّ مكانٍ بآياته لا بذاته(٢)، وبإحاطته وإشرافه وقدرته، لذا فسّر الإمام الصادق عليه السلام قوله تعالى: وهُوَ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾: بِالْإِشْرَافِ والْإِحَاطَةِ والْقُدْرَةِ.

﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ ولا فِي الْأَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ ولا أَكْبَرُ﴾ **بِالْإِحَاطَةِ والْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ، لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِيهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ فَإِذَا كَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهَا الحوَايَةُ**(٣).

وأصرح من ذلك قول إمامنا الصادق عليه السلام حينما سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وهُوَ الله فِي السَّماواتِ وفِي الْأَرْضِ﴾.

قَالَ: **كَذَلِكَ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.**

قُلْتُ: **بِذَاتِهِ؟**

قَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ الْأَمَاكِنَ أَقْدَارٌ، **فَإِذَا قُلْتَ فِي مَكَانٍ بِذَاتِهِ لَزِمَكَ أَنْ تَقُولَ فِي أَقْدَارٍ وغَيْرِ ذَلِكَ**، ولَكِنْ هُوَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، **مُحِيطٌ بِمَا خَلَقَ عِلْماً وقُدْرَةً وإِحَاطَةً وسُلْطَاناً ومُلْكاً**، ولَيْسَ عِلْمُهُ بِمَا فِي الْأَرْضِ بِأَقَلَّ مِمَّا فِي السَّمَاءِ، **لَا يَبْعُدُ مِنْهُ شَيْءٌ والْأَشْيَاءُ لَهُ سَوَاءٌ عِلْماً وقُدْرَةً وسُلْطَاناً ومُلْكاً وإِحَاطَةً**(٤).

---

(١) التوحيد للصدوق ص٣١١.

(٢) وقد تعرّضنا لذلك في كتاب: عرفان آل محمد فصل٦ ص٦٨ فليُراجع.

(٣) الكافي ج١ ص١٢٧.

(٤) التوحيد ص١٣٣.

وذهب إلى هذا المعنى أو ما يقرب منه علماء النصارى أيضاً، ومن كلماتهم في ذلك:

يقول القديس توما الأكويني: ان الله فوق كل شيء بسموّ طبعه، وهو مع ذلك **موجودٌ في جميع الأشياء من حيث هو علّة وجود جميع الأشياء**[١].

ويقول: انه **موجودٌ في كل شيء على أنّه مؤتيه الوجود والقوة والفعل**[٢].

ويقول: انما يملأ جميع الأمكنة **بإفاضته الوجود على جميع المتمكنات المالئة لجميع الأمكنة**[٣].

ويقول القدّيس يوحنا الدمشقي: **ليس الله في مكان**.. مكان الله يفوق الطبيعة.. الله إذاً -الذي هو لا ماديّ وغير محدود- هو أيضاً ليس في مكان، بل هو مكانٌ لذاته، وهو يملأ الكل وهو فوق الكل وهو نافذٌ في الكل. ويُقال بأنّه تعالى في مكان، **ويقال مكان الله حيث يكون فعلُه فيه واضحاً**.. إذاً إن **ما يدعى مكان الله هو ذاك الذي له نصيبٌ أوفَرُ في فعله تعالى ونعمته**، لذلك (فالسماء عرْش له) لأن فيها الملائكة يتمِّمُون مشيئته.. ويُقال للكنيسة أيضاً مكان الله، لأنها مُخَصّصة لتمجيده[٤].

يقول الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى عن الله تعالى أنّه: **موجود في**

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٨٦.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٨٧.

(٣) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٨٨.

(٤) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٨.

كلّ مكان. حاضرٌ في كلّ مكانٍ دون أن يحصرَه أو يحُدَّهُ أو يحويه مكانٌ، هو كائن في الكلّ وخارجٌ عن الكلّ ويشمل الكلّ.. موجودٌ في كلّ مكان في وقت واحد **من غير أن يحصره مكان أو يحده زمان**. إنه الكامل والكامل وحده[١].

ويقول القس إيدن ويلسون توزر: ومع ذلك فما أكثر ما يبتعد عنا. **فهو حاضرٌ في كل مكانٍ بينما هو لا يحدّه مكان، إذ كلمة "المكان" تتعلّق بالمادة والمسافة، والله مستقلٌّ عن هاتين، فهو لا يخضع لزمانٍ أو حركةٍ** فهو قائمٌ بذاته بالكلية[٢].

ويقول: تعني العبارة **"كليّ الوجود" إن الله حاضرٌ في كلّ مكان**، هنا وبالقرب من كل واحد[٣].

ويزيدها كلها وضوحاً عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك عندما يؤكد أن **معنى حضوره في المكان هو تطويقه للمكان (بقوته القادرة)** حيث يصف الله تعالى بأنّه: أزليٌّ أبديٌّ **لا يحدُّه زمن**.. ثم إنّه كلي الحضور، كونه **غير محدود بأي مكان**، لكنه مع ذلك **يطوّق كلّ نقطةٍ من المكان بقوّته القادرة** على كلّ شيء والدائمة الحضور[٤].

---

(١) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص١٨

(٢) معرفة القدوس ص٢٥.

(٣) معرفة القدوس ص٦٤.

(٤) بين العقل والإيمان ج٢ ص٢١.

٥. نفي الجهل

يعتقد النصارى بعلم الله تعالى بكلّ شيء، ومن كلماتهم في إثبات المعرفة ونفي الجهل:

كليّ المعرفة

يقول جون كلايد تارنر في وصف الله أنه: **كلِّيُّ المعرفة**. إن الله إلهٌ كُلّيٌّ المعرفة، **وهو يعلم كل شيء، يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، وهو يعلم بكل شيء**[1].

٦. التنزيه عن صفات البشر

اتّفقت كلمة المسلمين والنصارى على تنزيه الله تعالى عن صفات البشر، لأن اتّصافه بصفات البشر يعني محدوديّته كالبشر، ولذا فإن كلّ نصٍّ توراتيّ أو إنجيليّ أو قرآنيٍّ يشير إلى تجسيم الله أو اتصافه بصفات البشر حَمَلَهُ المسيحيون والمسلمون على خلاف الظاهر، وقد صرّح بهذا جمعٌ من علماء النصارى، ومن كلماتهم في ذلك:

ليس جسماً وهو لا يرى

يقول القدّيس غريغوريوس النزينزي: **ليس الله في نظرنا جسماً، ولم يقم نبيٌّ**

(١) هذه عقائدنا ص٢٧.

ويَقُل بذلك أو يوافق على ذلك، وليست هذه العقيدة من حظيرتنا[١].

ويقول القديس توما الأكويني: **ان الله ليس بجسم**[٢].

ويقول: **يستحيل رؤية الله بحاسة البصر أو غيرها من المشاعر أو بقوّةٍ جارحةٍ حسّيّة اية كانت**[٣].

ان اللّه منزّه عن صفات البشر

يقول الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى: نُسِبَ إلى الله أشياء وسمّي بأسماء، سواءٌ في الكتب المقدّسة أو على فم الآباء والأنبياء، نُسِبَت له أشياء كثيرة مما يُدركها عقل البشر، بل تعبيرات بشرية مثل:

عيني الله.. أذني الله.. ذراع الله.. يمين الله.. فم الله.. قلب الله.. قدمي الله.. جلوس الله.. ومثل هذه التعابير البشرية التي هي **بعيدة كل البعد عن جوهر الله لأنّ الله ليس بجسد فيوصف.. وليس له أعضاء بشرية.. لا يُجَزَّأ ولا يُقَسَّم ولا يُحَدُّ شيء منه، فلا يُحَدُّ بصرُه في عينين، ولا يُحَدُّ سَمَعُهُ في أذنين**[٤].

نفي قياس اللّه بالبشر

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: **ان هؤلاء الناس الأغبياء يقيسون مولود الآب بمقاييسهم البشرية الذاتية**. وان اناساً يفكرون بمثل هذه الطريقة أنه

---

(١) الخطب اللاهوتية ص٤٨.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٦.

(٣) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص١٢٧.

(٤) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص١٠-١١.

لا يمكن أن يكون هناك ابن لله، فان هذا أمر يستحق العطف والرثاء! ولكن يلزم أن نستمر في سؤالهم وفضح أفكارهم![1].

وكلماتُ هذا القدّيس عجيبةٌ، فَمَن قاس الله على نفسه هو الذي قال أنّ لله ولداً، ولكن بما أنّه لا بد من تنزيه الله زعم أن هذا المولودَ أَزَليٌّ كالله تعالى!

والحال أنه **ينبغي تنزيهه تعالى عن أي مشابهة بخلقة بما فيها الولادة والأبوّة والبنوّة.**

٧. نصوصٌ جامعةٌ للصفات المتقدمة

في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية:

نحن نؤمن إيماناً ثابتاً، ونُثبت ببساطةٍ أنّه يوجد إلهٌ واحدٌ حقيقيّ، غير محدودٍ وغير متغيّر، وغير مُدرَك، كليٌّ القدرة، وفوق كل تعبير، آبٌ وابنٌ وروحٌ قدس: ثلاثة أقانيم، ولكن إنّيّة واحدة، وجوهرٌ واحدٌ أو طبيعةٌ كليّة البساطة[2].

ونحن نأخذ الإقرار بها دون الثالوث، لنكمل المحاكمة بناء عليه.

ويقول القديس يوحنا الدمشقي: أننا **نعرف ونقرّ أن الله لا بدء له ولا نهاية، أبديٌّ وأزليٌّ، غيرُ مخلوق، لا يتحوّل ولا يتغيّر، بسيطٌ وغير مركب، لا جسم له، لا يُرى ولا يُلمس ولا يُحد، ولا يقع تحت الحواس، لايستوعبه العقل، لا يُحصَر،**

(١) الشهادة لألوهية المسيح ص٣٥.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٦ فقرة٢٠٢.

لا يُدرَك، صالحٌ وعادلٌ ومُبدِعُ الخلائق بأسرها. قديرٌ وقابضُ الكلّ[١].

ويقول: **إذاً نؤمن بإله واحد، بُدءٍ لا بَدءَ له، غير مخلوقٍ ولا مولود، لا يزول ولا يموت، أبديٌّ، لا يُحصَر ولا يُحدّ ولا يُحاط به**، ولا تُحصَر قوّته، بسيطٌ وغير مركّب، لا جسم له، لا يسيل ولا ينفعل ولا يتحوّل ولا يتغيّر، لا يُرى.. صانع كل المخلوقات ما يُرى وما لا يُرى.. **لا يحيط به شيء وهو يحيط بكلّ شيء**.. وهو عالمٌ بكلّ الأشياء قبل كيانها[٢].

٨. ثمرة هذا الفصل

من ثمار هذا الفصل:

الثمرة الأولى: أنّ كلّ **ما ينافي توحيد الله تعالى فهو مردود**، أما معاني التوحيد فتأتي في الفصول القادمة.

الثمرة الثانية: أنّ إدراك كنه الله تعالى ممتنعٌ بالاتفاق، لذا لا يَصُحُّ انتقاصُ بعض النصارى من عقيدة المسلمين القائلين بعدم الإحاطة بالله تعالى، لموافقة النصارى لهم في ذلك.

الثمرة الثالثة: أنّ **كلّ ما أدى الى القول بتركيب الله تعالى، أو محدوديته في مكانٍ أو زمانٍ، أو نسبة الجهل له، أو اتّصافه بصفات البشر، فهو مردودٌ مرفوضٌ لمنافاته التوحيد.**

---

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٥٦.

(٢) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٦٥.

فصل٢: تاريخ الثالوث

منذ متى عَرفَ النصارى عقيدة الثالوث؟ ومن أين جاءت هذه العقيدة؟ وهل رافقت أيام المسيح الأولى؟ أم لم تُعرف بين النصارى إلا في مراحل متأخرة؟

أم أن ارتفاع المسيح الى السماء بحسب اعتقادنا، وقتله بحسب اعتقادهم فتح باباً لتغيير دعوته وعقيدته من التوحيد المطلق إلى التوحيد في الجوهر والتثليث في الاقانيم او الأشخاص؟

أسئلة تطرُق بالَ كلّ باحثٍ عن هذه العقيدة الغريبة، وقد كُتب حولها الكثير، ومن المناسب تكوين صورةٍ إجماليّة حول تاريخ هذه العقيدة في الديانة المسيحية بغضّ النظر عن مصدرها ومنشئها.

يعتقدُ معظمُ النصارى أن عقيدتهم بالثالوث هي عقيدة عيسى عليه السلام **والكتاب المقدس والنصارى الأوائل، وأنّهم قد أخذوها نقيّة صافيةً** من هذه المصادر، وبذلوا من أجلها الغالي والنفيس، لذا يتمسّك بها بعضُهم كما لو أنّها أعزّ ما يملك، وقد يبذل نفسه قرباناً في سبيل الحفاظ عليها.

لكنّ العودة إلى أعماق التاريخ تُبَيِّنُ أن **هذه العقيدة ليست عقيدة عيسى** عليه السلام، **ولا عقيدة الكتاب المقدّس**، إنما نشأت في مرحلة لاحقة، ونستعينُ لبيان ذلك بكلمات علماء النصارى أنفسهم.

يشير البابا بندكتوس السادس عشر (جوزيف راتزنغر) إلى أن بُنية قانون الإيمان المسيحي قد **تطوّرت على مراحل خلال قرنين من الزمان**، ليس منهما القرن الأول الذي عاش عيسى في الثلث الأول منه! فهذه العقيدة بصورتها الحالية قد تكوّنت بعد ذلك بفترة طويلة، حيث يقول: **لقد تكوّنت بُنية قانون إيمانننا بصورة**

إجمالية إبّان القرنين الثاني والثالث[١].

ولمّا كانت الأناجيل قد كُتبت بعد عيسى بعشرات السنين كما يقول النصارى، فإنّ العقيدة المسيحية قد تكوّنت بعد كتابة الأناجيل أيضاً وليس في أيامها نفسها، فيكون من الصعب جداً نسبة هذه العقيدة لعيسى عليه السلام، مع كثرة تصريحه في الكتاب المقدس بعبوديته لله تعالى وحاجته له.

ويشير بعض علماء النصارى إلى أن ذلك حصل في القرن الرابع حيث عُقِدَ المجمع المسكوني الأول، يقول توماس ف. تورانس: **وصار واضحاً للكنيسة في القرن الرابع،** أنه فقط عن طريق **فهم الإنجيل على أساس عقيدة الثالوث** القدّوس نستطيع أن ندرك تعليم إنجيل العهد الجديد عن المسيح والروح القدس، وأن ندرك جوهر الخلاص والصلاة والعبادة[٢].

لماذا استغرق الأمر مئات السنين حتى صار واضحاً عند الكنيسة أنّه لا بد من الاعتقاد بالثالوث؟! لو كان الثالوث دعوةَ عيسى بل أصلَها ولُبَّها وأساسَها فهذا يعني وضوح هذه العقيدة منذ أيامه عليه السلام، **فلماذا لم تصل الكنيسة إلى هذه القناعة في قرنها الأول؟**

يُجيب على ذلك القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس عندما يعترف أن **عيسى لم يعلن أيّ صيغة ثالوثية!** وإن ذهب إلى أنّه أعلن عن ألوهية الابن والروح القدس، وهي دعوى لم يقم عليها دليل، يقول القس: **لم يعلن الرب يسوع أي**

---

(١) مدخل الى الايمان المسيحي ص٤٨.

(٢) الإيمان بالثالوث ص٧.

صيغةٍ لاهوتيةٍ (قانونية) ثالوثية، ولكنه أعلن عن ألوهية الآب والابن والروح القدس في وضوحٍ وصراحة[١].

ويقول الدكتور القس عماد شحادة: **كان ترتلياونس (من القرن الثاني للميلاد) هو أوّل من صاغ كلمة (ثالوث)**[٢].

ويقول: **ظهرت عقيدة الثالوث رسمياً مع انعقاد المجامع الكنسية الأولى في** بداية التاريخ المسيحي.. وأوّلها كان **قانون الإيمان النيقاوي والذي تمّت صياغته عام ٣٢٥م**[٣].

وما من خلافٍ عندهم أن تعبير (الثالوث) من ابتكار اللاهوتيين، لكن الذي يستوقف الباحث هو كون هذا التعبير ناتجاً عن (تطوّر في فهم الوحي)، فليس فيما فهمه النصارى الأوائل ما دلّ على الثالوث معنىً ولا لفظاً، إنما كان هذا في مرحلة متأخرة.

يقول الاب فاضل سيداروس: **لم يقل يسوع إن الله (ثالوث)، فهذا التعبير من ابتكار اللاهوتيين وهو نتيجة تطوّر في فهم الوحي. أما يسوع فتحدّث عن الآب وعن الابن وعن الروح، أي عن (أقانيم) لا عن (عقيدة) في التوحيد أو التثليث**[٤].

إن دعوى ذكر عيسى للأقانيم **مجازفةٌ، فعيسى ذَكَرَ الابن والروح لا كآلهة،**

---

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١٠٢.

(٢) الآب والإبن والروح القدس ص٨٢.

(٣) الآب والإبن والروح القدس ص٨٣.

(٤) سر الثالوث الاحد ص٢٣ هامش١.

إنّما ذَكَرَ نفسَهُ كإنسانٍ محتاجٍ لله تعالى، وههنا اقتَرَحَ الاب سيداروس عقيدةً أخذها عن آبائه وأسقطها على كلمات عيسى عليه السلام، ويُعلَمُ ذلك من اعترافه بأن العقيدة كانت تُبنى على (اقتراحات شخصية) لرفع مشكلةٍ أو التوفيق بين عقائد مختلفة، فيقول حول المسألة الخلافية الشهيرة بينهم وهي (انبثاق الروح):

إن قضيّة (انبثاق الروح) اللاهوتية **طالما شغلت فكر اللاهوتيين..** وتستحوذ على العلاقة المسكونية حتى إنها تعكّر جوّها. وللخروج من هذا المأزق ولرسم إطار جديد **نعرض اقتراحاً شخصياً يقوم على الجمع بين (بثق الروح) و(إيلاد الابن)** فلا يُقبل دور الابن في بثق الروح إلا بقبول دور الروح في إيلاد الابن، وكلا الدورين يمنحهما الآب: فيمنح الابنَ أن يبثق معه الروح، ويمنح الروحَ أن يلد معه الابن **لنبرّر افتراضنا هذا**[1].

اقتراحٌ شخصيّ وتفكيرٌ بشريٌّ يؤسّس لأهم عقيدة في المسيحية، وهي حقيقة الثالوث وطبيعة العلاقة بين أقانيمه، وليس الأب سيداروس وحده من يبيّن آلية الوصول للعقيدة هذه، فهذا عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك يشير إلى أن هذه العقيدة كانت نتيجة تفكيرٍ كنسيّ لا يمكن الحكم بعصمته، فيقول: **من البديهيّ حقاً أن إقرارَي كلٍّ من نيقية وخلقيدونية لا يرقى إلى حد العصمة.** فالمصطلحات التي تستخدمها الكنيسة لاهوتية في هذا الباب: كالشخص أو الأقنوم والطبيعة ووحدة الجوهر وما الى ذلك، **ليست نقلاً من الكتاب المقدس، بل هي حصيلة التفكير الذي كان على المسيحية أن توليه تدريجياً**

(١) سر الثالوث الاحد ص٧٩.

لسرّ الخلاص هذا[١].

وينقل توماس تورانس: كان ق. أثناسيوس **هو الذي قدّم عقيدة التداخل التّام المتبادل أو السُكنى الداخلية المتبادلة بين الآب والابن والروح القدس، والتي سُميت فيها بعد بعقيدة التواجد (الاحتواء) المتبادل بين الأقانيم**[٢].

إذاً ليس في الكتاب المقدس ذكرٌ للثالوث، وليس فيه تصريحٌ من عيسى عليه السلام بألوهيته باعترافهم، يقول القسّ منسَّى يوحنا: ويقول بعضهم : **لماذا لم يقل المسيح صريحاً «أنا الله» ؟ بل قال «أنا ابن الله»**. فذلك لأنَّه لو قال «أنا الله» يَجمَعُ إلى أقنومه أقنومي الآب والرُّوح، وهُما معه أقنومان مُمتازان في اللاهوت، بل **قال «أنا ابن الله» لتُعرَف نسبته الأزليّة إلى الأقنوم الأول، وقال «أنا والآب واحد» لنَعرِفَ مُساواته له**[٣].

وهذا اعترافٌ صريحٌ بأنّ عيسى لم يقل: (أنا الله) حتى وفق الأناجيل المتداولة، إنما أُسقِطَت هذه العقيدة على كلمات الإنجيل بعد اختراع الاقانيم الثلاثة.

هو استنتاجٌ من قوله (انا ابن الله) ومن قوله (أنا والآب واحد)، وقد بيّنا في كتابنا (الثالوث والكتب السماوية) عدم دلالة هذين اللفظين (بحسب الكتاب المقدس نفسه) على الألوهية، **وإلا لزم ألوهيّة بني البشر قاطبة**، فليراجع الكتاب المذكور.

---

(١) بين العقل والإيمان ج٣ ص٢٦.

(٢) الإيمان بالثالوث ص١٣.

(٣) شمس البِر ص١٧٥.

هل تغيّرت عقيدة الثالوث؟

يقابِلُ كل ما تقدّم دعوى من بعض علماء النصارى بأن عقيدة التثليث ثابتةٌ لم تَطَلها يدُ التغيير من اليوم الأول، فيقول القمص سرجيوس: ان **عقيدة التثليث وفهمها عند جميع المسيحيين** في كل زمان ومكان وبالرغم من الاختلافات المذهبية **هي هي لم تتغير، ولم يختلف المسيحيون فيها في زمن من الازمان**[1].

فهل يصحُّ الإصغاء لمثل هذه الدعوى؟

من الواضح أن عقيدة الثالوث بصورتها الحالية لم تكن معروفة زمن السيد المسيح ﷺ، ومن المعلوم أنه قد حصل خلافٌ كبير حولها بعد بدء انتشارها، وأنّها قد مرت في مراحل وأطوارٍ مختلفة حتى استقرت على ما هي عليه، ومن الشواهد على ذلك الاختلافات التي وقعت في المرحلة الأولى، والاختلافات التي ترسّخت بين الكنائس المختلفة مع مرور الأيام كما سيأتي.

ومما ذكروه في الاختلاف الحاصل بينهم منذ القرن الأول ما ذكره الدكتور القس عماد شحادة بقوله:

- علّم مارسيون في **أواخر القرن الأول** والغنوسيّون في أوائل ظهور تعاليمهم في القرن الأول أيضاً أن **المسيح ظهر كأنّه إنسان**.. وقد **أدين هذا التعليم في مجمع نيقية عام ٣٢٥م**.

- **أنكر الأبيونيون في القرن الثاني ألوهية المسيح**، واعتبروا أن المسيح هو الابن الطبيعي ليوسف ومريم.. وقد **أدين هذا التعليم في مجمع نيقية عام ٣٢٥م**.

---

(١) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٦٧.

- **اعتقد آريوس بأنّه كانت للمسيح بدايةٌ، وبأنه كانت له طبيعة مشابهة وليست مطابقة لله، وتمت إدانة آريوس في مجمع نيقية عام ٣٢٥م**[1].

أما البصمة البشريّة في عقيدة الثالوث فتظهر جلياً من الاختلاف الواسع حولها وحول العلاقة بين الأقانيم، ويُبَيّن بعض هذه الاختلافات الشماس اسبيرو جبّور، ومما يذكره من الفرق والأقوال في ذلك:

الأبولينارية: **أقنومٌ واحدٌ، شخصٌ واحدٌ، طبيعةٌ واحدةٌ إلهية، مشيئةٌ واحدة، فعلٌ واحد،** جسد يسوع بلا روح، **مريم أم الله**.

الأوطيخية: **تزيد عليها كفراً فتقول أنّ الطبيعتين قد امتزجتا.**

اليعاقبة: **أقنومٌ واحد من أقنومين، شخصٌ واحد، طبيعةٌ إلهية واحدة من طبيعتين،** مشيئة واحدة فعل واحد، جسد يسوع ذو روح عاقل، يسوع إله كامل وإنسان كامل، مريم أم الله.

النساطرة: **أقنومان،** شخصان وشخص، **اتحاد طبيعتان كاملتان،** جسد يسوع ذو روح عاقل، يسوع إله كامل وإنسان كامل، **مريم أم الإنسان يسوع.**

الأرثوذكس وروما: **أقنومٌ إلهيٌّ مركبٌ في طبيعتين كاملتين، مشيئتين، فِعلَين،** جسد يسوع ذو روح عاقل، يسوع إلهٌ كامل وإنسانٌ كامل، الأقنوم الإلهي قَنَّم الطبيعة البشريّة لما ضمّها إليه، مريم أم الله.

أصحاب المشيئة الواحدة: يختلفون عنا بالقول أنّ **ليسوع مشيئةٌ واحدةٌ وفعل واحد** ولم يعودوا اليوم بموجودين إذ انضموا إلى روما. (يقصد الموارنة..

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٢٤٩.

"الشبكة").

البروتستانت: فِرَقُهُم عديدة. **يرفضون القول أنّ مريم هي أم الله** إلى جانب قولهم أنّ **يسوع أقنومٌ واحدٌ في طبيعتين**. لذلك هم مزيجٌ منّا ومن النسطورية.

هذا الجدول يوضح تماماً أن **مفاهيمنا اللاهوتية عَبَرَت في ممرات ضيقة وخطرة جداً حتى وصلت في العام ٦٨٠ (المجمع السادس) إلى النضج.. مئاتٌ من أدمغة أساطين الفكر العالميّ وأشباههم دخلوا الحلبة حتى خرجنا منها سالمين.**

كان أقرب الناس إلينا أصحاب المشيئة الواحدة ثم اليعاقبة. **الأوطيخية كفرٌ. تدنو منها نسبياً الأبولينارية. النسطورية شَطَطٌ كبير. التطوّر في الفهم واضحٌ لدى الأرثوذكس. اليعاقبة توقفوا عند كيرللس حرفياً**، إدخالنا التفريق بين لفظتي أقنوم وطبيعة كان **انقلاباً في تاريخ اللاهوت قضى على كل التباس** وشق الطريق واسعة نحو الفلسفة الشخصانية المسيحية في حقل الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)[1].

هذا نموذجٌ من الخلافات العقائدية النصرانية، ولسنا نستدل بمجرّد اختلافهم على كون هذه العقيدة بشريّة وليست سماويّة، فإن الاختلاف حاصلٌ في كل الأديان بين مذاهبها كالاختلاف بين الشيعة والسنة مع اعتقادنا أن عقيدة الشيعة إلهيّة، وإنما **نستدلُّ بعدم احتواء الإنجيل على أيٍّ من هذه المفاهيم كما ذكر، وإنما اخترعتها عقول كبار المفكرين النصارى**، وغاية ما بلغوه هو القول بأنها غير قابلة للإدراك! مع أنها من نتاج تفكيرهم الطويل والمعمق.

---

(١) سر التدبير الإلهي التجسد ص٦٣-٦٤.

ويعتقدُ بعض المؤرخين وإن لم يكونوا من علماء اللاهوت النصارى أن الإيبونيين هم المسيحيون الأصلاء، وأنّهم اعتقدوا أن عيسى إنسانٌ عادي، يقول جيمس د.طابور ان: **المسيحيين الأصلاء.. باتوا يُعرفون بعد ذلك باسم الإيبونيين..** (المساكين)، وقد عرفهم يوسيبيوس، مع أنّه عدّهم هراطقة.. وكان بين تهمه التي وجّهها إلى الإيبونيين أنهم **جعلوا من يسوع (إنساناً واضحاً وعادياً)** وقد وُلد بشكل طبيعي.. **ورفض الإيبونيون رسائل الرسول بولص وعدوه مرتداً عن الإيمان الصحيح**[1].

قوانين الإيمان

خلت أكثرُ قوانين الإيمان ما قبل نيقية (سنة ٣٢٥م) من ذكر وحدة الجوهر بين الله تعالى وبين المسيح، وإن ذَكَرَت أنّه ابن الله، وأنه (ربُّنا)، إلا أن هذا لا يعني أكثر من (سيدنا) و(معلمنا) كما دلّ عليه الكتاب المقدس[2]. كذلك ذكرت الإيمان بالروح القدس **دون أن تعطيه صبغة إلهية.**

ومن أقدم القوانين: قانون الإيمان للرسل، وفيه:

أؤمن بالله ضابط الكل (خالق السماء والأرض).

وبيسوع المسيح، ابنه الوحيد ربنا.

الذي (حُمِلَ) به بواسطة الروح القدس، وُلِدَ من العذراء مريم. تألّمَ في عهد

(١) سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة ص٣٦٤.

(٢) وقد بيّنا ذلك في كتاب: الثالوث والكتب السماوية.

بيلاطس البنطي، صُلِبَ ومات ودفن..

وأؤمن بالروح القدس، والكنيسة المقدّسة.. وغفران الخطايا، وقيامة الجسد(١).

فلم يكن في قانون الإيمان **أيّ تصريح بأنه هو الله**، ويظهر فيه **التركيز على صفاته البشرية كالولادة والتألُّم والصلب والموت والدفن**، ثم **ليس فيه أيّ ذكرٍ لألوهيّة الروح القدس**، فالإيمان به على حد الإيمان بالكنيسة وغفران الخطايا وقيامة الجسد، فهو إيمانٌ بوجود الروح القُدُس كما الإيمان بالقيامة.

وقد ذُكِرَ قانونُ الرُّسُل في مصادر عدّة بصِيَغٍ متشابهةٍ خلت كلها من ذكر ألوهيّة عيسى عليه السلام، ومن ذلك:

أومن بالله، الآب الكليّ القدرة، خالق السماء والأرض. وبيسوع المسيح، ابنه الوحيد ربنا، الذي كان الحَبَلُ به من الروح القدس، وُلِد من البتول مريم، تألم في عهد بنطيوس بيلاطس، وصُلِب، ومات، ودُفِنَ، انحدر إلى الجحيم.

في اليوم الثالث قام من الموتى، صعد إلى السماوات، وهو جالسٌ إلى يمين الآب الكلي القدرة، من حيثُ سيأتي ليقاضي الأحياء والأموات.

أؤمن بالروح القدس، بالكنيسة المقدسة الكاثوليكية، بشركة القديسين، بغفران الخطايا، بقيامة الجسد، بالحياة الأبدية(٢).

هذا القانون وهو **القانون المسيحي الأول لا يتضمن ذكراً للثالوث**، ويذكر

(١) لاهوت المسيح عند آباء ما قبل نيقية ص٥٠.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٠ فقرة١٨٤.

أن **الآب هو الخالق وليس عيسى** عليه السلام **هو الخالق** كما تذكر سائر القوانين المتأخرة، وأن يسوع المسيح هو (ربنا)، وللرَّبِّ معانٍ متعددة في الكتاب المقدس، ينسجم بعضها مع عبودية عيسى عليه السلام لله تعالى كما جعلَ اللهُ موسى رباً لفرعون، ولم يخرج بذلك موسى عن عبوديّة الله تعالى.

ولم يذكر القانونُ المساواة في الجوهر ولا الأزلية.

وكان الإيمانُ بالروح القدس على حدّ الإيمان بالكنيسة الجامعة من غير أن يُذكر أن في ذلك ثلاثة أقانيم أو ما شابه.

ولهذا القانون أهمية خاصة حيث أنّه: يُعدُّ بحق **الملخّص الأمين لإيمان الرُّسل. إنه القانون القديم للتعميد في الكنيسة الروماني**[1].

وقد ذكر الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب أن القوانين القديمة (كقانون إيمان الرسل: في القرن الأول الميلادي): **حملت نفس العقيدة في ألوهيّة المسيح**[2] التي جاءت في القانون النيقاوي اللاحق.

لكن يُلاحَظ خلوّ القانون عن مثل هذه العقيدة كما تبيّن.

ويُلاحَظ أنه **لم يثبت كون الرسل هم أصحاب هذا القانون فعلاً**، يقول القس الدكتور عيسى دياب: نقل لنا التقليدُ المسيحي أن بيان الإيمان المعروف اليوم ب(قانون إيمان الرسل) **هو من وضع الرسل أنفسهم. لكن البحث التاريخيّ يثبت أن هذه الرواية هي مجرّد أسطورة** من نسيج التقوى انتشرت في القرن

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص ص٥٤ فقرة١٩٤.

(٢) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص٢٨٥.

الرابع[١].

كذلك لم يكن للثالوث ذكرٌ فيما لحقه من قوانين الإيمان، ولا تصريحٌ بأن عيسى هو الله، مع الاقتصار على ذكر أنه (ربنا) وقد تقدم عدم دلالتها على مساواته لله.

كذلك كان قانون الإيمان الذي نطق به القديس إيريناوس سنة ١٧٠م[٢].

ومن قوانين الايمان الأخرى قانون الإيمان الذي نطق به العلامة ترتليان سنة ٢٠٠م وهو ينص على:

١. نؤمن بإله واحد، خالق العالم، الذي أوجد الكلّ من عدم.

٢. **وبالكلمة ابنه يسوع المسيح.**

٣. الذي نزل إلى العذراء من خلال روح الله الآب وقوته، وصار جسداً في أحشائها ووُلد منها[٣].

وقانون الإيمان الذي نطق به القديس كيريانوس سنة ٢٥٠ م وجاء فيه:

١. نؤمن بالله الآب. ٢. وبابنه المسيح. ٨. بالروح القدس. ٩. أؤمن بغفران الخطايا[٤].

فقد خلت كلّ هذه القوانين من أي ذكرٍ للثالوث، ولم يَصِف شيءٌ منها

---

(١) مدخل الى الكنائس الانجيلية ص١٤٦.

(٢) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص٢٨٥.

(٣) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص٢٨٦.

(٤) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص٢٨٦.

عيسى عليه السلام بأنه الله.

ولمّا واجهت الكنيسةُ خلافاتٍ بين الموحدين الذين لا يقولون أنّ عيسى هو الله، وبين القائلين بأنّه الله، حصل تَحوُّلٌ كبيرٌ لمصلحة القائلين بأنّه الله في مجمع نيقية سنة ٣٢٥، يبين توماس تورانس ذلك بقوله:

كان الوضع المركزي ليسوع المسيح (الابن المتجسد) في إيمان الكنيسة **يتطلب الإجابة بوضوح على السؤال عما إذا كان هو إلهاً ورباً أو أنه مجرّدُ مخلوقٍ متوسّطٍ بين الله والإنسان.. كان هذا هو السؤال الرئيسيّ الذي واجه آباء نيقية،** وقد أجابوا عليه **باعترافٍ قاطعٍ بألوهيّة المسيح كرَبٍّ ومخلص**. ولكنَّ السؤال نفسه ظهر مرّة أخرى بعد نيقية بالنسبة للروح القدس: هل هو مسجودٌ له مع الآب والابن بكونه الله؟ وهل هو مثله مثل الابن واحد مع الآب (في ذات الجوهر) أم أنه قوة عقلانية مخلوقة؟[1].

نتيجة الاختلافات العقدية المتقدمة بين الكنيسة، وبعدما أعلن الملك قسطنطين بعد رؤيا رآها حول الصليب أن الدين المسيحي هو الدين الرسمي للدولة الرومانية: أمر بعقد المجمع المسكوني الأول في نيقيا سنة ٣٢٥ تأكيداً لألوهية السيد المسيح[2].

وكان من آثار ذلك أن: **اعترفت الكنيسة سنة ٣٢٥ في مجمع نيقية المسكونيّ الأول، أن الابن واحُد في الجوهر مع الآب، أي أنّه هو والآب إلهٌ واحد**[3].

---

(١) الإيمان بالثالوث ص٥.

(٢) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٥٨.

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٤.

نصّ قانون الإيمان النيقيّ صريحاً على أن عيسى عليه السلام غير مخلوق، وعلى أنّه مساوٍ في جوهره لله (الذي يصفونه بأنه الآب) ففيه:

نؤمن بإلهٍ واحد، آبٍ ضابط الكل، خالق كل شيء.. **وبربٍّ واحدٍ** يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب ومن جوهر الآب، **إلٌه من إله، نورٌ من نور، إلهُ حقٍّ من إله حق، مولودٌ غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر**[1].

وأعلن البراءة من كل من لم يقل بذلك: وكل من يقول أنّه كان وقتٌ لم يكن فيه ابن الله، او أنّه قبل ان يولد لم يكن، أو أنّه خُلِقَ من العدم، او أنّه من جوهرٍ يختلف عن جوهر الآب او طبيعته، او أنّه مخلوق، او أنّه عُرضَةٌ للتغيُّر والتبدُّل، **فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل**[2] **كل من يقول هذه الاقوال**[3] .

ثم عُرِفَ من بعد ذلك أصرح القوانين دلالة على أنه الله، وهو قانون نيقية القسطنطينية، ففيه بعد الإيمان بالإله الواحد الآب: وبربٍّ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور: **هو الله الصادر عن الله،** نورٌ مولودٌ من النور، إلهُ حقٍّ صادرٌ عن الله الحق، مولودٌ غير مخلوق، **هو والآب جوهرٌ واحدٌ**[4]..

---

(١) مجموعة الشرع الكنسي ص٤٣، وتاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص٤٤٥ مع اختلاف يسير بينهما.

(٢) المراد منها: تحريمه، ومن معاني البسل في كتب اللغة: الْبَسْلُ: المحرم الذي لا تتأول حرمته (كتاب العين ج٧ ص٢٦٤)، الْإِبْسَالُ: التحريم (مجمع البحرين ج٥ ص٣٢١).

(٣) مجموعة الشرع الكنسي ص٤٣.

(٤) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٠ فقرة١٨٤.

وأضيف اليه أيضا الاعتقاد بربوبية الروح القدس وانبثاقه من الآب والابن: **وبالروح القدس، الرب وواهب الحياة**، إنه ينبثق من الآب والابن، مع الآب والابن، **يُعبَدُ العبادةَ نفسها ويُمجَّدُ التمجيد نفسه**(١)..

فالروح القدس قد: اعتُرِفَ به في المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١، في القسطنطينية(٢).

أما: القول ب (والابن) لم يكن موجوداً في القانون المعترف به سنة٣٨١ في القسطنطينية. ولكن جرياً مع تقليد لاتينيٍّ واسكندرانيٍّ قديمٍ اعترف به عقائدياً البابا القديس لاون سنة ٤٤٧(٣).

وصار لهذا القانون أهميّة خاصة عند النصارى حيث يقولون: قانون نيقية القسطنطينية يستمدُّ قوَّته من كونه صادراً عن المجمعين المسكونيين الأوَّلين (٣٢٥و٣٨١) وهو لا يزال، إلى اليوم، مشتركاً بين جميع كنائس الشرق والغرب الكبرى(٤).

صياغة الثالوث كما هو اليوم كان من إنتاج هذا المجمع عام ٣٨١ للميلاد إذاً، يقول القس بسام مدني: تكلم هذا المجمع بشكل خاص عن عقيدة الثالوث الأقدس.. **وفي هذا المجمع صيغت عقيدة ألوهيّة الروح القدس**.. ضمن قانون

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٠ فقرة١٨٤.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٥.

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٥ فقرة٢٤٧.

(٤) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٤ فقرة١٩٥.

الإيمان[١].

لم يكن أوّل من صرّح بأن عيسى هو الله هو هذا القانون، وإن شكّل تحوُّلاً في انتشار هذه العقيدة، فقد سبقه إليه عدد من علماء النصارى، منهم ترتليان (١٤٥-٢٢٠م) حيث يقول : **لأن المسيح هو الله أيضاً**، فهو إلهٌ من إلهٍ كما يضيء النور من النور[٢] .

والبابا ديونيسيوس (الذي ولد سنة ١٩٠م) يقول: المسيح سرمديٌّ.. كلمة الله الابن الوحيد الذي لله الآب، **المساوي لله باللاهوت**، وهو المساوي لنا بالناسوت[٣].

لكن هذا القانون وما تبعه من قوانين لم ترفع الاختلافات بين الكنائس والمذاهب المسيحية، يقول الدكتور القس عماد شحادة: **تتّهمُ الكنيسة الارثوذوكسية الشرقية الكنيسةَ الغربية بتغيير قوانين إيمان المجامع الكنسية المسكونية بغير شرعية**.. الكنيسة الارثوذوكسية بفروعها المتنوعة.. يشكّلون حالياً أكبر طائفة في الشرق الأوسط. وفي صدارة الخلاف العقائدي **موضوع انبثاق الروح القدس**، ففي مجمع توليدو عام ٥٨٩م تمّت إضافة التعبير (والابن) عن انبثاق الروح القدس إلى قانون إيمان نيقية ليصبح (من الآب والابن)، **وباتت**

(١) المسيح في الكنيسة في التاريخ ص٦٨.

(٢) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص٢٩١.

(٣) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص٢٩١.

هذه الإضافة الأساس للاعتراف بالانقسام بين الشرق والغرب[١].

ولما كان المجمعُ المذكورُ قد قال ان الروح القدس انبثق من (الآب والابن)، فقد: **تم استنكار مجمع توليدو من قبل الكنائس الشرقية.. أُعلِنَ في كلّ المنشورات التابعة للكنيسة الشرقيّة أن تعبير (والابن) هو هرطقة**[٢].

وفي أيامنا كَثُرَت قوانين الإيمان المعاصرة التي كُتِبَت بلغةٍ حديثة وخضعت لاجتهادات الآباء والقساوسة وخاصّة الانجيليين منهم[٣].

الآريوسية

لماذا عقد مجمع نيقية؟ وما هي الدوافع لذلك؟

إنّ تَتَبُّعَ هذه المسألة يشيرُ إلى قوّة النزعة التوحيدية عند شريحةٍ كبيرةٍ من النصارى في تلك الفترة، قبل أن تجتمع معظمُ الكنائس على تأليه المسيح في مجمع نيقية وما بعده من المجامع، ويقرّ علماء النصارى بانتشار العقيدة التوحيدية الآريوسية التي تنكر أزلية عيسى وكونه الله بشكل كبيرٍ جداً.

يقول الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب: الآريوسية.. كانت قد انطلقت من الاسكندرية، **لتعمّ وتتفشى في الكنيسة الشرقية بأكملها**[٤]..

(١) كتاب الآب والإبن والروح القدس ص٣٢١.

(٢) كتاب الآب والإبن والروح القدس ص٣٢٣و٣٢٦.

(٣) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب: مدخل الى الكنائس الانجيلية ص١٥٠ وما بعدها.

(٤) المجمع المسكوني الأول: نيقية الأول ص٥٠.

ويكملان حول آريوس وأنّه: **أنكر المساواة في الجوهر بين الأقانيم الثلاثة وخاصة بين الأقنوم الثاني محور اللاهوت آنذاك، لم يكن الروح القدس بعد قد دخل حيّز التفكير اللاهوتي جدياً، وبين الأقنوم الأول في الثالوث الأقدس، معتبراً أن الآب وحده إلهٌ بالمعنى الحقيقي للكلمة**[١].

إذاً في تلك المرحلة كانت عقيدة إنكار ألوهيّة عيسى هي المنتشرة في الشرق، أما ألوهيّة الروح القدس فلم تكن قد دخلت حيز التفكير اللاهوتي جدّياً! فكيف تكون العقيدة المسيحية الأولى قائمة على الثالوث؟

ورد في كتاب تاريخ الموارنة بعد وصف آريوس بأنّه أبرز كهنة الإسكندرية: أنكر آريوس ألوهية السيد المسيح.. **استطاع آريوس استمالة الأساقفة في الأسقفيات التالية: أساقفة صور، واللاذقية، ونيرونيا، وزوربا، وبيروت، وقيصرية فلسطين.** وللحال عُقِدَ مجمعٌ آخر في انطاكية سنة ٣٢٥ للوقوف بوجه آريوس وأتباعه[٢]. رفض الاسقفان الكبيران تيودورس أسقف اللاذقية وديودورس اسقف صقلية هذه المبادئ، وأصرّا على اعتناق البدعة الآريوسية، ووجدت هذه البدعة أرضاً خصبة لانتشارها.. **فعمّت معظم أنحاء مصر وافريقيا، وظلّت قائمة حتى نهاية القرن الرابع**[٣].

وكانت هذه الدعوة خطيرة بنظر القديسين النصارى إلى درجة أن القدّيس

(١) المجمع المسكوني الأول: نيقية الأول ص٥٠.

(٢) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٢٣.

(٣) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٢٤.

يوحنا ذهبي الفم عبَّر عن أصحابها **بالذئاب الذين يحيطون بالمؤمنين من كل جانب**[١]. وقال: **نيران الهراطقة تهدد بلهيبها المحيط من كل جانب**[٢].

وقد ذكر المؤرخون الكثير من الشخصيات التي تسنّمت أعلى المناصب الكنسية في كنائسها وكانت تعتقد بالفكر الآريوسي.

لقد سبَّبَ اعتقاد آريوس بأن المسيح مخلوقٌ حالةً من الخوف عند النصارى كما يقول القس لبيب ميخائيل: في سنة ٣٢٥ بعد الميلاد **انتشرت ضلالةٌ رهيبةٌ تقول إن المسيح هو مخلوقٌ كسائر البشر خلقه الله من العدم**، وكان صاحبُ هذه الضلالة هو (آريوس)، وبسبب هذه الضلالة المخيفة عُقِدَ مجمع نيقية الذي حضره ٣١٨ عضواً.. حتى أصدر المجمع قانون الإيمان النيقوي[٣].

يقول عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: ارتأى آريوس أن **الآب وحده هو الإله الأزليُّ الحقيقيّ**، ما دام هو المصدر الغير المنبثق بكلّ معنى الكلمة. أما بخصوص الابن أي الكلمة الذي صار في المسيح جسداً، فقد علّم آريوس بأنه **لا يمكن أن يكون هو الله لأنّه منبثق، ولذلك زعم أن المسيح مخلوقٌ**. وبينما ذهب إلى أنه صُنِعَ قبل سائر الخلائق، ارتأى أنه مع ذلك **مخلوقٌ**.. و.. أن **الروح القدس مخلوقٌ**، أو أنه صفةٌ من صفات الله أو سجيَّةٌ من سجاياه[٤].

أما كلمات آريوس نفسها فقد نُقِلَت في جملةٍ من المصادر، منها قوله: **إن**

---

(١) مساوٍ للآب في الجوهر ص٩٣.

(٢) مساوٍ للآب في الجوهر ص٩٤.

(٣) في حقائق الكتاب الكبرى ص١٤.

(٤) بين العقل والإيمان ج٢ ص٥٧.

الإبن قد وُجِدَ بإرادة الآب ومشورته قبل الأزمان والدهور، **إلهاً كاملاً وابناً وحيداً لا يقبل تغيُّراً. ولكنه لم يكن موجوداً قبل أن يوجَدَ أو يُخلق.**

وقد اضطُهِدنا لأننا قلنا: إن للابن بدءاً، أما الله فلا بدء له.

ويُرتَكَبُ بحقّنا أعمالٌ فظيعةٌ لأننا قلنا إن الابن خرج من العدم، هذا ما قلناه، لأنه ليس جزءاً من الله[1].

فجوهرُ الابن مختلفٌ عن جوهر الآب بحسب آريوس، وهو ليس أزليّاً.

وينقل القديس أثناسيوس الرسولي كلماتٍ من كتاب (ثالياً) لآريوس، ومنها قوله: **لأنّ الله كان وحده، ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا فإنه عندئذ قام بصنع كائنٍ ما وسمّاه اللوغوس والحكمة والابن، كي يخلقنا بواسطته**[2].

وقوله: أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية.. بما أن الله عَرَفَ بِسَبقِ علمه بأن الكلمة سيكون صالحاً فقد منحه هذا المجد.. كإنسان.. **الكلمة ليس إلهاً حقيقياً، وحتى ان كان يدعى إلهاً لكنه ليس إلهاً حقيقياً، وإنما هو الهٌ بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين**، وهكذا **فإنه يسمى إلهاً بالاسم فقط**.. الكلمةُ أيضاً يعتبر **غريباً عن جوهر الآب وذاتيّته ومختلفاً عنه**، بل هو ينتمي إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة، **وهو نفسه أحد هذه المخلوقات**[3].

---

(١) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص٢٢.

(٢) الشهادة لألوهية المسيح ص١٧.

(٣) الشهادة لألوهية المسيح ص١٨.

مثل هذه الكلمات التي صدرت من آريوس جعلت القدّيس أثناسيوس يقول عنه أنّه: **مثل الحيّة التي قدمت المشورة للمرأة**[١].

ويقول: ان المجمع المسكوني طرد أريوس.. من الكنيسة وحَرَمَهُ، اذ **لم يحتمل المجمع كفره وجحوده**، ومنذ ذلك الحين فقد اعتُبِرَ ضلال أريوس هرطقةً تفوق سائر الهرطقات، **حيث لُقِّبَ بعدوّ المسيح، ومُمَهِّداً للمسيح الدجال**[٢].

لكن الآريوسية عادت وانتشرت بقوّة بعد الملك قسطنطين، يقول البروفسور ب.ك خريستو: ساءت الاحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير لأنّ حاكم الشرق قسطنديوس فرض الآريوسية على المناطق التي كان يحكمها.. أما بعد وفاة أخيه قسطنس عام ٣٥٠م فقد **فرضها على جميع أنحاء الإمبراطورية**[٣].

وفي كتاب (تطوُّر الإنجيل): إن الامبراطور البيزنطي قسطنطيوس ابن الإمبراطور قسطنطين قد أعلن نفسه آريوسياً. ومع مجيء العام ٣٦٠م **حلّت الآريوسية محلّ المسيحية الرومانية**. وعلى الرغم من شجب الآريوسية في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م استمرت هذه العقيدة بالانتشار وبكسب أنصار جدد، **حتى إذا كان القرن الخامس، كانت كلُّ أسقفية في العالم المسيحي إما آريوسية أو شاغرة**[٤].

(١) الشهادة لألوهية المسيح ص١٩.

(٢) الشهادة لألوهية المسيح ص٢٠.

(٣) الشهادة لألوهية المسيح، ملحق لخريستو أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكي باليونان ص١٢٦.

(٤) من مقدمة أحمد ايبش لكتاب (تطور الإنجيل ص٣٧).

لم يكن آريوس أول النصارى المنكرين لأزلية عيسى وألوهيّته الكاملة ولا آخرهم: بل **كان هناك آخرون أنكروا لاهوت السيد المسيح** منهم ماركيان، وبولس الاموساطي.. وغيرهم[١].

واستمرّت الاختلافات بعد ذلك: قال نسطوريوس في القرن الخامس: **لم يكن المسيح هو الله**، بل كان إنساناً عادياً حلّ فيه الله، دون أن يتحد به[٢].

وورد في كتاب تاريخ الموارنة: أعلن نسطور أن مريم العذراء أعطت المسيح بحكم الولادة (الطبيعة البشرية) ولم تعطه (الطبيعة الإلهية).. اعتبر نسطور أن **المسيح هو انسانٌ يحمل ذاتاً إلهية، أي متوشح بالله**، وبالتالي فطبيعته إنسانيّة وليست إلهيّة[٣].

وفيه: ساعد **استلام نسطور اسقفية القسطنطينية**.. سنة ٤٢٨.. على الترويج للبدعة الجديدة.. **وانتشرت هذه العقيدة في مصر وروما نفسها**[٤].

وفيه: مات نسطور سنة ٤٤١ لكن النسطورية لم تمت بموته، لأنّ **مروجيها كانوا يحتلون مراكز دينية رفيعة.. بينهم.. اسقف صور المعروف، ويعقوب البرادعي الذي ساهم بنشر هذه العقيدة في سوريا ولبنان بين السريان**[٥].

---

(١) لاهوت المسيح عند آباء ما قبل نيقية ص٨.

(٢) نقله عوض سمعان في كتابه: الله في المسيحية ص٤٠٧.

(٣) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٢٤.

(٤) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٢٥.

(٥) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٢٦.

ثم انتشرت هذه العقيدة وعُرِفَ أتباعها بالمونوتوليين: قام البطريرك الاسكندري ديوسقورس والراهب القسطنطيني اوطيخوس باحياء النظرية المونوتولية وروّجا لها في انطاكية والقسطنطينية وكامل أرجاء سوريا والمملكة البيزنطية فتبعهما الكثيرون[١].. ولم يطل الأمر حتى ارتقى الكرسيّ الأنطاكيّ بطريركٌ يدعى ساويروس فنادى من جديد باعتناق النظرية المونوتولية.. ولم تلبث هذه البدعة أن عمّت الشرق بأسره.. وتحوّل المونوتوليون الى كنيسة انتسبت اليه (المطران يعقوب البرادعي) **فدُعِيَ أتباعُهَا باليعاقبة**[٢].

المسيحيون في الشرق أيام الإسلام

المذهبُ اليعقوبيُّ هذا كان منتشراً بين القبائل العربية بحسب المؤرخين[٣].

وقد وقع الخلاف في مذهب بعض القدّيسين الذين كان لهم دورٌ في الشرق أيام الإسلام، كالقدّيس يوحنا الدمشقي، حيث اختلفوا في أنّه يقول بالطبيعة الواحدة في المسيح أو الطبيعتين، قال الإكسرخوس جوزف نصر الله نصر الله: لو كان الدمشقي وأسرته على مذهب اليعاقبة (الطبيعة الواحدة في المسيح) لما ذهب هو وبعض أقربائه.. لينسك في دير القديس سابا القريب من القدس معقل الخلقيدونية (طبيعتان في المسيح: الإلهية والإنسانية)، في ما كانت الأديرة

(١) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج٢ ص٤٧.

(٢) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج٢ ص٤٨.

(٣) مقدمة كتاب منصور بن سرجون للإكسرخوس جوزف نصر الله ص٣٦.

اليعقوبيّة منتشرة غربي بادية الشام[١].

وكلماتُ الدمشقيّ صريحةٌ في قوله بالطبيعتين حين يقول في كتابه: أما نحن فنعلّم أن المسيح طبيعته مركّبة.. ونعترف بوجود إلهٍ كاملٍ من اللاهوت والناسوت يقال له هو نفسه إنه **من طبيعتين وفي طبيعتين**[٢].

وقال نصر الله: لقد تقاسمت بلادَ سوريا وفلسطين ثلاثةُ مذاهب دينية في القرنين السابع والثامن: الخلقيدونية (الملكية) والمونوفيزية (اليعقوبية) والمونوتيلية (المارونية)[٣].

وقبله كان قد برز القدّيس صفرونيوس: أما القديس صفرونيوس فقد ساس بطريركية أورشليم منذ سنة ٦٣٤، وهو أول من فضح هرطقة المشيئة الواحدة، وقد فاوض العرب لتسليم المدينة المقدسة سنة ٦٣٨ وقضى نحبه في السنة عينها[٤].. أما بدعة المشيئة الواحدة (المونوتيلية) فبعد ان انتشرت في البطريركية الأنطاكية.. تلقت ضربة حاسمة بحكم المجمع القسطنطيني عليها سنة ٦٨١.. ولما شعر مشايعو بدعة المشيئة الواحدة في المسيح أنهم مضطهدون من اليعاقبة والملكيين هاجروا إلى لبنان[٥].

وفي بلدنا لبنان **عُرِفَ أتباعُ الناسك مارون بالموارنة وهم الفئة الأكبر من**

---

(١) مقدمة كتاب منصور بن سرجون للإكسرخوس جوزف نصر الله ص٣٧.

(٢) المئة مقالة ص١٥٥.

(٣) مقدمة كتاب منصور بن سرجون للإكسرخوس جوزف نصر الله ص٧٠.

(٤) مقدمة كتاب منصور بن سرجون للإكسرخوس جوزف نصر الله ص٧١.

(٥) مقدمة كتاب منصور بن سرجون للإكسرخوس جوزف نصر الله ص٧٢.

النصارى حالياً فيه، ففي كتاب تاريخ الموارنة: عُرِفُوا بجماعة مارون، قبل تسميتهم بالموارنة على يد مؤسس الكنيسة المارونية في أواخر القرن السابع، القديس والبطريرك الأول يوحنا مارون[١].

وقد كان القديس مارون معاصراً لقدّيس شهيرٍ آخر هو يوحنا فم الذهب.. بل كانت تربطه به صداقة متينة، ويقال أنه كان له دور كبير في انتشار المسيحية في لبنان[٢].

وفي تاريخ الموارنة: القديس مارون وأتباعه جماعة مارون كما عُرِفَ الموارنة في بداية عهدهم **فكانوا قادة الفريق الآخر القائل بالطبيعتين في المسيح،** البشرية والإلهية[٣]..

وفيه: يوحنا مارون (٦٨٥-٧٠٧) وهو البطريرك المارونيّ الأول، مؤسس الطائفة المارونية وكنيستها المستمرة حتى اليوم[٤].

وفيه: اليعاقبة مونوتوليون يعترفون بطبيعةٍ أو بمشيئةٍ واحدةٍ إلهيّة في السيّد المسيح، وينكرون الطبيعة الإنسانيّة وكل ما يتعلق بقداسة العذراء وأمومتها لألوهية المسيح. عكس **الموارنة الذين يؤمنون بطبيعتي المسيح الإنسانية والإلهية،** وبمريم العذراء أماً للإله وللانسان معاً[٥].

(١) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٥٦.
(٢) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٦٠.
(٣) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٢٢.
(٤) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص١٤٤.
(٥) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٢٥١-٢٥٢.

وفيه: جوهر هذا الانقسام يعود الى الخلاف حول بعض الامور اللاهوتية، ولا سيما اعتبار الروح القدس ينبثق من الآب والابن حسب اعتقاد الكاثوليك، فيما يعتقد الارثوذكسيون الآخرون بأن الآب هو كل شيء، وقد ضحى بابنه في سبيل خلاص البشرية. كما نشأ بينهم خلاف حول ألوهية هذا الآب، إذ أن الكاثوليك يعتبرون الأقانيم الثلاثة (الآب والابن والروح القدس) متساوين في الجوهر، في حين يعتبر الارثوذكسيون أن الآب هو مصدر الألوهيّة. هذا فضلاً عن الخلاف حول مقام البابا الذي يعتبره الكاثوليك رأس الكنيسة المقدسة الرسولية، في حين لا يعتبره الآخرون إلا بمثابة بطريرك روما الموازي لبطريركهم[1].

وفيه: الاقباط في الاساس من القائلين بطبيعة المسيح الالهية الواحدة، على غرار كل الطوائف النسطورية.. يحمل بطريركهم المقيم في القاهرة لقب البابا او الانبا شنوده[2].

ولئن لاحَظَ المُتَتَّبِعُ لحال الفِرق اختلافاً في نسبتها إلى هذا المذهب أو ذاك بين المؤرخين النصارى، أو حتى في كلامٍ مؤرِّخٍ واحد، فإنّ ذلك قد يرجع إلى التبدُّل والتغيُّر الذي طال عقيدة الجماعات المسيحية مع تطوُّر الفكر المسيحي وتغيُّر النظرة الاعتقادية لجُملَةٍ من مفرداته مع مرور الأيام، وبحسب اختلاف الظروف والأحوال، ومن ذلك الاختلاف في نسبة بعض الفرق أو الآباء والقساوسة إلى القول بالمشيئة الواحدة أو المشيئتين، وبالطبيعة الواحدة أو

---

(١) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج١ ص٢٥٢.

(٢) تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق عبر العصور ج٥ ص٢٧٧.

الطبيعتين في المسيح.

وقفةٌ مع مجمع صور

كان جوُّ مجمع صور آريوسياً، حيث طغى حضور القساوسة المنكرين للتثليث فيه، وقيل أنّ الغرض منه نقضُ قرارات مجمع نيقية، وممن ذكر ذلك د. سهيل زكار بقوله: في سنة ٣٣٤ جرى عقد مجمعٍ دينيٍّ جديدٍ في مدينة صور، وفيه **تم نقضُ قرارات مجمع نيقية السالفة**، وأصدر العفو عن آريوس، وتم حرمان أثناسيوس ونفيه[١].

وقد نُقِلَ عن اللاهوتي أدولف فون هارناك قوله أن المجتمعين في صور: **أعدّوا العدّة لدفن قرارات مجمع نيقية**[٢].

وفي الموسوعة الميسّرة: عقد مجمع صور سنة (٣٣٤) م **ليُعلي من عقيدة آريوس، ويلغي قرارات مجمع نيقية**، ويقرّر العفو عن آريوس وأتباعه، ولعن أثناسيوس ونفيه[٣]. وفي بعض المصادر الأخرى: مجمع صور الإقليمي.. **قرّر وحدانية الله وأن المسيح رسوله**[٤]، وأنّ المجتمعين أرادوا العودة بالمسيحية مرة

---

(١) الأناجيل النصوص الكاملة ص٩٠.

(٢) نقل ذلك عنه في كتاب: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص٢٤.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الباب الثالث، الفصل الخامس، المبحث الأول.

(٤) مقارنة الأديان المسيحية، للدكتور أحمد الشلبي ص١٦٩.

أخرى إلى عقيدة التوحيد[١].

لكنّ بعض القساوسة والباحثين يرون أن المجمع **لم يتعرّض للجانب اللاهوتي**، ولم يكن له أيّ موقفٍ من عقيدة آريوس، وإن كان الغرض منه إسقاط أثناسيوس ونهجه وهو القائل بأزليّة المسيح، فاقتصر على محاكمة أثناسيوس بتهمٍ سلوكيّة مفتراةٍ عليه ولا صلة لها بالعقيدة.

يقول القسّ حنا الخضري: إن المجمع (السنودس) لم يتعرّض البتة لبحث أيّ مشكلة لاهوتية في اجتماعه هذا، بل إن البحث فيه كان مركزاً على النظر في الاتهامات المقدّمة ضد أسقف الاسكندرية[٢].

رغم ذلك اعترف أنّ: القرارات التي أصدرها مجمع صور بشلح الأسقف أثناسيوس ونفيه، ثم اعطاء يمين الشركة لآريوس وارجاعه الى منصبه كخادمٍ كانت **تُعَدُّ نصراً عظيماً لآريوس وأتباعه**[٣].

وأياً يكن الذي جرى في مجمع صور، فإنّ أغلبية الحاضرين كانت تُنكِرُ القول بالثالوث وتُنكِرُ أزليّة عيسى عليه السلام وكونه الله.

---

(١) المسيحية بين التوحيد والتثليث للدكتور عبد المنعم فؤاد ص١٦٤.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ج٣ ص٦٤٧، ويذهب الى هذا ايضاً جون لوريمر في: تاريخ الكنيسة ج٣ ص٥٩-٦٠.

(٣) تاريخ الفكر المسيحي ج٣ ص٦٤٩.

فصل٣: الثالوث: وحدة الجوهر وتعَدّدُ الأقانيم

خلاصة القول في الثالوث هي أن الله **واحدٌ في الجوهر، مُتَعَدِّدٌ في الأقانيم**.

فالجوهر واحدٌ، لكن الأقانيم ثلاثة، وكل واحد من الثلاثة يتّصف بصفات الله تعالى.

وقبل الدخول في البحث لا بد من معرفة الفرق بين الجوهر والأقنوم عند النصارى، ولبيان ذلك ننقل كلمات الراهب باسيليوس المقاري حيث يقول:

الفرق بين (الجوهر والأقنوم) يمكن فهمه بوضوح أكثر إذا تأملنا حالة الإنسان البشري.. ففي الإنسان يوجد (الجوهر البشري) الواحد والمشترك ويسمى أيضاً (**الطبيعة البشرية**) الواحدة المشتركة من جميع البشر، وفي الوقت نفسه يوجد (**أشخاص**) متعدّدون **هم نفس الجوهر البشري أو الطبيعة البشرية**. كلنا فينا نفس الجوهر والطبيعة البشرية الواحدة المشتركة. أما **تجسيد وتحقيق هذه الطبيعة وهذا الجوهر فهو الأشخاص** البشريون.. فالجوهر لا ينفصل أو يوجد بمعزل عن الشخص (أو الأقنوم) الذي يعطي للجوهر تحقيقه وقيامه، **فالأشخاص يُجَسِّدون ويُظهرون ويعلنون الجوهر والطبيعة، والجوهر يوجد في الأشخاص، والأشخاص يحققون ويظهرون الجوهر**[1].

إذاً الأقانيم الثلاثة هم كالأشخاص بالنسبة للطبيعة البشرية، فأحمد وأسعد وأمجد أشخاصٌ ثلاثة يشتركون في الطبيعة البشرية والجوهر البشري، كذلك الآب والابن والروح القدس يشتركون في الطبيعة الإلهية.

---

(١) إيماننا المسيحي ج١ ص٤١-٤٢.

وبالفهم البدوي يرى القارئ أن النصارى يعتقدون بآلهةٍ ثلاثةٍ صفاتُهم موحّدة، كأفراد البشر المتعّددين والمتّصفين بجوهر البشرية معاً، لكن هل هذا ما يقوله النصارى؟ أن الآلهة ثلاثة؟

ينكر النصارى ذلك، ويقولون: مع قولنا بأن الإله واحدٌ وأن الأقانيم هم الأشخاص الذين يُظهِرون الجوهر **إلا أنهم ليسوا آلهة ثلاثة!** فنكمل البحث معهم، ونعرض نماذج لكلمات العديد من علمائهم في اقتصار الوحدة على الجوهر.

١. جوهر اللّه هو الواحد عند النصارى

الجوهر بسيط

يقول الاب صفرونيوس: **أما وحدة جوهر الثالوث فهي وحدةٌ بسيطة نقيّة بلا تركيب، وهي ليست مجموعة طبائع**[1].

فمعنى التوحيد عندهم يعني:

١. أن الجوهر الإلهي واحدٌ لا متعدّد مع تعدّد الأقانيم.

٢. أن الجوهر بسيطٌ وليس مركباً من مجموعة طبائع.

وعليه فإن وحدة الجوهر وبساطته لا تنافي التعدد في الأقانيم أي الأشخاص، وهو ما يعني تعدد الآلهة وإن نفوه، وهذا **تعارُضٌ بيّنٌ بالنظرة الأوليّة.**

(١) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٦٥.

جوهر الله لا ينقسم

يقول الاب صفرونيوس: حياة الله هي حياةٌ واحدةٌ لا تنقسم، والثالوثُ هو الذي يعلن لنا هذه الحياة. **وجوهر الله هو جوهرٌ واحدٌ لا ينقسم، والجوهر الواحد هو عقيدتنا الخاصة بالتوحيد**، توحيدٌ عّلمنا إياه الرب يسوع المسيح والرسل القديسين والآباء[1].

الله تعالى إذاً لا ينقسم من حيث الجوهر، أي أنّ جوهر الله تعالى لا ينقسم ولا يتعدّد، لكن **الأقانيم الثلاثة عندما تتمايز** ويكون الآب غير الابن وغير الروح القدس فإنّ هذا يعني **حصول الانقسام بينها فعلاً**، فيصبح الإله الواحد متعدداً! ولا يقولون بالتعدد! أو يصبح الإله الواحد مركباً! ولا يقولون بالتركيب! **وهذا تعارُضٌ بيِّنٌ مجدّداً!**

ذات الله لا تعدُّد فيها ولا كثرة

يقول القمص سرجيوس: ان المسيحيين يعتقدون بأن **ذات الله واحدة لا تعدُّد فيها ولا كثرة**. وان ذاته الالهيّة قائمة بثلاثة أقانيم وهي كلمة الله وروحه، او الاب والابن والروح القدس.. **وهذا التعدد لا يقدح في الوحدة الحقيقية**[2].

هو لا يقدح بالوحدة عندهم لأنّ الوحدة وحدة الجوهر فقط، فهم قائلون بالتعدُّد فعلاً وإن أُلبِسَ غطاء الوحدة للقول بوحدة الجوهر، كوحدة الطبيعة الإنسانية مع تعدُّد أفرادها بتعدّد البشر.

---

(١) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص٣٧.

(٢) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٥١.

الجوهر واحدٌ ولا يعني ثلاثة آلهة: التناقض أيضا

يقول الاب صفرونيوس: **توحيدُ جوهر الله هو توحيد الإنجيل**، وهو التوحيد الذي يعلِنُ وحدانية الله كمثالٍ للشركة والمحبة، **ليس لأن الله يجمع في جوهره ثلاثة آلهة – كما يظن عديمي الفهم – بل لأن الله في ثالوث، والثالوث هو التوحيد الصحيح**، لأنّه توحيد المحبة، أي التوحيد الذي يعلن محبَّة كاملَة في الجوهر الإلهي نفسه، حيث المُحِبُّ والمحبوبُ والمحَبَّةُ ليست صفات مثل القدرة والرحمة، بل **أقانيم تشترك في حياةٍ واحدةٍ، ولها كيانٌ واحد، جوهرٌ واحد، طبيعةٌ واحدة**، رئاسةٌ واحدة للآب والابن والروح القدس.. لذلك **يأخذ الابن بنوّته من الآب**، ويأخذ الروح القدس انبثاقه من الآب، **ولا يأخذ الآب أبوّته من الابن**، ولكن بدون الابن هو ليس آباً، بل هو الآب بالابن ليس عن احتياجٍ بل عن فيض الصلاح الواحد للثالوث. وعندما نقول إن الآب لا يأخذ، بل يعطي، فإننا هنا نتكلم عن الكيان الإلهي، ولكن من حيث المحبّة هو يأخذ ويقبل محبة الابن ومحبة الروح القدس، محبّةٌ واحدةٌ لا تنقسم[1].

إذا كان الجوهرُ واحداً، والأقانيم أي الأشخاص ثلاثة، والله ثالوثٌ، **فمن ينسب لهم القول بالآلهة الثلاثة لا يكون عديم الفهم** كما يقول الاب صفرونيوس، إنما **يكون مفسِّراً** لكلماتهم، **أو يكون قد ألزمهم بلوازم كلامهم**، ولكنهم لا يلتزمون بها! وهو التناقض مجدداً، فإنّ معنى القول بتعدد الأقانيم هو تعدُّدُ الأشخاص الذين يتّصفون بصفات الإله، أو بجوهر الله، فيصير الآلهة ثلاثة، ولا يقولون بالآلهة الثلاثة! فرجع ذلك للتناقض مجدداً.

---

(١)الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص٧٨.

وحدة الجوهر

ومن كلماتهم في وحدة الجوهر: **الكنيسة تستعمل اللفظة (جوهر).. للدلالة على الكائن الإلهي في وحدته**(١).

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي حول الإيمان الصحيح: **ابنٌ حقيقي حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره.** وهو الحكمةُ وحيدُ الجنس، وهو الكلمة الحقيقي الوحيد لله، وهو **ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً**، ولكنه **مولودٌ حقيقيٌّ من ذات جوهر الآب**، ولهذا فهو **الهُ حقٍّ اذ أنّه واحدٌ في الجوهر مع الآب الحقيقي**(٢).

ويقول: **ان الابن لم يصر من العدم، ولا يحسب في عداد المخلوقات إطلاقاً**، بل هو صورة الآب وهو الكلمة، ولم يكن قط غير موجود، بل موجود على الدوام(٣).

٢. تعدد الأقانيم والتوحيد: التناقض!

مع القول بوحدة الجوهر، وتعدُّد الأقانيم، أي الأشخاص، سيكون الآلهة ثلاثة، لكن النصارى يقولون: لا نقول بآلهةٍ ثلاثة**!** فوقعوا في التناقض الصريح.

ومن كلماتهم في تثليث الأقانيم:

الأقانيم ثلاثة

يقول الاب صفرونيوس: **القدوس ليس واحداً حسب الأقانيم**، بل **ثلاثةٌ**

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية فقرة٢٥٢.

(٢) الشهادة لألوهية المسيح ص٢٢.

(٣) الشهادة لألوهية المسيح ص٣٢.

كلٌّ منهم هو آخر بالنسبة لنا، وكلٌّ منهم هو واحدٌ بالنسبة إلى الطبيعة. لأن البشر كلّ واحد منهم هو آخر بالنسبة إلى الباقين، وكل واحدٍ هو واحدٌ بالنسبة إلى الطبيعة الإنسانية، هكذا تعمل المحبة، فالآخر هو آخر وهو واحد في نفس الوقت، هو آخر متمايز، والتمايز هو أساس الاتحاد، **وهو واحدٌ لأن الوحدة هي الطبيعة**[١].

ويقول في محل آخر: لأن الآب والروح يشتركان مع الإبن المتجسّد في كل شيء يقوله ويعمله **دون أن يتجسّد الآب أو الروح القدس**، بل تجسّد الإبن وحده، **وقد أكد لنا هذا تمايُزَ الثالوث**. فالآب أرسل الإبن، والإبنُ تجسّد من الروح القدس الذي كوّن جسده في أحشاء البتول.. وهكذا تحققنا من أن الله واحدٌ في ثالوث[٢].

تشير هذه النصوص أن الوحدة في الألوهية والتوحيد عندهم هي **وحدة الطبيعة لا وحدة الأقانيم أو الاشخاص** (مع تحفظ بعضهم على كلمة الشخص واستخدام بعضهم لها)، فهي تثبت أن هناك **إلهاً له طبيعةٌ واحدة**، أي أن طبيعة الإله هي طبيعةٌ واحدةٌ، ولكنّ أفراده أو أقانيمه متعددة.. وهذا ما يلزم منه **تعدُّد** الآلهة، بل يعني بنفسه تعدُّد الآلهة، وإن لم يقولوا به بل نفوه صراحة.

بعبارة ثانية: أحمدُ إنسانٌ، وحَسَنُ إنسانٌ، وحسينُ إنسانٌ، لكلِّ واحدٍ منهم طبيعة بشريّة، وهذه الطبيعة البشرية واحدةٌ في الثلاثة، فلا يقال أن لديهم ثلاث طبائع مختلفة، بل هي **طبيعةٌ واحدةٌ لها ثلاثة مصاديق هم: أحمد وحسن وحسين**.

---

(١) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص٤٤.

(٢) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٢٧.

بخلاف ما لو ضممنا سمكةً وطيراً للإنسان، فتصبح الطبائعُ ثلاثة، طبيعة الإنسان وطبيعة الطير وطبيعة السمكة، فهذه ثلاث طبائع مختلفة وثلاث أفراد مختلفين.

ههنا يقول أن **الطبيعة الإلهية واحدة لا تعدُّد فيها**، فليس هناك آلهة متعددة الطبائع، والإله واحدٌ من حيث انتمائه إلى الطبيعة الإلهيّة الواحدة لا من حيث أفراده.

أما من حيث أفراده أو أشخاصه أو أقانيمه فهم ثلاثة، رغم ذلك هو إله واحد! فهو التناقض مجدداً!

الأقنوم والطبائع

يقول الاب صفرونيوس:

كلمة أقنوم.. تعني:

أولاً: ما هو كائنٌ، وله وجودٌ حقيقي.

ثانياً: كما تعني، الكائن الذي نُدرك وجودَه وحياته من خلال علاقته بغيره الذي يشاركه ذات الطبيعة.

فعلى سبيل المثال: بطرس ويوحنا ويعقوب وبولس أربعة أشخاص.. كل منهم له أقنوم خاصٌّ به، هو الكيان **أو الشخص الذي يحمل الإسم الخاص به،** ولكن بطرس ويوحنا ويعقوب وبولس **يشتركون معاً في طبيعة واحدة، هي الطبيعة الإنسانية،** أي الانتماء إلى الجنس البشري الذي له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإنسانية.. نقول إن **بطرس هو أقنومٌ متمايزٌ عن يوحنا بما له من صفات**

إنسانيّة خاصة.. ولكن رغم تمايزهما إلا أن كليهما إنسان.

وعلى نفس القياس -مع الفارق- نقول **إن الإبن هو أقنومٌ إلهيٌّ يتمايز بصفةٍ واحدةٍ هي البنوّة، وإنّه إلهٌ، لأنّه مثل الآب في كل شيء، وله كلُّ صفات الآب، وأعلن لنا ألوهيّته كإبن،** لكي ندرك من بنوّته أنه متمايزٌ عن الآب، وكذلك الروح القدس.. والآب له صفة الأبوّة، فهو أقنوم الأبوّة في جوهر اللاهوت، وهو الذي به يقوم الجوهر الإلهي كمصدر[1].

ويقول أيضاً: **جوهر الثالوث هو أقنوم الآب الذي منه يولد الإبن أزلياً،** ومنه ينبثق الروح القدس، ويصبح للإبن كل صفات وقدرات الآب ما عدا الأبوّة، وللروح كل صفات وقدرات الآب ما عدا الأبوّة، وهكذا يصبح للآب كل صفات وقدرات الإبن ما عدا البنوة، وكل صفات وقدرات الروح ما عدا الانبثاق[2].

ههنا صار جوهر الثالوث هو أقنومُ الآب، وإذا كان جوهر الآب هو جوهر الابن، ولكن الآب قد وَلَدَ الإبن، فلا بدّ أن يكون الابنُ مُحتاجاً للآب، تماما كما لو قلنا بأن **جوهر الإنسان مشتركٌ بين الوالد وولده،** لكنّ الوالد يكون سبباً في إيجاد الولد، ولولاه لم يكن ليوجد، فهو محتاجٌ في أصل وجوده إليه ولو على نحو السببيّة الظاهرية، فكيف يكون الابن إلهاً كاملاً كالآب؟

وما ذكره الاب صفرونيوس من وحدة الطبيعة الإنسانيّة التي يشترك بها أفراد الأسرة، خالفه فيه تماماً القسّ منسَّى يوحنا حين قال أنّ أفراد العائلة

---

(١) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٢٧-٢٨.

(٢) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٦٥.

يتمتعون بثلاث طبائع! فأين هي الطبيعة الإنسانية المشتركة إذاً؟

يقول القسّ منسَّى يوحنا: غير أنَّ الفرق عظيم بين الأشخاص المخلوقين والأشخاص غير المخلوقين؛ فالأشخاص المخلوقين ترى لكُلٍّ منهم طبيعةً مُختصَّةً به، وبها ينفرد عن غيره تمام الانفراد. ففي العائلة مثلاً الأب والأم والولد ثلاثة أشخاص **لكُلّ منهم طبيعة بشرية يُدعى معها إنساناً ويمتاز بها عن غيره، وهم ثلاثة أشخاص بثلاث طبائع. وإنَّما في الله ثلاثة أقانيم أو أشخاص؛ أبٌ وابنٌ وروحٌ قُدُس. وليس لهم، يا للعجب، إلا طبيعة واحدة، فإنَّهم ثلاثة أشخاص في طبيعة واحدة.** فيا له من سِرٍّ عميق، والأغرب من ذلك أنَّه مع كونهم ثلاثتهم ذوي طبيعة واحدة، ترى **كُلًّا منهم مُنفرداً عن الآخر كاملاً بذاته** يتكلم باسمه، فيقول الآب: «أنا خلقت العالم» ويقول الابن: «أنا فديت العالم» ويقول الرُّوح القُدُس: «أنا قدَّست العالم»[1].

فهو يقول أنّ أفراد العائلة الثلاثة لهم ثلاث طبائع مختلفة وليست طبيعة بشرية واحدة! أي أن الطبيعة البشرية تختلف من فرد لفرد، بينما لا تختلف الطبيعة الإلهية بين الآب والابن والروح القدس، وهذا سرٌّ عميقٌ عنده ويستدعي العجب لديه!

وما يستحق العجب فعلاً هو الخبط في كلمات الآباء والقساوسة في فهم حقيقة الطبيعة الواحدة في الإنسان، فضلاً عن فهمها في الله تعالى.

(١) شمس البِر ص١١٧.

التمايز بين الثلاثة!

إذا كان الثلاثة من جوهرٍ واحد، فهل هناك تمايُزٌ بينهم؟ وهل هناك تقدُّمٌ لأحدهم على الآخر؟

يجيب كوستي بندلي فيقول: **فالواحد ليس قبل الثاني في الزمن**، ولكن إذا صح التعبير، يمكننا أن نقول أن **الآب هو قبل الإبن ليس بالزمان ولكن بالنُّطق، أي بالتسلسل، بتسلسلٍ غير زمني**.. لكن نعود فنقول أنّه **مذ كان الآب في الأزل كان ابنُه معه وكان روحُه معه. فإذاً ليس بينهم انفصال ولا فجوة ولا بُعدٌ**، ولكن في نفس الوقت **الواحد ليس الآخر. الآب ليس الابن، الابن ليس الروح القدس، الروح القدُس ليس الآب.**

هناك تمايُزٌ.. بينهم، **تمايُزٌ بلا أفضليّة**.. يعني.. أن الواحد غير الثاني.. الآبُ لا يمكن أن يكون الابن، ولا الابنُ الروحَ القدس، ولا الروحُ القدس الآبَ، **العلاقة بينهم علاقة الصدور**. الإبن صدر عن الآب والروح القدس صدر عن الآب، الإبن بالولادة والروح بالإنبثاق، **وما يجمعهم هو الجوهر الواحد**. أي أن كل ما بينهم مشتركٌ ما عدا صفاتٍ تخص الأقنومية.. الملوكية واحدة أو الربوبية واحدة.. والخالقية واحدة أي أن **الثلاثة اشتركوا في خلق العالم**، كل هذه العبارات تأتي تحت كلمة الربوبية. الربوبية، الأزلية، الأبدية[1].

هو إذاً **تقدّمٌ رُتبيٌّ بين الثلاثة**، فلم تكن هناك مرحلة وُجِدَ فيها الآب بدون الابن والروح القدس، **وهم ثلاثةٌ حقيقةً! لأنّ الآب ليس الابن ولا الروح القدس**، ورغم كون العلاقة بينهم هي الصدور والانبثاق، بحيث صدر الابنُ

(١) مدخل الي العقيدة المسيحية ص٢١١.

عن الآب، إلا أنه **لا أفضلية!**

كيف يكون ذلك؟ كيف يكون أحدهم **صادراً من الآخر ثم لا يكون هناك أفضلية؟! هذا سرٌّ عميق!**

ثم كيف يشترك الثلاثة في خلق العالم، ثم يكون الخالق واحداً؟ وكيف يشترك الثلاثة في صفات الألوهية؟ ثم يكون الإله واحداً؟ إنهم يرونه سرّاً عميقاً لا يمكن إدراكه! **ونراه تناقضاً بيّناً لا يمكن قبوله.**

الآب (غير) الابن.. كالأم وولدها

يقول الاب فاضل سيداروس: إن **الآب والابن هما في ما بينهما في علاقة (الغيرية)**، أي الواحد تجاه الآخر، الواحد أمام الآخر، الواحد مقابل الآخر. **فالواحد هو في خارج الآخر ومتمايزٌ عنه**، والواحد يخرج نحو الآخر ويتّجه نحوه ويَهَبُ له ذاته، **والواحد يُحِبُّ الآخر ويتحاور معه**، والواحد يَقتَبِلُ من الآخر ويبادله. **فمثلما يخرج المولود من أحشاء أمه، يخرج الابن من الآب أمامه ومقابلاً له**[1].

ما أصرح هذا الكلام في المغايرة بين الآب والابن والروح القدس، وما أوضحه في الدلالة على **كيفية خروج أحدهم من الآخر، ولو على سبيل التشبيه**، فإنّ الابن قد خرج من الآب وصار مقابلاً له ويتحاور معه، فكلٌّ منهم غير الآخر.

نقول: اتضح لنا ذلك، **إذاً هم آلهة ثلاثة.**

(١) سر الثالوث الاحد ص٩٦.

يقولون: كلا! ليس الأمر كذلك! **إنّه إلهٌ واحد!** ولا تسعوا خلف إدراك ذلك فهذا يفوق العقول!

التناقض: اثنان، لكن واحد!

يقول القديس أثناسيوس عن الآب والابن: **هما اثنان**، لأن الآب هو آب وليس ابناً أيضاً، وكما ان الابن هو ابن وليس آباً أيضاً، **لكن الطبيعة هي واحدةٌ**، وكلُّ ما للآب هو للابن.. فالابن والآب **هما واحد في ذاتيّة وخصوصيّة الطبيعة**، ولهما نفس اللاهوت الواحد.

فلاهوتُ الابن هو نفسه الذي للآب، ومن هنا أيضاً هو غير قابل للتجزئة، ولهذا فإنه **يوجد إلهٌ واحدٌ وليس آخر سواه**، وبما أنهما (أي الآب والابن) واحدٌ، وبما أن اللاهوت نفسه هو واحدٌ، فكل ما يقال عن الآب يقال عن الابن ما عدا كونه يُدعى آب[1].

نقول: بما أنهما **اثنان حقيقة**، لأنّ كلَّ واحدٍ ليس الآخر، وبما أن الآب ليس الابن، فلا يخلو الأمر من احتمالات ثلاثة:

١. **إما أن يكون الإلهُ واحداً مُرَكباً من الآب والابن**، وهذا ما يرفضه النصارى ويقولون بأن الإله غير مركب لاحتياج المركب إلى أجزائه.

٢. **وإما أن يكون كل من الآب والإبن إلهاً منفصلاً** فيكون لدينا إلهان! لكنهم يقولون بأنه إلهٌ واحدٌ ليس آخر سواه!

٣. وإما أن يكون الكلام **متناقضاً**، فهما اثنان، كلٌّ منهما إله، وكلاهما معاً

(١) الإيمان بالثالوث لتوماس ف. تورانس ص٣١٤.

إلهٌ واحد، وهذا الإله غير مركب ولا متعدد!

نعم هذا هو التناقض بعينه، وليس هذا الكلام مختصّاً بهذا القديس، يقول القديس غريغوريوس النزينزي:

اللاهوت (الله) هو واحدٌ في ثلاثة، والثلاثة هم واحد، والثلاثة فيهم اللاهوت، أو بتعبيرٍ أكثر دقة، **الثلاثة هم اللاهوت (الله)**(١).

وكذلك القدّيس إبيفانيوس: **لا يوجد ثلاثة آلهة، بل إلهٌ واحدٌ حقيقيٌّ**، لأن الابن الوحيد المولود هو واحدٌ من واحد، وواحدٌ أيضاً هو الروح القدس الذي هو واحدٌ من واحد، أي **ثالوثٌ في وحدة**، وهو **إلهٌ واحد: آبٌ وابنٌ وروحٌ قدس**(٢).

فهل هو مركبٌ من ثلاثة؟ كلا، هل هم آلهةٌ ثلاثة؟ كلا، إذاً الآب هو الابن وهو الروح القدس؟ كلا أيضاً! التناقض مجدداً، وصار الثلاثةُ واحداً! وسقطت كلُّ العلوم البشرية وتعطّلت العقول أمام هذه العقيدة!

الفروقات بين الأقانيم: يختلفون ولكنّ الثلاثة هم واحد!

يقول **القمص سرجيوس**: أعلن الله تعالى لنا في كتابه المقدس أن **الأقانيم الثلاثة في ذاته الواحدة ليست صفات، ولا أسماء**، بل هم ثلاثة أقانيم في ذاته الواحدة وذلك لأن:

أولاً: **كل أقنوم يتخذ مظهراً خاصاً**..

---

(١) الإيمان بالثالوث لتوماس ف. تورانس ص٣١٤.

(٢) الإيمان بالثالوث لتوماس ف. تورانس ص٣١٤.

ثانياً: **وكل أقنوم يتكلم مع الآخر أو عنه..**

ثالثاً: **الأقانيم يرسل أحدها الآخر ويخرج الواحد من عند الآخر ويرجع إليه..**

رابعاً: **يُنسب لكل أقنوم عمل خاص**[1].

ويقول: بناءً على ذلك لا يمكن أن يكون هؤلاء الأقانيم صفات ولا أسماء بل هم أقانيم ثلاثة يتميّز الواحد عن الآخر من حيث الأقنومية، وإذ ذاك يكون إيماننا بالآب والابن والروح القدس **ليس تعليماً بشرياً بل هو وحيُ الله المعلن في** التوراة والإنجيل.. هؤلاء الأقانيم الثلاثة هم أقانيم متميزون عن بعض من جهة الأقنومية، الا أننا **لا نعتقد أنهم منفصلون عن بعض كانفصال حنّا ومتى وبطرس، ولا أنه يوجد تفاوت بينهم في الزمان أو المقام او الصفات.. انما نعتقد أنهم متّحدون في الجوهر متساوون في سائر الصفات والكمالات الالهية.. هؤلاء الثلاثة هم واحدٌ وليسوا ثلاثة آلهة**[2].

ولنحطّ الرحال قليلاً مع القمص سرجيوس.. لقد استشعَرَ وتلمَّسَ القمص من النقاط الأربعة التي ذكرها أن ذلك سيؤول إلى إثبات الآلهة الثلاثة، لأنّ الآب ليس هو الابن، وما يُنسَبُ له لا يُنسَبُ للابن، ولكلٍّ مظهرٌ خاصٌّ، فليس الآب هو الابن، وستكون **النتيجة الطبيعية لذلك هي القول بالآلهة الثلاثة،** وهو ما يناقض توحيد الكتاب المقدّس، فلجأ إلى ما عَدَّهُ المهرب والخلاص من ذلك بقوله أن هذا الاعتقاد (ليس تعليماً بشرياً)**!** بل وحيُ الله المعلن في الكتاب

---

(١) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٢٢ وما بعدها.

(٢) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٢٦.

المقدس!

أما كيف يكون ذلك؟ يكتفي **بأنّه لا يعتقد أن الثلاثة منفصلون** كانفصال حنا ومتى وبطرس!

ولكن.. ماذا يعني أنهم غير منفصلين؟ هل يعني أنهم **متمازجون معاً**؟ سيوصلنا ذلك إلى القول بالتركيب ولا يقولون به.

أم يعني أنهم ثلاثةٌ وواحدٌ في نفس الوقت بما لا يمكن أن ندركه؟

نحن **نزعم أن هذا مستحيلٌ**، أن يكون **الثلاثة في الحقيقة واحداً في الحقيقة**، كله من نفس الجهة وفي نفس الوقت ومن نفس اللّحاظ، إنه **أمرٌ يحكم العقل باستحالته**، لكنّه يقول به لزعمه أنه عقيدة الكتاب المقدس!

الله ليس فيه انفصالٌ ولا أجزاء: لكن كل أقنوم غير الآخر!

يحاول الراهب القمص فليمون الأنبا بيشوى حل الإشكال المتقدم بأسلوب مختلف، حيث يذهب إلى أن **الاختلافات بين الآب والابن هي تعبيراتٌ بشريّة**، وعليه فعندما نقول أنّ الآب يخاطب الابن فهو لا يخاطبه بالحقيقة كما يخاطب أحدنا الآخر، وإنما عبّرنا من ضيق الخناق بالتعبيرات البشرية، دون أن يكون في ذلك أيّ تركيبٍ في الله تعالى ولا أجزاء ولا انفصال.

يقول: حينما نقول أن: الآب يخاطب الابن، او الإبن يخاطب الآب، أو الآب يرسل الابن، نقول **إنها تعبيراتٌ بشريّة، ولا نعني بها إطلاقاً أنّ هناك انفصال بين الأقانيم.. فالله ليس فيه انفصالٌ ولا أجزاء، لأنّه: روحٌ بسيط**.. إنما نعني: **تمايُزَ الأقانيم**.. إظهار الأقانيم للبشر. وأنّه لا يوجد تضادٌّ في عمل الثالوث

ولا ثنائيّة في العمل.. إنما هم واحدٌ في الجوهر.. كلُّ شيء بالآب في الإبن في الروح القدس[١].

هل نتخلص بهذا من الإشكال فعلاً؟ نعم يمكن ذلك لو قلنا بأن الاعتقاد بكون الخطاب بين الآب والابن هو تعبيرٌ مجازي، **على أن يترتب على ذلك القول بعدم التمايُزِ حقيقةً بين الآب والابن**، فيكون الآبُ هو الابنُ وهو الروحُ القدس، وتكون هذه الألأفاظ الثلاثة (آب وابن وروحٌ قدس) تعبيراتٌ مختلفةٌ عن شيءٍ واحد، كما لو قلنا بأن الله تعالى هو الخالق وهو الرازق وهو المنتقم، فهي صفاتٌ ثلاثة تدلُّ على إلهٍ واحد، وليس لكلّ اسم من هذه الأسماء الثلاثة وجودٌ حقيقيٌّ مقابلَ وجود الله تعالى، ولا خطاب حقيقي بينها.

فلو كان هذا هو مراد القمص، لأمكن حلّ الإشكال، لكنه لا يريد هذا المعنى قطعاً، بل **يُصِرُّ كما هي عقيدة النصارى على أنّ الآب ليس الابن، والابن ليس الآب**، ولا هما الروح القدس**!** فرجع الإشكال من الباب الواسع، حيث يُثبِتُ وجود ثلاثة أقانيم أو أشخاص متمايزة، لكلٍّ منها صفات الألوهية، فيقول: **تمايز الأقانيم ليس بمعنى امتياز واحد عن الآخر، إنما تمييزهم عن بعض.. الآب ليس هو الإبن. الإبن ليس هو الآب. الروح القدس ليس هو الآب أو الابن**. إنما هم جوهرٌ واحد: فأقنوم الآب هو الآب، والإبن هو الإبن، والروح هو الروح. أنا والآب واحد.. **ليس معناهاً أن أقنوم الآب وأقنوم الإبن أقنومٌ واحد.. بل هما أقنومان متمايزان، فَهُما اثنان في الأقانيم وواحدٌ في الجوهر**.. لأنّ جوهر الله واحد،

---

(١) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص٧.

لذا: لا انفصال في الأقانيم.. ولا افتراق ولا تشويش.. ولا اختلاط[١].

لا انفصال ولا افتراق! ولا وحدة بينهما في غير الجوهر! إذاً هم ثلاثة آلهة! يقول: كلا ليسوا ثلاثة آلهة!

يقف العقلُ عاجزاً عن فهم كلماتهم، هل يا ترى فهموا أنفسهم معنى هذا الكلام؟ تابع معنا أيها القارئ الفَطِنُ لترى.

كلّ أقنوم يملك الجوهر بتمامه

يقول الشماس اسبيرو جبّور: **في اللاهوت، الأقنوم يمتلك الجوهر. الألوهة الواحدة موجودةٌ برمّتها في كلٍّ من أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس**. النبرة لدى الآباء موضوعة على الوجود الشخصي للأقانيم.. الأقانيم الثلاثة يملكون الجوهر الواحد بالتمام. **هو ملك كلٍّ من الأقانيم ملكاً تاماً. هو غير منقسم بينهم**. هو لا يتجزأ. **هم ثلاثة أما هو فواحد**[٢].

إذا كانت الألوهة برمّتها موجودة في كلّ أقنوم، فهذا يعني أن كلَّ واحد منها إلهٌ، وهم ثلاثة، فيكون الآلهة ثلاثة. ولا يقبلون بذلك!

مع أن هذا هو **الفهم الطبيعي العقلائي لمثل هذه الكلمات**، إذ كيف يملك كلُّ واحدٍ منهم الجوهر بتمامه، دون أن ينقسم ولا يتجزأ، ثم يكون كلُّ واحدٍ منهم غير الآخر، ثم يكون الثلاثة واحداً؟!

وأدلُّ دليلٍ على الاختلاف هو تجسُّدُ أحدهم دون البقية، وكون أحدهم

---

(١) سر التثليث والتوحيد من هو الله ج٣ ص٨.

(٢) سر التدبير الإلهي التجسد ص٨٠.

مصدراً للبقية.

ثم كيف يجتمع ذلك مع كون الجوهر بتمامه محفوظاً في كل منهم؟!

الأقانيم متساوية في الصفات

يقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: في الثالوث المسيحي **الأقانيم داخل الله الواحد متساوية في كل شيء، فهي متساوية في الصفات، الآب يساوي الابن، ويساوي الروح القدس**[١].

ويقول: **الأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر، لهم علمٌ واحدٌ ومشيئةٌ واحدة وقوّة واحدة، فليس في اللاهوت ثلاثة عقول أو ثلاث مشيئات أو ثلاثة مصادر للقوة**، فلقد قال السيد المسيح: لأن مهما عمل ذاك (الآب) فهذا يعمله الابن كذلك[٢].

ويُنقَضُ عليه بأنّه كيف يكون أحدهم علّةً للآخر ومصدراً لعلومه ثم يكون مساوياً له في الصفات؟ فإذا كان أحدهما قد صدر عن الآخر **فالصادر مُحتاجٌ إلى من يصدر عنه، والصادر عنه غير محتاج، فيكون الأول قويّاً غنيّاً والثاني محتاجاً مفتَقِراً**، كما نصّ على ذلك عيسى عليه السلام وقال أنّ كلّ ما عنده من الله.

فكيف تكون القوّة واحدةً؟ وقوّة أحدهما مستمدَّةٌ من الآخر؟

العلاقة بين الثالوث

نحاول أن نتبيّن عقيدة القديس أثناسيوس بطل الثالوث مما ينقله عنه

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٩٩.

(٢) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١٠٠.

الكُتّابُ النصارى فضلاً عما نقلنا عنه في كتبه، فيقول حول عقيدته توماس ف. تورانس: لقد كان مفهوم أثناسيوس الأساسي أنّه بها **أن كيان الابن بكامله مطابقٌ تماماً لكيان الآب، وبها أنّهما واحدٌ في ذات الطبيعة وفي ذات اللاهوت، فكلّ ما يقال عن الآب يقال عن الابن ما عدا كونه آب**. وإذا كان (الابن له كل ما هو للآب) وبالحقيقة هو نفسه (الكل) الذي للآب، **واذا كان الابن هو (الله بكامله وكماله)**، فبالحقيقة يكون هو أيضاً بالتأكيد أصل أو مبدأ الوجود مع الآب.. **فالآب والابن والروح القدس هم واحدٌ بلا انقسام**، وهم أزلياً في تواجد (احتواء) متبادل، **كلٌّ منهم في الآخر**، بكونهم الثالوث القدوس المبارك، ولكن هم (لاهوت واحد ورئاسة واحدة) أي أن الله مثلث الأقانيم، الثالوث غير المنقسم، هو وحده الرأس أو المبدأ المطلَق لكل الأشياء.. **فكلّ أقنوم هو الله بأكمله، وكل أقنوم هو (كل ما هو الله منذ الأزل)**[1].

كلٌّ أقنومٍ هو الله بأكمله، والأقانيم ثلاثة، والثلاثة هم واحدٌ بلا انقسامٍ ولا تركيب!

هنا يتوقف القلم قليلاً.. يراجع الفكرُ حساباته، هل يمكن أن نقبل مثل هذه الكلمات؟! **هل هي شطحاتٌ أم نكاتٌ يلقيها هؤلاء العلماء؟ أم أنها عقيدةٌ ربّانيّةٌ عميقةٌ لا يمكن للعقل أن يدركها؟!**

نستذكر كلمات الكتاب المقدس حول أهميّة الحليب العقلي كما وردت في مقدمة الكتاب.. لنرى أن الاعتماد على الكتاب المقدّس يُحَتِّمُ علينا مراجعة العقل في أمهات المسائل الاعتقادية، فنرى أنّ **العقل يقول بتناقض هذه العقيدة، فكيف**

(١) الإيمان بالثالوث لتوماس ف. تورانس ص١١٤.

يكون الواحدُ حقيقةً ثلاثة حقيقة؟! ولو سقط العقل لسقطت معه كل الحجج والبراهين المنطقية.

الأقانيم الثلاثة ليست آلهة ثلاثة

ينقل القمص سرجيوس عن ابن العسّال قوله: **العلَّةُ في قولنا ان الله ثلاثة أقانيم هي أن الانجيل المقدس نطق بذلك، وكل من يعتقد من النصارى أن الاقانيم المذكورة ثلاثةٌ آلهة مختلفة او متّفقة او ثلاثة أجزاء مبضعة، أو ثلاثة أشخاص متفرقة، او ثلاثة قوى مركبة، او غير ذلك مما يقتضي التشبيه والتجزئ والتبعيض وغير ذلك.. فهو كافر**[١].

غريبٌ جداً هذا الكلام.

لقد تصفحنا الكتاب المقدس من أوّله إلى آخره **فلم نجد فيه أيّ دليل صريح على الأقانيم الثلاثة! فكيف يلتزم النصارى بعقيدةٍ غير مفهومة يناقضُ أولها آخرها؟** ثم ينسبها ابن العسّال وغيره الى الكتاب المقدَّس؟

كيف لنا أن نقول بأن الأقانيم ثلاثةٌ ولكلٍّ منها صفاتُ الإله ثم إن قلنا أنّهم آلهةٌ ثلاثة صرنا كفاراً؟!

لا تشبيه ولا تجزئة ولا تبعيض ولا تركيب، ولا تفرقة بين الثلاثة.

فهو كيانٌ بسيطٌ لأنه غير مركب، ومع بساطته له ثلاثة أقانيم أو أشخاص، وبين الأشخاص تمايُزٌ، فكلٌّ منها غير الآخر، ولكن من قال أنّهم ثلاثة متفرقة فهو كافر!

---

(١) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٤٣.

لم يعد مفهوماً ما يريد ابن العسال قوله ولا قومه! فهل فهموا هم ذلك؟ لنتابع معهم ونرى.

لا نعترف بثلاثة آلهة

في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية: **الثالوث واحدٌ. إننا لا نعترف بثلاثة آلهة، بل بإلهٍ واحدٍ بثلاثة أقانيم:** ..**فالأقانيم الإلهيّة لا يتقاسمون الألوهة الواحدة ولكن كلَّ واحد منهم هو الله كاملا:** الآبُ هو ذات ما هو الابن، والابنُ هو ذات ما هو الآب، والآب والابن هما ذات ما هو الروح القدس، أي **إلهٌ واحدٌ بالطبيعة.** كلُّ أقنومٍ من الأقانيم الثلاثة هو هذه الحقيقة أي الجوهر، والإنيّة أو الطبيعة الإلهية[١].

وفيه: الأقانيم الإلهية **متميزون تميُّزاً حقيقياً في ما بينهم:** الله واحد ولكنه غير متوحِّد.. إنهم متميّزون تميُّزاً حقيقياً في ما بينهم: **الذي هو الابن ليس الآب، والذي هو الآب ليس الابن، ولا الروح القدس هو الآب أو الابن**[٢].

لم تنقسم الألوهة الواحدة بينهم، أي أن **القدرات الإلهية ليست منقسمة بين الثلاثة،** كَأَن يُقال بأنّ الأوّل يخلق والثاني يرزق والثالث يعاقب، بل **كلُّ واحدٍ منهم يتمتع بكلّ صفات الألوهيّة الكاملة،** لذا قالوا أن (كلَّ واحد منهم هو الله كاملاً).

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٦ فقرة ٢٥٣.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٦ فقرة ٢٥٤.

إذاً الآبُ هو الله، والابنُ هو الله، والروحُ القدس هو الله.

وبما أن الآب ليس الابن، والابن ليس الروح القدس، صار عندنا ثلاثةٌ يطلق على كلٍّ منهم أنه الله، فصار عندنا ثلاثة آلهة.

يقولون: **كلا! ليسوا ثلاثة آلهة، إنما إلهٌ واحدٌ بسيطٌ غير مركب وغير متجزئ!**

عدنا إلى حالة الضياع نفسها.

وهي تظهر جليةً في كثيرٍ من كلماتهم، وإن عدُّوها واحدةً من أقوى محاولاتهم في الدفاع عن عقيدتهم، يقول عوض سمعان: إنّنا **لا نؤمن أنّ الآب إله، والابن إله، والروح القدس إله، حتى يصح الاعتراض بأننا نؤمن بثلاثة آلهة. بل نؤمن أن الآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله.** ولا مجال للاعتراض على ذلك إطلاقاً، لأنّه بما أن جوهر الآب (وهو اللاهوت) هو نفسه جوهر الابن وهو نفسه جوهر الروح القدس، وبما أن اللاهوت أو الله واحدٌ ووحيدٌ ولا يتجزأ أو يتفكك على الإطلاق، إذاً فلا غبار على القول إن كلاً منهم هو الله وإنهم معاً هم الله[1].

فكيف يكون كل واحد منهم هو الله دون أن يكون إلهاً؟ أليس عيسى هو الله؟ والله هو الإله؟ والروح هو الله؟ والله هو الإله؟

ههنا يَعثُرُ العقل معهم، إن ما يقولونه مما لا يقبله العقل بوجه، فما موقفنا منه؟ لنتابع معهم.

---

(١) الله في المسيحية ص٢٢٣.

الأقانيم الثلاثة إله واحد

يقول القديس توما الأكويني: **لا بد من اثبات المساواة في الاقانيم الالهية،** لأنّ المساواة تُقال بنفي الأكثر والأقل.. **لو لم يكن في الاقانيم الالهيّة مساواةٌ لما كان لها ذاتٌ واحدة، فلم تكن الأقانيم الثلاثة إلهاً واحداً وهذا محال.** فإذاً لا بد من اثبات المساواة في الاقانيم الالهية[1].

ويقول: **الذات الالهية ليست ذات الآب بأكثر مما هي ذات الابن.** فاذاً كما ان الابن حاصلٌ على عظمة الآب وهو معنى كونه مساوياً للآب، كذلك الآب حاصل على عظمة الابن وهو معنى كونه مساوياً للابن[2].

معنى المساواة هنا هو المساواة في الجوهر، وبالتالي **فلا تنافي في كلماتهم عند قولهم أنّ الاب مساوٍ للابن، وأنّه غيره،** فهو مساو له في الجوهر، وهو غيره في الأقنوم اي الشخص.

وعليه يرجع الامر للآلهة الثلاثة، ولا يقولون به! إنه التناقض مجدداً.

٣. هل الأقنوم هو الشخص؟

تقدّم في كلام جملة من علماء النصارى التصريحُ بأن الأقنوم هو الشخص، ما يعني أن هناك ثلاثة أقانيم أو أشخاص كلُّ واحدٍ منهم هو الله، **وهذا يعني تعدُّد الآلهة، ولا يقولون به!** فهل اتفقت كلمتهم على ذلك؟

يُلاحظ أن للنصارى مذاهب في تحديد المراد من الأقنوم، ومن أقوالهم في

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٥٠٤.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٥٠٦.

ذلك:

القول الأول: الأقنوم هو الشخص

تقدمت بعض كلماتهم في ذلك، ومنها أيضاً ما ورد في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: **واللفظة (شخص) أو (أقنوم) للدلالة على الآب،** والابن، والروح القدس في التمييز الحقيقي في ما بينهم[١].

وهذا اعترافٌ من أعلى سلطة كنسية كاثوليكية معاصرة بإشراف البابا يوحنا بولس الثاني باستعمال الشخص او الأقنوم للدلالة على واحد من الثلاثة. **فيصير الله ثلاثة أشخاص أو ثلاثة أقانيم. مع كونه إلهاً واحداً!**

وقال المطران يوحنا زيزيولاس: الحقيقة الأساسية وهي أن **الكائن** = **الشخص** = **الأقنوم**[٢].

وقال القمص سرجيوس: الاقنوم كلمة يونانية الأصل، **معناها الوضعي يقرب من معنى كلمة شخص**[٣].

يقول الأب هنري بولاد اليسوعي: **إن كلمة (أقنوم) تعنى (شخصاً).** فنقول إنَّ الآب أقنوم والابن أقنوم والروح القدس أقنوم. لماذا لا نستخدم كلمة (شخص) ونقول إن الله واحد في ثلاثة أشخاص؟ لقد رفضت الكنيسة استخدام كلمة (شخص)، لأنَّ هذه الكلمة قد توحي لبعض الناس بكائنٍ بشريّ له حدوده

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٢٥٢.

(٢) الوجود شركة ص٦١.

(٣) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٥٥.

وشكله وملامحه. فتحاشياً لكلّ تصوّر خاطئ ولكلّ تحديدٍ للأشخاص الإلهيّة، لجأت الكنيسة إلى كلمة غير عربيّة، مصدرها سريانيّ. وقد **استخدمت كلمة أقنوم في اللاهوت المسيحيّ للإشارة إلى الأشخاص الإلهيّة الثلاثة**. وهي لا تُستخدم في أيّ مجال آخر غير هذا المجال[1].

ولمّا كان معنى الأقانيم الثلاثة أشخاص ثلاثة، فإنّه سيوصل إلى **القول بالآلهة الثلاثة حتماً**، وإن لم يقولوا به**!**

وهذا القول ينسجمُ مع عقيدتِهم بكون التوحيد مختصّاً بالجوهر فقط.

وكلماتُهم التي ذُكِرَ فيها ما يؤكد إرادة الشخص من الأقنوم كثيرةٌ، وهذا أبو رائطة التكريتي عندما يقارن بين جوهر الثلاثة وبين جوهر الإنسان يقول مجيباً عمن قال (فليوصف هذه الثلاثة أقانيم آلهةً ثلاثةً كنحو ما قيل عن الناس)، يقول:

إنّه وإن كانوا يُسَمّون أناساً شتى فإنما يُعنى بذلك أقانيم شتى، لا جواهر شتى، **لأنّ اسم الانسان إنما هو اسم الجوهر العام**، ولذلك اشترك في اسمه جميع الأقانيم، **فأمّا اسم القنوم الواحد: فكعبد الله وموسى وهارون، وغير ذلك**..

فإن قالوا: **فإذا صار اسم الله عندكم اسم الجوهر العام**، فلا ينبغي لكم أن تصفوا كل واحد منها إلهاً دون ثلاثتها..

يقال لهم: فإنّه وإن كان اسم الله اسم جوهرٍ أي اسم ثلاثتها، فقد يستحقّ كل واحد منها التسمية باسم العام، لأنّه ليس بمخالفٍ في ذاته ذاتَ غيره من

---

(١) منطق الثالوث ص١٧.

الأقانيم التي هي معه جوهرٌ عام، كاسم الذهب العام لكل الذهب[١].

فقد جعل أسماء الأشخاص كعبد الله وموسى وهارون أسماء أقانيم للناس، مثلها مثل الأقانيم الثلاثة، وكونُ الآب مصداقاً من مصاديق الجوهر العام يجعله واحداً، وكون عيسى مصداقاً آخر يجعله ثانياً، والروح القدس ثالثاً، فيثبُتُ بهذا كون الآلهة ثلاثة، ولا يقولون به، وهو نموذج آخر للتناقض.

تماماً كما لو قيل بأن القطع الذهبية الثلاثة مصداقٌ لعنوان الذهب، فيصدُق على كلّ واحدةٍ منها أنّها ذهبٌ، ويصدق عليها جميعها أنّها ذهب، وتتّصف كلّها بصفات الذهب، وتكون إحداها متمايزة عن الأخرى، فهذا يُثبِتُ كونها ثلاثة على نحو الحقيقة وإن كان جوهرها واحداً، فلو زعم شخصٌ أنّها مع ذلك واحدٌ على نحو الحقيقة نسبناه إلى الحماقة والجهل، لمخالفته بديهيات العقل بجمعه بين المتناقضين.

فكيف يجتمعُ المتناقضان في باب التوحيد فيكون الله هو الآب والله هو عيسى والله هو الروح القُدُس، وفي الوقت نفسه الله واحدٌ حقيقةً؟ ما لم تكن الوحدة مختصّةً بالجوهر، والمصاديقُ متعدّدة، فيخرج حقيقةً عن كونه واحداً، ومع الالتزام بأنّه واحدٌ حقيقيةً، ومتعدِّدٌ حقيقةً لتمايز كل من الثلاثة عن الآخر وثبوت أن أحدَهم ليس هو الآخر، يكون الواحدُ مساوياً للثلاثة حقيقةً، فلا مفرّ من التناقض المخالف لحكم العقل القطعيّ!

هذا كله بناءً على القول الأوّل من أنّ الأقنوم هو الشخص.

---

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٩٨.

القول الثاني: الأقنوم ليس الشخص بل التَعَيُّن

بعدما تبيّن أن الأقنوم هو الشخص، وبعدما أوقع ذلك في مشكلة التناقض العويصة، حاول بعض الباحثين النصارى تغيير معنى الأقنوم عن الشخص، يقول عوض سمعان: **الأقنوم أو القنوم كلمةٌ سريانيةٌ يطلقها السريان على كل من يتميّز عن سواه.. ولذلك فإنّه يُراد بالأقنوم (التَعَيُّن)**[1].

ويقول: ليس لكلمة (أقنوم) مرادفٌ في اللغة العربية أو غيرها من اللغات يؤدي معناها تماماً، لأنّ **كلمة (شخص) العربية وما يرادفها في اللغات الأخرى تدلّ على الذات المنفصلة عن غيرها، والأمر ليس كذلك من جهة كلمة أقنوم**[2].

نقول: لو سلّمنا أنّ هذه الكلمة لا مرادف لها في اللغة العربية ولا في غيرها من اللغات، إلا أن هذا لا يمنع من توضيح المراد منها ولو بجملة، أو فقرة أو حتى كتاب!

فنسير معهم لمحاولة فهم المراد من هذا التعيُّن، هل التعيُّن هو (التَشَخُّص)؟ هل يراد من التعيُّن التحقُّق في الواقع؟ أم في الذهن؟ أم يمكن أن يكون التعيُّن في الحيثية والجهة؟

لا شكّ أنّ التعيُّن مع القول بأن كُلّ واحد من الأقانيم ليس هو الآخر سيؤدي إلى القول بالاختلاف بينها ولو لم يُرَد من الأقانيم الأشخاص، لأنه إن كان الآب ليس الابن فإنّ تعيُّن الآب مختلفٌ عن تعيُّن الابن، وإلا صار الآب والابن واحداً والأمر ليس كذلك عندهم.

---

(١) الله في المسيحية ص١١٦.

(٢) الله في المسيحية ص١١٦.

وإذا سُئِلَ عوض سمعان عن الفرق بين الأقنوم والشخص، لكي يتضح مراده فلا تُحَمَّل كلماته ما لا تحتمل، يجيب سمعان قائلاً:

كلمة (الأقانيم) تختلف عن كلمة (الأشخاص) من ناحيتين رئيسيتين:

١. **الأشخاص هم الذوات المنفصل أحدهم عن الآخر، أما الأقانيم فهم ذات واحدة هي ذات الله.**

٢. **إن الأشخاص وإن كانوا يشتركون في الطبيعة الواحدة، إلا أنه ليس لأحدهم ذات خصائص أو صفات أو مميزات الآخر.** أما الأقانيم فمع تميّز أحدهم عن الآخر في الأقنوميّة، **هم واحدٌ في الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميّزاته، لأنّهم ذات الله الواحد.** فالأقانيم في المسيحية هم **تَعَيُّنات اللاهوت، أو تَعَيُّن اللاهوت الخاص،** أو هم اللاهوت مُعَيّناً، فإنّ جوهر الله هو عين تعيُّنِه، وهم تعيُّنُه أو إياه معيّناً، لأن الأقانيم ليسوا تعينات في الله، بل هو ذات الله أو بالحريّ هم عين ذاته (لأنه تعالى لا تركيب فيه)، لذلك لا يقال إن الأقانيم في الله، أو إن الله يشتمل على الأقانيم، بل يقال **إن الأقانيم هم الله، والله هو الأقانيم.. الأقانيم ليسوا ذواتٍ منفصلة، بل هم ذاتٌ واحدة، هي ذات الله**[1].

فهو يقول أنّ الناس وان اشتركوا في الطبيعة البشرية، إلا أن خصائصهم مختلفة، فليست خصائص البشر سواءً من الناحية الجسدية والعقلية والنفسية وغيرها، أما خصائص وصفات وميِّزات الأقانيم الثلاثة فهي متساوية، وعليه: فإن الفارق ليس في عدم الامتياز، **وإلا لكان الثلاثة قد صاروا واحدا،** إنما الفارق

(١) الله في المسيحية ص١١٧.

في أنّهم مع امتيازهم تكون خصائصهم واحدة.

وعند مناقشة مثل هذه المعتقدات، بل عند كلّ حديث عن الله سبحانه وتعالى، ينبغي أن **نُنَزِّه ألسنتنا، فلا نشبّه الله تعالى بمخلوقاته.**

لذا لن يكون بمقدورنا المقارنة بين الخالق جلّ وعلا وبين مخلوقاته، بل نقارن بين نموذين مختلفين من الأدوات المادية التي نستعملها، تتّحدُ في الخصائص في نموذجٍ وتختلف في آخر.

أما الخصائص المختلفة، فمثلاً: لدينا ثلاث سيارات من شركات مختلفة، كلّها تشترك في كونها وسائل نقلٍ تنقل الإنسان من مكان لآخر، لكنها **تختلف في جودتها وسرعتها وقدرتها على السير في الأماكن الوعرة وغير ذلك.**

ولدينا ثلاثة كرات قَدَمٍ صُنعت في معملٍ واحدٍ من مادةٍ واحدة، **لا تختلف في الجوهر ولا في الخصائص والميزات.**

في المثال الأول لا فرق في الجوهر، إنما **يُلاحَظُ الفرق في الخصائص والميّزات.**

أما في المثال الثاني، **فلا فرق في الجوهر ولا في الخصائص والميزات**، ولا تَعَدُّد إلا في التَعَيُّنات أ والتشخّصات.

ولكن في المثالين معاً، هناك **مصاديق ثلاثة مختلفة ومنفصلة ومتباينة ومتمايزة**، وان اشتركت في الجوهر والخصائص، أو اشتركت في الجوهر وافترقت في الخصائص.

فلو سرنا مع سمعان في ما فرّق به بين الأقنوم والشخص، لوجدناه (على

فرض صحة كل كلامه) كحال المثال الذي مثّلنا به تماماً، فإنّ **وحدة الجوهر بين الأقانيم الثلاثة لا تنفي تعدُّد الأشخاص لتعدّد التعيّنات**، ولو لم يكن هناك اختلافٌ في الخصائص.

وعليه حتى لو كان المراد من الأقنوم هو التعيُّن وليس الشخص، سيوصلنا ذلك إلى **تعدُّد الأشخاص، ومن ثمّ تَعَدُّد الآلهة**، ولا يقولون به**!** إنه **التناقض نفسه**.

وهذا ليس قول سمعان وحده، بل شاركه فيه عددٌ من علماء النصارى، منهم هلال أمين في بداية شرحه لانجيل يوحنا بعد اعترافه بأن المقابل للأقنوم هو (شخص)، حيث قال: **وكلمة "أقنوم" كلمةٌ سريانية يقابلها في العربية كلمة "شخص"، وقد استعملت الكلمة السريانية بدل العربية لأن كلمة "شخص" تفيد الشخصيّة المتميزة المنفصلة، ولكن كلمة أقنوم تفيد الشخصية المتميزة المتحدة**، ولذلك فهي أقرب كلمة للتعبير عن أقانيم الله الثلاثة.

ويقول وليم ماكدونالد في نفس المورد من شرحه: يُعَلِّم الكتاب المقدس بوجود إلهٍ واحدٍ وثلاثة أقانيم في اللاهوت: الآب والابن والروح القدس. **فكُلٌّ من هذه الأقانيم الثلاثة هو الله؛ والله هو كُلُّها**.. ويطالعنا هنا الإعلان الأول من جملة عدّة إعلانات أخرى واضحة في هذا الإنجيل بأنَّ يسوع المسيح هو الله. لذلك لا يكفي القول إنه كان إلهاً، ولا إنه كان "على شبه الله"، ولا الزعم بأنَّه يحمل سماتٍ إلهية. فالكتاب المقدس يعلِّم عنه صراحة بأنه الله. (انتهى).

فلم يرتفع إشكالُ التناقض على هذا المبنى أيضاً، ولا ينفع الالتزام بأنّ هذه الأقانيم (متميّزة متّحدة)، لأنّ الاتحاد في قولهم (الشخصية المتمايزة المتّحدة) **هو**

في الجوهر فقط، والتمايُزُ ثابتٌ **بمعنى أنّ كلّ واحدٍ منها ليس الآخر**، وعلى هذا فإشكالُ التناقض باقٍ.

القول الثالث: الأقنوم هو الخواص او الصفات الذاتية

في محاولةٍ ثالثة للتخلُّص من الإشكال، ذهب بعضهم إلى أن الأقانيم الثلاثة هي خواص ذاتية، أو صفات ذاتية في الله تعالى.

ولعلّه إليه يشير ما ورد في مقدمة ترجمة ابن العسّال للأناجيل الأربعة: ونقدّس اسمه الكريم تقديساً واجباً، لما أطلعنا عليه من أسرار الإيمان، وتوحيد جوهره وذاته، **وتثليث أقانيمه وصفاته**(١). وفي مقدمة إنجيل لوقا: بسم الواحد بالذات، **المثلّث بالصفات**(٢)، وفي مقدمة إنجيل يوحنا: **بسم الإله الواحد بالذات المثلث الصفات**(٣).

يقول القمص إبراهيم لوقا: لأن وقوع القسمة في الروحيّ البسيط منفيٌّ منطقياً.. إنما **تكون هذه القسمة في الخواص الإلهية، التي هي صفات الآب والابن** والروح القدس. فوجوده عبارة عن صفة الأبوّة، ونطقه عبارة عن صفة البنوّة، وحياته عبارة عن صفة الانبثاق(٤).

ويقول الشماس الإكليريكي د. سامح حلمي: الأقنوم كلمةٌ سريانية.. تعني حرفياً تحت الكيان، أو ما يقوم عليه الكيان الإلهي، **فكلمة أقنوم تعني**

(١) المقدمة العامة في المخطوطات، من ترجمة الأناجيل الأربعة ص١.

(٢) مقدمة إنجيل لوقا، من ترجمة الأناجيل الأربعة لابن العسال ص٢٨٩.

(٣) مقدمة إنجيل يوحنا، من ترجمة الأناجيل الأربعة لابن العسال ص٤٧٩.

(٤) المسيحية في الإسلام ص٢٠.

خاصيّة أو صفة ذاتيّة في الله تقوم عليها الذات الإلهية، وبدونها ينعدِمُ قيامها.. ان الاقانيم الثلاثة ليست أجزاء أو أقساماً في الجوهر الإلهي الواحد، لأن لله جوهراً بسيطاً لا يقبل التجزئة أو التقسيم، وإنما **الأقانيم الثلاثة هي خاصياتٌ أو صفاتٌ ذاتيةٌ لازمةٌ لقيام الذات الإلهية**[1].

ثم يقول:

أ. **الله الآب: خاصية الوجود.. هذه الخاصية الذاتية (الوجود) هي أقنوم الآب**.. فالآب هو الله من حيث هو أصل الوجود.

ب. **الله الابن: خاصية العقل والمعرفة.. هذه الخاصية الذاتية (العقل والمعرفة) هي أقنوم الابن او الكلمة.**

ج. **الله الروح القدس: خاصية الحياة**.. هذه الخاصية الذاتية (الحياة) هي أقنوم الروح القدس، لأن الروح هو الحياة.

هذه الأقانيم الثلاثة **متمايزةٌ في الخاصية فقط، لكن لها طبيعة واحدة وجوهر واحد، فخاصية الوجود غير خاصية النطق غير خاصية الحياة، ورغم ذلك فالأقانيم الثلاثة متساوية في جميع الكمالات والألقاب الإلهية**[2].

وهو لم يخترع هذا القول بنفسه، بل نقله عن غريغوريوس الثيئولوغوس ٣٢٩-٣٩٠ م حيث ينقل قوله: **إذا نظرنا إلى الذات الإلهية نفسها باعتبار معنى الأبوّة كان أقنوم الآب هو الإله**، وإذا نظرنا إلى هذه الذات بعينها **باعتبار معنى**

(١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٤٥.

(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٤٥-٤٦.

النطق كان أقنوم الابن هو الإله، وإذا نظرنا إلى هذه الذات المشار إليها نفسها **بمعنى الحياة** كان أقنوم الروح القدس هو الإله، **فكلٌّ واحدٍ من الخواص الثلاث أعني الأقانيم الثلاثة هو الله، ولا يلزمنا القول بثلاثة آلهة إذا كانت الذات واحدة**(١).

ولو كان مرادهم هو القول بأن **صفات الله الذاتية هي ثلاثة: الوجود والعلم والحياة مثلاً**، فيكون الله تعالى واحداً، **وصفاته عين ذاته**، لئلا يتعدد القديم، **لصحّ الكلام**، وهو ما نقوله في الله تعالى من أن صفاته ما لم تكن صفات فعلٍ (كالخلق والرزق والإحياء والإماتة) تقبل الفعل والعدم، فهي **صفاتُ ذاتٍ بمعنى أنه سميع من حيث هو بصير من هو عليم، دون أن يكون العلم والسمع مبايناً لذاته**.. وهو ما سيأتي بيانه في الفصل التالي بإذن الله.

لكن **يلاحظ على هذا القول:**

أولاً: أن كون الصفات ذاتيّة لله تعالى **لا ينسجمُ مع القول بتمايز الأقانيم**، وبأنّ كل واحدٍ منها سوى الآخر، لأنه سيؤول إلى التركيب او التعدّد في الذات الإلهية المقدسة.

ثانياً: أنّه وإن ذهب إليه جمعٌ من علماء النصارى، إلا أن **أكثرهم على خلافه**، كما تقدّم في القولين السابقين، ومن كلماتهم الصريحة في نفيه ما ذكره الراهب باسيليوس المقاري: لكن لا يجب أن نفهم الأقانيم على أنها (أجزاء) من (كلٍّ)، أي كأنّ اللاهوت منقسمٌ إلى ثلاثة، **ولا هي مجّرد صفاتٍ أو أوجهٍ أو تعبيرات.**

---

(١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٥٤.

بل كل أقنومٍ قائمٌ بذاته في الجوهر الإلهيّ الواحد المشترك لكل الأقانيم[١].

فنفيُ كونها صفات أو أوجه يعني إنكار كونها خواص أو صفاتٍ ذاتية.

ويقول الأب سليم دكاش اليسوعي: مقولةُ الافتراق والاتصال معاً هي من غريغوريوس النّيصي، والإطلاق والإضافة هما من وضع باسيليوس القيصريّ كما يثبت مؤرخو الفكر اللاهوتي المسيحي. فمن المعلوم أن الخطاب اللاهوتي الكبادوكي انطلق من تأكيد ألوهيّة الروح **ثم تطوّر إلى تصوّرٍ ثالوثيٍّ عام: فالتمايز المعنوي بين الله والأقانيم يرتبط قياسياً بالتمايز المعنوي بين الشيء العام وخواصّه**.. وجدير بالذكر أن باسيليوس القيصري هو أول من قام بعملية التمايز هذه ليطبقها على إشكالية الوحدانية و الثالوث[٢].. نعرف أن تحديد الخواصّ هو من وضع باسيليوس القيصري في ما يخصّ الأَبَويّة والبَنَويّة، ومن وضع غريغوريوس النيزيانزي في ما يخص الخروج الخاص بالروح القدس[٣].

هذه الكلمات الأخيرة فضلاً عن تأكيدها أن هذه **المعتقدات طارئة تبلورت بعد فترة طويلة جداً من أيام النبي عيسى** عليه السلام، وفضلاً عن عدم تصريحها بكون التمايز بين الله والأقانيم هو من باب ذكر **الشيء العام ومصاديقه**، تصرِّحُ بأن التمايز من باب ذكر **الشيء وخواصه**، كما يذهب إليه أصحاب هذا القول الثالث، وفيه تأكيدٌ على اختلاف الخواص بين كل واحد من الأقانيم كما تقدّم.

ويحاول الأنبا إيسوذورس التخلص من إشكالية الكفر بحيث يكفي عنده

---

(١) إيماننا المسيحي ج١ ص٢٤.

(٢) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٥١-٥٢.

(٣) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٥٢.

وحدة الجوهر فيقول: إنه جل وعلا **جوهرٌ واحدٌ وذاتٌ واحدة بثلاثة خواصّ، كالنفس كما نظرت، أو كالشمس فإنها قرصٌ وحرارةٌ وضياء**، ومع وجود هذه الخواص الثلاثة التي **كل واحدةٍ منها غير الأخرى**، ليست الشمس ثلاث شموس بل شمسٌ واحدة، لأنها **ذاتٌ واحدة، ولو تعددت خواصها. فكذلك ذات البارئ التي هي ثلاث خواص، ليست الخواص الثلاث ثلاثة آلهة ولو تعدّدت، لكون ذاتهم واحدة، جوهرهم واحد، وقوّتهم واحدة، وفعلُهم واحداً**[1].

ويوضح معنى الخواص بقوله: ان كلاً من الثلاثة أقانيم يتميّز بخاصيةٍ دون الآخر مع وحدة الجوهر: ..إن **الأقنوم الأول يتميّز بخاصية الأبوّة مع وحدة الجوهر.. فيكون علّة الابن والروح القدس**.. والابن يتميز بخاصية البنوّة مع وحدة الجوهر.. **وذلك كولادة النُطق من العقل والشُعاع من الشمس**.. والروح القدس يتميز بخاصية الانبثاق مع وحدة الجوهر.. **كصدور الحرارة من القرص**، وليس هو والداً ولا مولوداً بل منبثقاً[2].

ويقول: **إن المسيحيين لا يعتقدون بثلاثة آلهة، ولا هم بمشركين**. والدليل على ذلك هو أنهم **لا يعتقدون بوجود ثلاثة جواهر حتى تُمسَكَ عليهم الحجة.. فجوهر الله يعمّ الخواص الثلاثة، والأقنوم هو الجوهر الواحد الذي لا سواه، ولا يُعبد خلاه**.. فكل أقنومٍ إله، أي أن الجوهر الواحد بخاصّة الأبوة إلهٌ، والجوهر

---

(١) البينات الواقية والبراهين الثاقبة ص٥٦.

(٢) البينات الواقية والبراهين الثاقبة ص٥٦.

الواحد بخاصة البنوّة إلهٌ، والجوهر الواحد بخاصة الانبعاث إلهٌ، **وليس هم ثلاثة جواهر أو ثلاثة ذوات حتى يكونوا ثلاثة آلهة، فيقال: جوهرٌ بثلاث خواص، قادرٌ حيٌّ ناطق.. غير أن الخواص تتميز عن بعض بالابوّة والبنوّة والانبثاق**[1].

ويلاحظ على كلماته:

أولاً: أنه أراد أن يُثبت كونه جوهراً واحداً فمثّل له بالشمس (فإنها قرص وحرارة وضياء) و(كل واحدة منها غير الأخرى)، فتكون الشمس واحدةً لكنّها ليست بسيطة، بل مركّبة، إما على نحو الأجزاء، أو العلة والمعلول، فلو لم تكن الحرارة والضياء من أجزاء الشمس، ولو سلمنا ببساطة القرص وأنّه غير مركّب بنفسه أيضاً، وقلنا أنّ الحرارة والضياء من آثاره، لثبت معنى من معاني التركيب والتعدُّد، ولو من ناحية تعدد الفعل والفاعل، أو تعدد الخواص.

ولمّا نقل الأنبا إيسوذورس الحديث للذات الإلهية المقدسة قال انها ذاتٌ واحدة، ولكن الخواص الثلاثة متعددة، فيرجع ذلك إلى **التعدُّد في الذات الإلهية المركبة**، وهو ينافي البساطة. فيقع في التناقض من جديد.

إنّهُ تعدُّدٌ في الحقيقة، مع دعوى القول بالوحدانية.

ثانياً: إنّ كون الاب علة الابن والروح القدس دليلُ المفارقة والمباينة، فلا يكون الشيء علّة نفسه، وإلا لزم توقف الشيء على نفسه، وهذا يدلّ على **المباينة التامة بين العلّة والمعلول، والتعدُّد التامّ الحقيقيّ بينهم، وبهذا كيف يمكن القول بالتوحيد؟** فإنه يلزم منه القول بالتركيب أو بتعدد الآلهة. ولا يقولون بشيء منهما،

(١) البينات الواقية والبراهين الثاقبة ص٧٥.

فهو التناقض مجدداً.

ثالثاً: إن محاولة التخلص من الإشكال بنفي الجواهر الثلاثة غير مجدية أبداً، فإن **تعدد الأقانيم يثبت الكفر ولو مع القول بجوهر واحد، إذ لا يعني الكفرُ القولَ بتعدُّد الجوهر بل بتعدد الله تعالى، وهم قائلون به، لأن الآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله، وهذه حقيقة التثليث الملازم للكفر**، وإن قالوا بالتوحيد لساناً، فإنه تناقض بين أمرين لا يجتمعان.

القول الرابع: الأقنوم كلمة غير مفهومة

يذهب الدكتور القس عماد شحادة إلى أن الأقنوم في السريانية يفيد (الشخص) في العربية كالقول الأول، ولكن لمّا كان المراد من الأقانيم (بحسب ما يقول) معنى آخر يختلف عن (الشخص) فقد استُعمل لفظ أقنوم ولم يُستعمل لفظ الشخص **لكي تكون الكلمة غير معروفة المعنى!**

وهو يشير بذلك إلى أمرٍ في غاية الخطورة، حيث أنّهم قد استخدموا عمداً **لفظاً أجنبياً غير مفهوم المعنى في واحدة من أهمّ المسائل الاعتقادية**، ولعلّ ذلك راجعٌ إلى محاولة **إخفاء التناقض في هذه العقيدة** التي تقوم على القول بالوحدة والتعدُّد في آن واحد ومن جهة واحدة**!**

يقول القسّ شحادة: **الكلمة (أقنوم) في استخدامها السرياني تفيد معنى الشخص أو الشخصية**، ولذلك فهي لا تفي بغرض إعطاء المعنى الدقيق.. والفائدة الوحيدة في استخدام هذه الكلمة في اللغة العربية هي إبعاد كلمة

(الشخص) عن الله واستبدالها **بكلمةٍ أجنبيةٍ غير معروفة في معناها!!!**[١].

٤. هل يلزم وجود أجزاء في اللّه؟

تقدّمت في الفصل الأول كلماتُ علماء النصارى بتنزيه الله تعالى عن الجزئية، وبما أن الأقنوم دلّ على الشخص، فيلزم من القول بالتثليث أن يكون الآلهة ثلاثة، وبما أنّ النصارى لا يقولون بوجود آلهة ثلاثة، تنقدِحُ شُبهَةُ التركيب وتعدُّد الأجزاء في الله تعالى مجدداً، لذا يبيّن علماؤهم بشكلٍ جليٍّ أن الأقانيم ليست أجزاءً في الله، فيسقط إشكال وجود أجزاء في الله تعالى، لكنّهم يقعون في التناقض مجدداً، من جهة كون الواحد ثلاثة بلا تركيب.

يقول القديس يوحنا الدمشقي: **لا تركيب في الثالوث**: ونقول إن لكلٍّ من الثلاثة أقنومَه الكامل، **لئلا نوهم بأنهم طبيعةٌ واحدةٌ كاملةٌ مركّبة من ثلاثةٍ غير كاملين**، ونقول أيضاً إن في الأقانيم الثلاثة الكاملين جوهراً بسيطاً واحداً فائق الكمال وقبل الكمال[٢].

ويقول: إننا نقول بأن **الأقانيم كاملون لئلا نفكّر بتركيبٍ في الطبيعة الإلهية، فالتركيبُ بدء التقسيم**. ونقول أيضاً إن كلا من الأقانيم الثلاثة هو في الآخر، لئلا نصير إلى كثرة وجمهرة من الآلهة، لذلك نقرّ **بعدم تركيب الأقانيم الثلاثة وبعدم اختلاطهم**، ولذلك أيضاً نعترف بتساوي الأقانيم في الجوهر.. **وبأنهم إلهٌ واحدٌ**

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٣١.

(٢) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٠.

غير منقسم، فإن الله واحدٌ حقاً، وهو الله وكلمته وروحه[١].

هذا نموذجٌ آخر من نماذج التناقض، **إلهٌ واحدٌ غير منقسم**، أقانيمه متمايزة، **أحدها ليس هو الآخر**، مع عدم القول بالتركيب!

ويقول الراهب باسيليوس المقاري: إن ما نؤمن به هو: **الله الواحد في ذاته، الثالوث في أقانيمه**، الآب والابن والروح القدس، المتساوي في جوهره.. **لكن لا يجب أن نفهم الأقانيم على أنها (أجزاء) من (كلٍّ)**، أي كأن اللاهوت منقسمٌ إلى ثلاثة، ولا هي مجرد صفاتٍ أو أوجه أو تعبيرات. بل كل أقنوم قائم بذاته في الجوهر الإلهي الواحد المشترك لكل الأقانيم. وبهذا فإن الله الواحد هو الثلاثة أقانيم، **ووجود كل أقنومٍ متميزٍ في ذاتيته عن وجود الأقنومين الآخرين**: الآب والابن والروح القدس. ولكن الثلاثة متساوون في جوهر اللاهوت الواحد، ومن ذات جوهر اللاهوت الواحد. **وكل أقنومٍ يعمل بطريقة متميزةٍ ولكن في الله الواحد**. فنحن نُمَجِّدُ الله الواحد في ثالوث، والثالوث في الله الواحد (الكائن في وحدة جوهرٍ وتعدُّد أقانيمٍ في نفس الوقت)[٢].

ولعوض سمعان هنا محاولةٌ لرفع التناقض، بعد نفي التركيب والتجزئة، وذلك بقوله أنّ **الواحد راجعٌ إلى جهةٍ غير الجهة التي يرجع إليها الثلاثة**، فيقول: لا شك في أنّه **يكون واحداً من جهة الجوهر، لأنه إن لم يكن واحداً من هذه الجهة كان مركباً وقابلاً للتجزئة**. والحال أنه ليس مركباً أو قابلاً للتجزئة. **ويكون جامعاً (ثلاثة) من جهة التعيُّن**.. وقد عبر ابن العربي في كتابه فصوص الحكم عن

---

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٠.

(٢) إيماننا المسيحي ج١ ص٢٤.

اللاهوت بالباطن، وعن الله بالظاهر، ثم أعلن أنهما واحدٌ، فقال عن الله: هو الظاهر وهو الباطن، وهو عينُ ما ظهر وعينُ ما بطن. كما أعلن أن ما يُستنتج منه أن الكثرة ليست في جوهر الله أو هُويته، بل هي في تعيُّنه أو ظاهريته، فقال: لا كثرة في هُوية ذات الحق، وكلُّ كثرةٍ واختلاط (أو علاقات) فهو بعد ذاته وظاهريته[1].

أقول: **هذا نصٌّ صريحٌ يوافق ما تقدّم منه من تفسير الأقنوم بالتعيُّن، فالجوهر واحد، ولكنّ الأقانيم أي التعيّنات ثلاثة.**

والوحدانية إنما هي في الجوهر فقط لا في التعيُّن.. وقد تقدّم أن التعيُّن يرجع إلى الشخص وإلا فالتشخُّص، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ** وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

أما ابن عربيّ، فإنّ قوله قولٌ صوفيٌّ شاذٌّ نعتقد بأنه مساوقٌ للكفر، وهو **القائل بوحدة الوجود والموجود حقيقة، فكلُّ شيء عنده هو الله**، ولو أراد سمعان الالتزام بما ذهب اليه ابن عربي للزم عليه القول بأنه **هو بنفسه ظهورٌ لله تعالى** حقيقةً لا مجازاً، وهو كفرٌ بلا شك، وقد حققنا ذلك في كتاب (عرفان آل محمد عليهم السلام) فليراجع.

ويحاول عوض سمعان رفع التناقض من جديدٍ ببيانٍ آخر فيقول أنّ الوحدانية والثالوث ليس مَصَبُّهما واحداً كي يقع التناقض، لأنّ كلاً منهما ناظرٌ

---

(١) الله في المسيحية ص١٣٠.

(٢) المائدة٧٣.

إلى جهةٍ، فيقول:

١. بما أنه لا يراد بوحدانية الله الجامعة أنّه واحدٌ في تعيُّنه وجامعٌ أيضاً في تعيّنه، بل بالعكس يراد بها أنه **واحدٌ في جوهره، وجامعٌ في تعيّنه**، إذن ليس هناك أي تناقض..

٢. بما أنه لا يراد بوحدانية الله الجامعة أنه جامعٌ في جوهره وواحدٌ في تعينه، بل بالعكس.. إذن **لا سبيل للظن بأنها تنم عن وجود أي تركيب في ذاته**.

٣. وبما أنه لا يُراد بجامعية تعيّنه، ذاته وغيرها من الذوات، بل يراد بها ذاته وحدها، إذن لا سبيل للظن بأن هذه الوحدانية تَنُمُّ عن وجود أيّ شريك له.

وبذلك فإنّ **وحدانية الله الجامعة لا تتعارض مع وحدانيته**، أو عدم وجود تركيبٍ فيه، أو عدم وجود شريك له[1].

أقول: هو واحدٌ في الجوهرعنده، لكنّه متعددٌ في تعيُّنه، فصارت التعيُّنات ثلاثة، أما **الوحدانية فغير ثابتة إلا في ذات الجوهر**، فالتوحيد عنده هو **توحيدٌ في جوهره لا في تعيّنه**.

لكن سبق وأن قال سمعان نفسه: لا نفرّق مطلقاً بين جوهر الله وتعيّنه.. فجوهر الله ما هو إلا اللاهوت، وهذا الجوهر نفسه بالنظر إلى تعيُّنه ما هو إلا الله[2].

ومع كون الجوهر واحداً، والمتعيّن متعدداً، يلزم وجود شريكٍ للمتعيّن،

(١) الله في المسيحية ص١٣١.

(٢) الله في المسيحية ص١٣٠.

لأنّ هناك أكثر من متعين: الآب والابن والروح القدس، لكنّه يحاول نفي وجود الشريك من جهة أنه من نفس الذات، أي من نفس الجوهر. وهذا باطل.

لأنّ الشريك يُتصوَّر على نحوين: إما **شريكٌ من نفس الجوهر**، وإما **شريكٌ من جوهر آخر**: أي إما شريك من نفس الصنف والنوع، أو شريك من صنفٍ ونوعٍ آخر.

وقوله **يدفعُ الشريك الثاني**، أي الشريك الذي ينتمي إلى صنفٍ ونوعٍ آخر، فليس له شريكٌ بشريٌّ ولا شريكٌ من الطيور ولا الأصنام. لكنّه **يُثبت له شريكاً من نفس جوهره**.

وتعبيُره عن التعيُّنات كلها ب(الذات) هو مغالطة واضحة.. فقد قال: **تكون ذاتُه ليس تعيّناً واحداً، بل تعيّنات**[1].

فصارت الذات هي التعيُّنات الثلاثة، وهي شراكة بين هذه التعينات الثلاثة، فصار الله ثلاثة.

وقد صرح بأن كل واحدٍ من التعيُّنات هو الله بقوله: **إن كلاً منها يكون هو الله**[2]، وقال: **والأقانيم هي التعيُّنات: فالأقانيم في المسيحية هم تعيُّنات اللاهوت**[3]، وقال: **فإن جوهر الله هو عين تعيُّنه**[4].

فجوهره هو عين تعيّنه، وذاتُه قد تعيَّنت في ثلاث تعيُّنات، فصارت الذات

---

(١) الله في المسيحية ص١١٣.

(٢) الله في المسيحية ص١١٤.

(٣) الله في المسيحية ص١١٧.

(٤) الله في المسيحية ص١١٧.

ثلاثاً.

ثم يقول: ليس معناه أنه ذاتٌ في ذوات أوذواتٌ في ذات، كلا لأنه **ذاتٌ واحدةٌ لا تركيب فيها على الإطلاق. بل معناه أنّ ذاته الواحدة التي لا تركيب فيها هي بعينها تعيّنات**[1].

ويقول: وبما أن **ذات الله تعيّنات، إذن فمن البديهي أن يكون كل تعيُّنٍ من هذه التعينات ليس جزءاً من ذات الله، بل أن يكون هو ذات الله، لأنّه غيرُ مركّب من عناصر او أجزاء**.. ولذلك يكون **كل تعيُّنٍ من هذه التعيُّنات هو الله الأزليّ الأبديّ العالم المريد**[2].

وهو بقوله هذا يصرح أن الله **الأزلي هو التعيُّن الأول: الآب.**

والله الأزلي هو التعيُّن الثاني: الابن.

والله الأزلي هو التعيُّن الثالث: الروح القدس.

فصار الله ثلاثاً.. ولا ينفع القول أنّه واحدٌ من جهة جوهره أو من جهة ذاته، لأن الآب ليس هو الابن، والابن ليس هو الروح القدس، فصاروا ثلاثة، وكلّ واحد منهم الله، فصار عندنا **الله ثلاثة، وهو يتصف بصفة الوحدانية من حيث الجوهر، وهذه لا تكفي.**

فإما أن يقال أنّ الوحدانية والتثليث من جهة واحدة **فيقع التناقض**، الذي يلازمه الشّركُ لكون القائل به ملتزماً بالتعدُّد حقيقةً.

---

(١) الله في المسيحية ص١٣٢.

(٢) الله في المسيحية ص١٣٣.

وإما أن يقال أنّ **الوحدانية من جهة الجوهر فقط والتثليث من جهة التعيُّن فقط، فقد تعيَّن وجودُ ثلاثةٍ كلٌّ واحدٍ منهم الله، فصار الله ثلاثة، وهو الشركُ بنفسه، ومع التمسُّك بأنّه واحدٌ لا ثلاثة حقيقةً، يقع التناقض من جديد**، من جهة كون الواحد ثلاثة على نحو الحقيقة.

٥. اختصاصات الأقانيم: الآب والابن

هل يدلّ تعدد الأقانيم الثلاثة، ووحدة جوهرها، واتفاقها في الصفات على اختصاص كلّ واحدٍ منها بما لا تختصُّ به بقية الاقانيم؟

قد تُوهِمُ بعض كلمات علماء النصارى (من التصريح بالمساواة في الصفات) أنّه لا اختصاص لشيء من الأقانيم بما يتميّز به بعضها عن بعض، كقولهم أنّ الاقنومين الثاني والثالث الابن والروح هما ذات الله.

يقول عوض سمعان: كما أن (روح الله) ليس عنصراً في الله، بل هو ذات الله، **لأن الله لا تركيب فيه**. كذلك فان (ابن الله) **ليس كائناً مولوداً من الله، بل هو ذات الله، لأن الله لا يولد ولا يلد**. وكل ما في الأمر أن (روح الله) دُعي بهذا الاسم لأنّه هو الذي يعلن اللاهوت مع مقاصده بوسيلةٍ روحية. و(ابن الله) دُعي بهذا الاسم لأنّه هو الذي يعلن اللاهوت مع مقاصده بوسيلة ظاهرية[1].

ويلاحَظُ على كلامه: أن نفي كون الابن كائناً مولوداً من الله، هو **حقٌّ لا ريب فيه، فإن الله لا يلد ولا يولد**، لكن **عقيدة النصارى قائمة على أن عيسى** عليه السلام

(١) الله في المسيحية ص١٧٠.

مولود من الله تعالى، ويقولون أن هذه الولادة وإن لم تكن مادية، إلا أنّها **ولادةٌ على نحو الحقيقة لا المجاز**، ومن كلماتهم الصريحة في ذلك ما ذكره القديس كيرلّس الكبير: **في حالة الذي هو ابنه بالطبيعة فإن هذا الاسم (الولادة) لا يُستعمل على سبيل المجاز، بل هو حقيقيٌّ من كل جهة**[1].

والقديس كيرلّس كسائر علماء النصارى يؤمن بأن عيسى **إلهُ حقٍّ وُلِدَ من إله حق** حين يقول: هكذا نحن نقول: إن الابن في الآب والآب في الابن.. هو من نفس الجوهر مع الآب، وهكذا أيضاً **فإننا نؤمن أنه إلهُ حَقٍّ وُلد من إله حق**[2].

بل صدع بذلك قانون الإيمان الشهير (نيقية القسطنطينية) كما تقدّم: وبربٍ واحدٍ يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، **المولود من الآب قبل كل الدهور: هو الله الصادر عن الله، نورٌ مولودٌ من النور**، إله حق صادر عن الله الحق، **مولودٌ غير مخلوق**، هو والآب جوهرٌ واحدٌ[3].

وكلمات النصارى أكثر من أن تُحصى في كون الآب ليس ابناً، وأنّ الابن هو المولود، يقول القديس كيرلوس الكبير: الآب هو آبٌ وليس ابناً، **والابن هو المولود وليس هو آباً**.. ولهما في وحدتهما نفس الطبيعة[4].

ويقول: **الآب هو خالق كل الأشياء**، ما يرى وما لا يُرى.. إنّ كل الأشياء

---

(١) شرح قانون الايمان ص٣٣.

(٢) شرح قانون الايمان ص٣٣.

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٥٠ فقرة١٨٤.

(٤) شرح قانون الايمان ص٣٤.

قد **خُلِقَت بالابن**.. إن الله الآب بطبيعته لا يخلق أو يدعو أيّ شيء إلى الوجود بأي طريقةٍ أخرى سوى بالابن في الروح، أي بقوّته الذاتية وحكمته[١].

فكلماته وإن كان يظهر منها الميلُ إلى القول الثالث المتقدِّم من أن الأقانيم هي الخواص أو الصفات، حيث ذهب إلى أن الآب يخلق بالابن في الروح: أي بقوّته الذاتيّة وحكمته، فعدَّ الابن والروح القوّة والحكمة، وهما من الخواص والصفات، وإن كان يظهر منه الميل لهذا هنا، إلا أنّه لا ينسجمُ تماماً مع قوله بالولادة الحقيقية دون المجازية، ولا مع كون الآب ليس الابن، والابن ليس الآب.

يزيد القديس يوحنا الدمشقي الأمر وضوحاً بجعل الآب مصدر الكمال فيقول: اختصاصات الأقانيم: إذاً **كلّ ما كان للابن والروح كان لهما من الآب، حتى الوجود نفسه. ولو لم يكن الآب لما كان الابن ولا كان الروح**. ولو لم يكن للآب شيءٌ لما كان أيضاً شيءٌ للابن ولا للروح، وبسبب الآب كان للابن والروح كل ما لهما[٢].

وهذا **تأكيدٌ صريحٌ على أن الكمال محصور في الله الآب (بتعبيرهم)**، ويُحتمل مع احتياج الابن والروح للآب احتمالان:

الأول: احتياجهم اليه وعدم احتياجه إليهم، فتثبت الألوهية له وتُنفى عنهم، فلا يكون عيسى عليه السلام هو الله، ولا يكون الروح القدس هو الله، **وهذا ما**

(١) شرح قانون الايمان ص٣٤.

(٢) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٠.

لا يعتقد به النصارى.

الثاني: احتياجهم اليه واحتياجُه إليهم، فيثبت إما التركيب في الذات الإلهية بحيث يكون الله تعالى مركباً من الثلاثة، ولا يعتقد به النصارى، وإما القول بالآلهة الثلاثة الذين يحتاج كلٌّ منهم للآخر، ولا يعتقدون به أيضاً.

فلا يبقى إلا التناقض، والقول المستحيل الذي لا يقبله العقل، بأن يكون الآب مستغنٍ غير محتاجٍ لهم، وهما محتاجان له، وفي الوقت عينه هم مساوون له في الجوهر! وهو وهم واحد!

نكمل مع الدمشقي حين يقول: إن اللاهوت لا يمكن أن يُقسَّم إلى أقسام.. عندما ننظر إلى اللاهوت على أنّه العلة الأولى.. فالذي يُتَصَوّر في ذهننا هو الواحد. أما عندما ننظر إلى مَن فيهم اللاهوت أو -بعبارة أدق- إلى مَن عندهم اللاهوت، **لا سيّما الصادرَين من العلة الأولى بلا زمن،** والمساويين لها في المجد وعدم الانفصال، وأعني الابن والروح، **فالمسجود لهم ثلاثة: الآب آبٌ واحدٌ وهو لا مبدأ له أي لا علّة له، لأنّه ليس من أحد. والابن ابنٌ واحدٌ وهو ليس بلا مبدأ أي بلا علة، وهو من الآب..** الابن لا بدء له، لأنه صانع الأزمان وهو ليس تحت الزمان[1].

ثم يقول: واعلم أننا **لا نقول بأن الآب من أحد، بل نقول انه أبو ابنه، ولا نقول إن الإبن علّة أو آب، بل نقول إنّه من الآب وإنّه ابن الآب.** ونقول أيضاً إن

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٢.

الروح القدس من الآب ونسمّيه روحَ الآب[١].

وهذا كلامٌ صريحٌ جداً في كون **الآب علةً للابن والروح**، فالله تعالى هو علّة وجود عيسى عليه السلام، ولولا الله تعالى لم يكن لعيسى عليه السلام وجود، بينما ليس عيسى عليه السلام علة وجود الله[٢]، وعليه فإنّ القول باختصاص كلّ أقنومٍ بخصائص تميّزه عن الآخر، يتضمن القول بكون أحدهم علّة لمن سواه، **فكيف يكون العلّة والمعلولُ من جوهرٍ واحد؟ والغنيُّ والفقير واحداً؟ وكيف يكون المسجود له ثلاثة: أحدهم علة للآخرين؟ مع الحفاظ على التوحيد؟!**

إنه التناقض مجدداً المودي للكفر بالله تعالى.

ولعلّ محاولة عوض سمعان المتقدِّمة إنما تصبُّ في خانة التخلص من التناقض، لذا يقول سمعان: **فأبوّة الآب للابن لا يُراد بها إذن أن الآب أفضل من الابن مقاماً، أو أقدم منه زماناً، بل يُراد بها التعبير باللغة التي نفهمها عن نسبةٍ من نسب المحبّة السامية الكائنة بينهما!**[٣].

لقد بسّط سمعان الأبوّة التي يقولون بها بشكل لا يوافقه عليه كبار علماء النصارى، فقد تقدّمت كلماتهم أنّ **الابن مولودٌ من الآب بمعنىً حقيقيّ**، وأن **الآب هو علة الابن**، ولولا الآب لم يكن الابن ليوجد، وهذا كافٍ في إثبات التعدُّد المخالف لحقيقة التوحيد.

---

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٢.

(٢) كل هذا على مباني النصارى وإلا فإننا نرفض قولهم أنّ الله آب، فالله منزّه عن ذلك، كما ننكر كون عيسى مولوداً من الله كما هو معلوم.

(٣) الله في المسيحية ص١٩١.

٦. هل ينافي الثالوث التوحيد؟ أنواع التوحيد

هل توحيدُ النصارى هو نفسه توحيد المسلمين؟

يعتقد المسلمون **بامتناع وصف الله تعالى بوحدانيّة العدد أو الجنس**، لكن **وحدة الجوهر وتعدُّد الأقانيم عند النصارى لا تخلو من أحد هذين الفرضين** أو ما يقربهما، وهو ما لا نقرّ به جزماً.

أنواع الواحد الأربعة

التوحيد على أقسام أربعة، يُبَيِّنُ حالها مولى الموحّدين وإمام المتّقين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد روينا أنَّ أَعْرَابِيّاً قَامَ يَوْمَ الجَمَلِ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، **أَ تَقُولُ إِنَّ الله وَاحِدٌ؟**

فَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالُوا: يَا أَعْرَابِيُّ، أَ مَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنْ تَقَسُّمِ القَلْبِ؟

فَقَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام: **دَعُوهُ، فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الأَعْرَابِيُّ هُوَ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ القَوْمِ.**

حربُ الجملِ إذاً، وكلّ حربٍ خاضها الأنبياء والأوصياء، وكلّ تضحيةٍ قدّموها، وكلّ ما بذلوه من غالٍ ونفيس، إنّما كان لأجل ما يسأل عنه هذا الأعرابيّ، وهو وحدانيّة الله تعالى، ومن كان في المُعسكَرِ المقابل لأمير المؤمنين عليه السلام يقرّ بالتوحيد ظاهراً لكنّه يخالفه واقعاً، وليس إقرارُ النصارى بالتوحيد لساناً

مع اعتقادهم بالثالوث حقيقةً إلا كإقرار أعداء أمير المؤمنين عليه السلام بالله تعالى مع مخالفتهم لأمره بلزوم اتّباع أنبيائه وأوصيائه.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: يَا أَعْرَابِيُّ **إِنَّ القَوْلَ فِي أَنَّ الله وَاحِدٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ**، فَوَجْهَانِ مِنْهَا لَا يَجُوزَانِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَجْهَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ:

فَأَمَّا اللَّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ:

١. **فَقَوْلُ القَائِلِ: وَاحِدٌ، يَقْصِدُ بِهِ بَابَ الأَعْدَادِ، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ**، لِأَنَّ مَا لَا ثَانِيَ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الأَعْدَادِ، أَ مَا تَرَى أَنَّهُ **كَفَرَ مَنْ قَالَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ**.

٢. وَقَوْلُ القَائِلِ: هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، يُرِيدُ بِهِ **النَّوْعَ مِنَ الجِنْسِ**، فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ ذَلِكَ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا الوَجْهَانِ اللَّذَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ:

١. فَقَوْلُ القَائِلِ: **هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الأَشْيَاء شِبْهٌ، كَذَلِكَ رَبُّنَا**.

٢. وَقَوْلُ القَائِلِ: إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ **أَحَدِيُّ المَعْنَى، يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ**، كَذَلِكَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ[1].

فالوجه الأول الذي لا يجوز، هو إثباتُ الوحدانيّة من باب الأعداد، لأنّ العدد الأول يحتمل ثانياً، فلو كان الله هو الآب مثلاً، والله هو الابن، والله هو الروح القدس، لكان الله (ثالث ثلاثة)، فالآب هو واحدٌ، لكنّ لهذا الواحد ثاني وثالث، وهما الابن والروح القُدُس، وهذا مُمتنِعٌ لأنّه يؤول إلى تعدُّد الله تعالى،

(١) التوحيد للصدوق ص٨٣.

فهو أولٌ له ثانٍ وثالث وهكذا.

والوجه الثاني الذي لا يجوز، هو إثبات التوحيد للجنس، فيكون الله تعالى واحداً في جنسه، لإمكان أن يندرج تحت هذا الجنس أفرادٌ متكثرون، فلو قلنا مثلاً أن الإنسان وحدَهُ ناطقٌ، وأثبتنا النطق لجنس الإنسان وحده، دلّ هذا على أن غير جنس الإنسان لا ينطق، لكنّه ما أثبت وحدانية الناطق حقيقةً وإن ثبت وحدته مفهوماً، بل أثبت تعدُّدَه لتكثُّر أفراد الإنسان المنضوين تحت جنس الإنسان، فمحمدٌ وعلٌّي وحسٌن وحسينٌ كلهم من مصاديق الإنسان الناطق.

وإثبات وحدة الجنس الناطق وهو الإنسان لا ينفي تعدُّد أفراده ومصاديقه، فلو كان إثبات الوحدانية بهذا المعنى لله تعالى لكان ممتنعاً لمنافاته التوحيد.

فلو قلنا أنّ الله واحدٌ في (جوهره) كأننا قلنا أنّه واحدٌ في (جنسه)، وإن تعدّدت (أقانيم) هذا الجوهر أي (أشخاصه) أو (تميُّزاته)، فهذا التوحيد كالتوحيد السابق ممتنعٌ ومآله بل حقيقته الشرك بالله تعالى.

والوجه الأول المُثبَت، هو نفي الشبيه عن الله تعالى.

والوجه الثاني المُثبَت هو نفي الانقسام بكل صوره حتّى في العقل والوهم فضلاً عن الوجود.

لكن.. هل توحيد النصارى يوافق توحيدنا نحن المسلمين في المعتقد أم يخالفه؟

هذا ما تتكفل ببيانه المباحث التالية مع نماذج من كلماتهم.

تثليث الله في العدد وتوحيده في الجنس

يحاول أبو رائطة التكريتي أن يحتجّ على المسلمين، فيقول: **إن الواحد لا يقال إلا على ثلاثة أوجه: إما في الجنس، وإما في النوع، وإما في العدد** (١).

وهو يناجي (ذوي العقول والآراء) من المسلمين بحسب قوله، وبعدما يذكر الاشكالات على التوحيد بأقسامه الثلاثة هذه، يخلص إلى أنه **لا بد من عدم القول بهذه الوجوه الثلاثة**، فهو بحسب القاعدة يوافقنا، لأن الجنس والنوع عندنا مندرجان في الوجه الثاني المنفي، والعدد في الوجه الأول.

ثم يطرح إشكالاً مفاده أن الله إن كان واحداً في الجوهر فإنّه إما أن يكون عامّاً لأشخاص شتى، أو وصفاً لشخص واحد، وعلى الأول تعدَّدَ الإله، وعلى الثاني عاد لمحذور الوصف بالعدد وهو صفة المخلوقين.

ليخلص إلى أنه تعالى ليس واحداً في العدد بل ثلاثة! وهو عين الكفر بالله تعالى، فيقول: **قد نصفه واحداً كاملاً في الجوهر، لا في العدد. لأنّه في العدد أي في الأقانيم ثلاثة**(٢).

وهو من أصرح الكلمات بأنهم قائلون بتثليث الله في العدد، مع وحدة الجوهر فقط، **والجوهر بمثابة الجنس أو النوع أو العنوان العام الذي يندرج تحته هؤلاء الثلاثة**، فللتَخَلُّص من إشكال التوحيد في العدد ذهب إلى القول بالتثليث في العدد، فصار الكفرُ جلياً بيّناً!

---

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٦٧.

(٢) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٠.

ولذا لم يجد حرجاً أن يصرّح بأن توحيدهم ليس كتوحيد المسلمين رأساً فيقول: **لتعلموا وصفنا الله واحداً ليس على ما وصفتموه**[1].

وهذا جوابٌ على من زعم الاتفاق في الوحدانية بين المسلمين والنصارى، فيما تلهج كلمات الطرفين بالمغايرة إلى حد الحكم بكفر الآخر من الطرفين.

اللّٰه واحدٌ والإنسان واحدٌ!

لمّا كنا نقول أنّ الله تعالى واحدٌ، والإنسان يعلم من نفسه أنّه واحدٌ بالوجدان، ولمّا ثبت أن الله تعالى لا يشبه خلقه، وقع علماء النصارى كالتكريتي وسواه في مشكلة المشابهة بين الله ومخلوقاته، فأرادوا التخلص من القول بوحدانية الله في العدد وذهبوا إلى الثالوث، وقد غفلوا عن أنّا لا نقول بوحدانية الله في العدد كما تقدّم، وقد كان لإمامنا الرضا عليه السلام ما يدفع به الشبهة عمّن توهم التشابه بين الله تعالى وخلقه، لأنّ الله واحدٌ والإنسان واحد.

عَنِ الفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الجُرْجَانِيِّ عَنْ أَبِي الحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ السَّمِيعُ البَصِيرُ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ.**

لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ المُشَبِّهَةُ لَمْ يُعْرَفِ الخَالِقُ مِنَ المَخْلُوقِ، وَلَا المُنْشِئُ مِنَ المُنْشَإِ، لَكِنَّهُ المُنْشِئُ، فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ وَصَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ، إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئاً.

قُلْتُ: أَجَلْ جَعَلَنِيَ الله فِدَاكَ، لَكِنَّكَ قُلْتَ: (الأَحَدُ الصَّمَدُ)، وَقُلْتَ: (لَا

---

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٠.

يُشْبِهُهُ شَيْءٌ)، وَاللهُ وَاحِدٌ وَالإِنْسَانُ وَاحِدٌ، أَلَيْسَ قَدْ تَشَابَهَتِ الوَحْدَانِيَّةُ؟

قَالَ: يَا فَتْحُ أَحَلْتَ[1]، **ثَبَّتَكَ اللهُ إِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي المَعَانِي[2] فَأَمَّا فِي الأَسْمَاءِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ**، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى المُسَمَّى، وَذَلِكَ أَنَّ الإِنْسَانَ وَإِنْ قِيلَ وَاحِدٌ فَإِنَّهُ يُخْبَرُ أَنَّهُ جُثَّةٌ وَاحِدَةٌ وَلَيْسَ بِاثْنَيْنِ، وَالإِنْسَانُ نَفْسُهُ لَيْسَ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ وَالوَانَهُ مُخْتَلِفَةٌ، وَمَنْ الوَانُهُ مُخْتَلِفَةٌ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَجْزَاءٌ مُجَزَّاةٌ لَيْسَتْ بِسَوَاءٍ، دَمُهُ غَيْرُ لَحْمِهِ، وَلَحْمُهُ غَيْرُ دَمِهِ، وَعَصَبُهُ غَيْرُ عُرُوقِهِ، وَشَعْرُهُ غَيْرُ بَشَرِهِ، وَسَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ جَمِيعِ الخَلْقِ.

فَالإِنْسَانُ وَاحِدٌ فِي الِاسْمِ، وَلَا وَاحِدٌ فِي المَعْنَى، وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ وَاحِدٌ لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ وَلَا زِيَادَةَ وَلَا نُقْصَانَ.

فَأَمَّا الإِنْسَانُ المَخْلُوقُ المَصْنُوعُ المُؤَلَّفُ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَجَوَاهِرَ شَتَّى غَيْرَ أَنَّهُ بِالاجْتِمَاعِ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَرَّجْتَ عَنِّي فَرَّجَ اللهُ عَنْكَ[3].

فلفظ الواحد وإن أطلق على الإنسان، إلا أنّه لا يُراد به لفظ الواحد الذي يُطلق على الله تعالى من جهات، فالفروقات عديدة أحدها أنّ الإنسان مُركَّبٌ من أجزاء، وغير ذلك مما ذكره الإمام عليه السلام.

(١) أي تكلّمت بالمستحيل.

(٢) أي أن التشبيه المنفي هو التشبيه في المعاني، وأما التشبيه في الأسماء فلا ضير فيه مع تعدُّد معانيها الدالة عليها.

(٣) الكافي ج١ ص١١٩.

٧. موقف النصارى من توحيد المسلمين: مزيّف وناقص!

في كلمات علماء النصارى إشكالاتٌ على توحيد المسلمين! من أهمّها أنّ توحيد المسلمين مزيّفٌ وناقص!

يقول الاب صفرونيوس: أحذِّركم أيها الأخوة من **توحيدٍ مزيفٍ ينشره البعض** عن جهلٍ، غير عالمين إن **التوحيد بدون الثالوث هو تعليمٌ عن الله الذي لم يُعطِ نعمًة للبشر؛ لأن النعمَة - وهي الشركة في الطبيعة الإلهية - مستحيلٌة في تعليم الموحّدين**؛ لأن الله الواحد ليس فيه شركة ولا توجد فيه علاقة داخلية، أي في جوهره، ولا يَعرِفُ الشركة، ولا يمارسها. هو واحدٌ فقط: حياتُه وكيانُه الإلهيّ مغلقان أمام الخليقة[1].

يُلاحظ على كلام الاب صفرونيوس:

أولاً: أنّ النعمة في توحيد المسلمين غير مستحيلة، بل كلُّ نعمةٍ عند الناس فهي من الله تعالى بحسب القرآن الكريم، بدءً بنعمة الصراط المستقيم: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ **أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[2]، ونعمة الكتاب والحكمة: ﴿وَاذْكُرُوا **نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ** وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ﴾[3]، ونعمة إرسال الأنبياء وإيتاء المُلك: ﴿ اذْكُرُوا **نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ**

(١) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص١٢٦.

(٢) الفاتحة٧.

(٣) البقرة٢٣١.

جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾[١]، ونعمة كمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[٢]، والنعم الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ **نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[٣].

بل إنّ نِعَمَ الله تعالى غير قابلة للإحصاء بحسب القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ **تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا** إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]، بل ما مِن نعمةٍ إلا وهي من الله: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[٥].

وليس عيسى عليه السلام خارجاً عن هذه القاعدة، فكلُّ ما عنده هو من نِعَمِ الله تعالى عليه: ﴿**إِذْ** قَالَ اللهُ **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ** تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٦].

ثانياً: أنّ **النِّعَمَ من الله لا تعني إعطاء المخلوق صفة الخالق**، فلا يمكن أن

---

(١) المائدة٢٠.

(٢) المائدة٣.

(٣) لقمان٢٠.

(٤) النحل١٨.

(٥) النحل٥٣.

(٦) المائدة١١٠.

يعطي اللهُ تعالى الإنسانَ صفة الأزليّة ولا صفة الغنى وعدم الاحتياج الى الخالق، ولا أمثالها من صفات الله التي لا يمكن أن يحوزها المخلوق، ولذا فليس من النعم الممكنة ما أسماه **(الشركة في الطبيعة الإلهية)**، فهذا يعني **مشاركة المخلوقات للخالق في طبيعته، وهو أمرٌ مستحيلٌ في نفسه**، فالصفات الذاتية لله تعالى غير قابلة للنقل والانتقال ولا للعطاء والإعطاء، ولازمُ هذا القول إمّا تَنَزُّلُ الخالق من مرتبته، او ارتفاع المخلوق الى مرتبة الخالق، وكلاهما ممتنعٌ مستحيل!

ثالثاً: أن إنكاره على المسلمين اعتقادهم بأنّ حياة الله تعالى وكيانه مغلقان أمام الخليقة ليس في محلّه، لأنّ هذا القول ليس مُختصاً بالمسلمين، إذ يشترك معنا النصارى في القول بعدم امكان اكتناه الذات الإلهية المقدسة كما تقدم في الفصل الثاني.

لا يكتفي الاب صفرونيوس بهذه الأقوال، بل يزعم أن توحيد الموحّدين (خطيئة)! فيقول: **وإذا عدنا إلى خطايا الغنوصيين والموحِّدين وجدناهم قد تصوَّروا الله كواحدٍ فقط لكي يفلتوا من شَرَك وفَخّ الوثنية**، وهذا جيّدٌ ولكنه **علاجٌ ناقصٌ**؛ لأنّ **الواحد لا يكونُ واحداً بدون أن يُشرِكَ الآخرين في عطاياه ومحبّته**؛ لأن عدم الشركة تغلق الوحدانيّة على الواحد، وتصبح أنانيّة كاملة تحطّم ما هو صالح. نحن **لا نستطيع أن نتكلم عن وحدانيةٍ حقيقيةٍ بدون شركة**؛ لأنّ الله يشركنا في كل ما خلق، ولا يمنع عنا أن يكون لنا اتصالٌ وشركة به، أي بكيانه وحياته الإلهية؛.. ولذلك ندرك **أن الواحد الذي يتحدث عنه الغنوصيون والموحِّدون هو واحدٌ ناقصٌ؛ لأنه بلا شركة في كيانه ولا يشرك الآخرين في**

حياته[1].

هذا الاب يعدُّ توحيدنا توحيداً ناقصاً**!** لأن المخلوقات لم تشترك مع الله تعالى في: **عطاياه ومحبته وكيانه وحياته وطبيعته الإلهية!**

ويلاحظ على كلماته:

أولاً: أن الموحدين مع قولهم بالتوحيد وإنكارهم للتثليث يعتقدون أن كلّ ما عندهم بل أنّ أصل وجودهم من نِعَمِ الله تعالى وعطاياه، كما تقدم في الآيات المباركة، **فكيف يكون التوحيدُ مانعاً من عطاء الله؟!** هذا هو المعنى المُتَصَوَّرُ من العطاء الإلهيّ الممكن، أما لو أراد من الشركة في العطايا الإلهية أن تصبح لنا صفات الله **فهذا من المستحيلات**.

ثانياً: أن الموحدين أيضاً يعتقدون بأن الله تعالى يحبّهم لاتّباعهم أمر رسول صلى الله عليه وآله، فقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله **فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ** الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، ولكنّهم لا يعتقدون أن حبّ الله كحبّ الناس، لأن الحبّ في البشر من الصفات النفسانيّة التي تنزَّهَ الباري عزّ وجلّ عنها لاستلزامها التغيُّر والتبدُّل فيه تعالى، وقد اتفق المسلمون والنصارى على تنزيهه عن ذلك. وسيأتي معنى حبّ الله تعالى للمؤمنين.

ثالثاً: أن في كلامه عن الشركة في كيان الله وحياته وجوهره **ما يثير العجب**، فإن هذا الاب **يريد أن يشارك الله تعالى بكيانه وحياته الإلهيّة!** وينسب للموحدين

(١) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص١٠٣.

(٢) آل عمران٣١.

النقص لأنّهم لم يشتركوا مع الله في حياته!

قاتل الله الجهل وأهله.. يريدُ هذا الاب المعاصر للنبي محمد ﷺ والمُعرِضُ عن دعوته ﷺ أن **لا يُعرَفَ الخالقُ من المخلوق**، والرازقُ من المرزوق، والمُنشِئ من المُنشَأ!

لا يكتفي الاب صفرونيوس بذلك بل يقول: **والتوحيدُ الذي يحرمُ الله من الشركة، أي يُنكِرُ أن تكون لله شركة، هو توحيدٌ ناقص**؛ لأنّ عدم وجود الشركة في الجوهر الإلهيّ ينفي وجودها في الخليقة نفسها؛ لأنّ **ما هو غير موجود في الله لا يمكن أن يكون موجوداً في الخليقة نفسها**.. ولذلك **نحن لا نؤمن بوجود هوّةٍ سحيقةٍ تفصل بين الخالق والمخلوق**، وإنما نؤمن بأن اختلاف الخالق والمخلوق لا ينفي الشركة، بل يؤكّدها لأن انعدام الصلة ينفي صلاح الله كخالق. ونقول: **كان من الأفضل لله ألا يخلق مطلقاً من أن يخلق وبعد ذلك يترك الخليقة في جهلٍ وتحيا بعيداً عنه بلا غايةٍ لخلقها**. ولكن، **ولأن الله خلقنا، فقد أعطانا الصورة الإلهيّة لكي نُدرك مِن ترتيب خلق طبعنا الإنسانيّ أننا نحمل بعضَ ملامح الذات الإلهية**. وهكذا خلقنا لكي نعرِفه ونحبه ونرتفع إلى جمال الشركة بقوة الهبة والنعمة التي أعطيت لنا[١].

ويلاحظ على كلامه:

أولاً: أن لقوله (ما هو غير موجود في الله لا يمكن أن يكون موجوداً في الخليقة نفسها) لوازم فاسدةٌ كثيرة، منها:

---

(١) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص١٠٤-١٠٥.

لمّا لم يكن لله أي حاجة، أي لم يكن الله مُحتاجاً، صار (الفقرُ غير موجودٍ في الله)، فلزم أن (لا يكون الفقرُ موجوداً في الخليقة)! والحالُ أن الخليقة في غاية الافتقار لله تعالى.

ولمّا لم يكن في الله نقصٌ، يلزم ألا يكون في المخلوق نقصٌ! والحالُ أن المخلوق في غاية الضعف والنقص والجهل.

ولمّا لم يكن في الخالق تركيبٌ، لزم ألا يكون العبدُ مُرِكَّباً.. وهكذا **حتى يصبح العبدُ هو المعبودُ عيناً!**

أما إن أراد الشركة في (بعض ملامح الذات الإلهية)، فنقول: ما هي هذه الملامح؟ ومن أين علمنا أنه لا ينبغي أن نشترك في بعضها دون بعضها الآخر؟ ومن قال أنّه يمكن للإنسان أن يشترك فيما أسماه ملامح الذات؟ إنها خزعبلات ينسبها لنبي الله عيسى عليه السلام وهو منها براء، لخلوّ كلماته عليه السلام منها، ولِتَنزُّه الذات الإلهيّة عن كلِّ مشابهةٍ ،بالخلق كما دلّ على ذلك العقل، والكتاب المقدّس الذي يعتقد به النصارى، والقرآن الكريم الذي نعتقد به نحن المسلمون، وقد أشرنا لهذه النصوص في كتاب (الثالوث والكتب السماوية) فليُراجع.

ثانياً: قوله أنّه (كان من الأفضل لله ألا يخلق مطلقاً من أن يخلق وبعد ذلك يترك الخليقة في جهلٍ) **مردودٌ عليه**، لأنّه إن كان المراد هو **الجهلُ بحقيقة الذات الإلهية المقدسة، فهو أمرٌ يشتركُ فيه النصارى مع المسلمين**، وقد تقدّم القول بامتناع اكتناه الذات الإلهية عند المسلمين والنصارى.

بل إن لكبار القديسين تصريحٌ بأنّه لا يُطلب معرفةُ الجوهر، بل أنّه **قمّة الخبل**، إنما المطلوب عندهم **معرفة وجود الله لا أكثر من ذلك**، والمسلمون أيضاً

يعتقدون بوجود الله واتّصافه بكل صفات الكمال.

يقول القديس يوحنا ذهبيّ الفم: **لا يُطلَبُ منا سوى أمرٍ واحدٍ وهو معرفة أن الله موجود، لا استقصاء جوهره**(١).

وهذا اعترافٌ صريحٌ بأن ما ذهب اليه الاب صفرونيوس مُتمَحِّضٌ بالباطلٌ، وما ذهب اليه النصارى من الغوص في مسألة الثالوث هو أمرٌ غير مطلوب منهم، لذا تاهوا في هذا الأمر وخالفوا حكم العقل والنقل.

ويزيد هذا الامر وضوحاً بقوله: **إذ يعيب الكاتبُ الإلهيُّ على إنسانٍ ما جحوده، لا يأخذ عليه جهله الله، بل جهله أن الله موجود**(٢).

فلا يؤاخذ الإنسان على الجهل بحقيقة الذات الإلهية، إنما يؤاخذ على جهله بوجود الله تعالى، لأن من الطبيعيّ أن لا يحيط المخلوق بالخالق، ولذا كان المدخل الذي دخله النصارى مدخلاً باطلاً.

بل إن صفرونيوس نفسه يصرح بهذا المعنى في كتابٍ آخر من كتبه، حيث يقرّ بأن أسرار جوهر الله لا تدرك! وبالتالي فهو لا يختلف عن هؤلاء الموحدين الذين يذمّهم، حيث يقول: **ندرك أسرار المحبة، لا أسرار جوهر الله، لأننا لا نقدرُ أن ندرك أسرارَ جوهر الله**، بل ندرك فقط ما تعلنه لنا المحبّة عن جوهر الله، ومن يدرك أسرار المحبة ويمارس المحبة يتعثر، **أما من يحاول بالفضول وبشموخ الفكر أن يدخل هذا الهيكل المقدس، فإنه سريعاً ما يخرج حاملاً معه كل تناقض الفكر**

(١) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص١٥٥.

(٢) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص١٥٥.

وعجزه[١].

ها هو **تناقضُ الفكر يظهر جلياً في كلمات صفرونيوس** وسائر القساوسة والآباء، وقد كان حرياً عليهم أن **يطأطئوا الرؤوس خجلاً من تجاوزهم على الذات الإلهية المقدسة.**

وكان من الطبيعي أن لا يكون معظم النصارى على دراية بدينهم، لكثرة هذا التناقض فيه، حتى قال القسّ عطا ميخائيل: **ان السواد الأعظم من المسيحيين يسودهم الجهل في موضوع عقيدة الثالوث، وألوهيّة المسيح، وألوهيّة الروح القدس.. فهذه العقائد الثلاث هي أهم العقائد في كنيسة المسيح منذ تأسيسها على الإطلاق**[٢].

فإذا كان السواد الأعظم من المسيحيين يجهلون الثالوث، فأي مسيحيّة يؤمنون بها؟ وما ميزتهم على من لا يؤمن بالثالوث ويؤمن بالله الواحد الأحد؟

ثالثاً: يظهر ان الاب صفرونيوس قد أوقع نفسه في معضلة عجيبة، فهو من جهةٍ **لا يقبل خالقاً يترك الخليقة في جهلٍ، ولا يسجد لإلهٍ مجهول**، لكنه في نفس الوقت ينتمي لديانةٍ **تعتقد أن الثالوث أمرٌ فوق العقل، فهو مجهول فعلاً وحقيقة!**

رابعاً: لا ينسب الموحدون لله أنه في هوّة سحيقة عن خلقه كما يزعم صفرونيوس، فإن الله سبحانه وتعالى وهو المنَزَّهُ عن المكان والزمان، محيطٌ بهما إحاطة قدرةٍ وسلطنة، وقد تقدّم ذلك في الفصل الأول.

(١) الثالوث فرح الخليقة الجديدة ص٢٨.

(٢) شهود يهوه ذئاب خاطفة ص١٢.

وقد وصف القرآن الكريم الله تعالى بأنه: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾، وفسّرها الإمام المعصوم عليه السلام بأنها إحاطةٌ: **بِالْإِشْرَافِ، والْإِحَاطَةِ والْقُدْرَةِ.**

﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ ولا فِي الْأَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ ولا أَكْبَرُ﴾ **بِالْإِحَاطَةِ والْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ، لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِيهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ، فَإِذَا كَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهَا الحوَايَةُ**[1].

إن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ**﴾[2]، وقال تعالى عن ساعة الموت: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ **أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ**﴾[3].

فليسَ الله في هوّة سحيقة، وليس بعيداً عن خلقه، لكن قُربَه ليس قرباً مكانياً، إذ لا يحويه المكان ولا يحيط به.

٨. الثالوث وإثبات النقص في اللّه تعالى

يقول الأب هنري بولاد اليسوعي: مما لا شكّ فيه **أنَّ الآب هو مصدر الابن. لذا نُسَمّيه الآب، والابن نسمّيه الابن لأنه من الآب.. الآب أعظم من الابن، لأنّ الآب هو مصدر الابن، وله فضلٌ عليه..**

فأين المساواة بين الأب والابن؟

(١) الكافي ج١ ص١٢٧.

(٢) ق١٦.

(٣) الواقعة٨٣-٨٥.

سنوضّح هذه المساواة عندما نُدرك أنَّ **بين الآب والابن شرطُ وجودٍ متبادَل، فلا وجودَ للابن إلاَّ من خلال الآب، ولا وجود للآب إلاَّ من خلال الابن**. وكما أنَّ الابن لا ينفرد بذاته بعيداً عن الآب، **كذلك الآب لا يستطيع أنّ يحقق ذاته إلاَّ بفضل الابن**.

فهناك فضلٌ متبادَلٌ بين الآب والابن، لأنَّ كلاً منهما شرطٌ للآخر. كيف ذلك؟

هل يمكن للآب أنْ يُحقّق أبوّةً بدون الابن؟ طبعاً لا. **فوجود الابن ضروريٌّ لتتوافر صفة الأبوّة لدى الآب**.

وهل يمكن للآب أنْ يعيش المحبّة المطلقة بدون الابن؟ طبعاً لا. فوجود الابن ضروريٌّ أيضاً لتتوافر صفة المحبّة لدى الآب[1]..

ويلاحظ على كلامه اثبات النقص في الله تعالى لاحتياجه إلى عيسى عليه السلام، فالله تعالى (عندهم) يتّصف بصفة الأبوّة، وهذه الصفة لا يمكن أن تتوفر فيه ما لم يكن عيسى الابن موجوداً، فصار الله تعالى محتاجاً إلى عيسى لكي يحوز على صفاته!

وهذه الصفة من صفات الذات عندهم، فذاتُ الباري عزّ وجل محتاجة لعيسى عليه السلام! فقوله (**الآب لا يستطيع أنّ يحقق ذاته إلاَّ بفضل الابن**) يثبتُ لعيسى عليه السلام فضلاً على الله تعالى، جلّ الخالق عزّ وجل عن ذلك.

والابن شرطٌ لوجود الآب، فلا وجودَ لله تعالى عندهم إلا بوجود عيسى

---

(١) منطق الثالوث ص١٢-١٣.

عليه السلام، فصار وجود الله تعالى مشروطاً بوجود عيسى عليه السلام !

وبهذا صار كلٌّ من الآب والابن مفتقراً للآخر، فصار هذا القول أسوأ من قول الثنوية، فإنهم وإن قالوا بإلهين، إلا أن كلّ إله عندهم غير محتاجٍ للآخر، بخلاف هؤلاء العلماء من النصارى حيث قالوا باحتياج كلّ واحدٍ للآخر!

فصل٤: الثالوث والدليل العقلي: صفات اللّه

لدى جملةٍ من علماء النصارى **محاولةٌ للاستدلال على الثالوث بالعقل**، وهي ترجع لمعنى صفات الله تعالى وكيفية فهمهم لها، وقبل عرض دليلهم، نعرض القول الحق في مسألة صفات الله تعالى، ثم نعرض كلماتهم وأدلتهم ونناقشها.

١. صفات اللّه: صفات الذات وصفات الفعل

وُصِفَ الله تعالى بصفاتٍ عدة في الكتاب المقدَّس، ليست كلُّها على نَسَقٍ واحد، ولنا أن نجعلها على قسمين:

القسم الأول: كالوجود والحياة والقدرة والعلم.

الله تعالى موجودٌ، وهو وحده واجبُ الوجود، مستغنٍ في وجوده عن كلّ أحد، وهذا مما لا يحتاج إلى دليل للاستدلال عليه.

والله تعالى حيٌّ قادرٌ عالمٌ، وَصَفَهُ بذلك الكتابُ المقدس، فمن قوله أنّه **حيٌّ**: لِتَعْبُدُوا **اللهَ الحَيَّ الحَقِيقِيَّ**[١]، وفيه: لِتَخْدِمُوا **اللهَ الحَيَّ**[٢].

ومن وصفه له بأنّه (القادر): في التوراة: **الله القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**[٣]، وفي الإنجيل: **إِنَّ الله قَادِرٌ** أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الحِجَارَةِ أَوْلاَداً لإِبْراهِيمَ[٤]، ووُصِفَ

(١) تسالونيكي الأولى١: ٩.

(٢) العبرانيين٩: ١٤.

(٣) التكوين٤٨: ٣.

(٤) متى٣: ٩، ولوقا٣: ٨.

بالقدير: **لأَنَّ القَدِيرَ** صَنَعَ بِي عَظَائِمَ[١].

ووُصِفَ بأنه يعلم: **الله يَعْلَمُ**[٢].

القسم الثاني: كالخلق والرزق والإماتة.

الله تعالى هو الخالق: فِي البَدْءِ **خَلَقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**[٣]. يَوْمَ **خَلَقَ الله الإِنْسَانَ**[٤]، وهو الرازق: **وَرَزَقَ الرَّبُّ** هَيْمَانَ[٥]، وهو الذي يميت: **فَأَمَاتَهُ الرَّبُّ**[٦].

الفارق بين القسمين

القسم الأوّل من الصفات، هي التي لا يمكن نَفيُها عن الله تعالى، ويمتنعُ اتّصافه بضدّها، فالله تعالى **موجودٌ لا يُمكن أن يوصف بالعَدَم**، والله تعالى **حيٌّ لا يمكن أن يوصف بالموت**، والله تعالى قادرٌ لا يمكن أن يوصف بالعجز، والله تعالى عالمٌ لا يمكن أن يوصف بالجهل.

والقسم الثاني من الصفات، هي التي يمكن أن يتّصف الله تعالى بها وبضدّها، فنقول: (خلق الله آدم وعيسى عليه السلام) و(لم يخلق الله لآدم ولعيسى عليهما السلام أباً)، ورَزَقَ الله علياً ولم يرزق بكراً، وأمات الله آدم عليه السلام، ولم يُمِت عيسى عليه السلام.

فإن قيل: إن قولنا: (الله خالقٌ) يعني (الله قادرٌ على الخلق)، وصفة القدرة

(١) لوقا١: ٤٩.

(٢) كورنثوس الثانية١٢: ٢.

(٣) التكوين١: ١.

(٤) التكوين٥: ١.

(٥) أخبار الأيام الأول٢٥: ٥.

(٦) التكوين٣٨: ٧..

هذه مما يتّصف الله تعالى بها ويمتنع اتصافه بضدّها.

قلنا: نعم لو فُسِّر (الخلق) ب(القدرة على الخلق) لكان مرجع هذا التفسير إلى صفة (القدرة)، وهي من القسم الأول فعلاً، وقولنا أن الله (قادرٌ على الخلق والرزق والإماتة) يرجع كلُّه لصفة القدرة، ولكن **ليس هذا هو المراد من قولنا (الله خالقٌ) ههنا**، إنما يراد منها فعليّة الصفة أو إعمالُها، أي أن الله تعالى يخلق فلاناً فعلاً ولا يخلق له شقيقاً مع ثبوت قدرته في الموردين، وهذا الخلق الفعليّ مما يتصف الله تعالى به وبضدّه، باختلاف الموارد، بحسب ارادته ومشيئته.

نعم عندما تُطلَق ويُرادُ منها القدرة تكونُ من صفات الذات، وعليه نحملُ ما ورد في أحاديثنا عن المعصومين عليهم السلام أنّه تعالى كان خالقاً إذ لا مخلوق، ومنها قول الإمام أبي إبراهيم الكاظم عليه السلام: **عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَخَالِقٌ إِذْ لَا مَخْلُوقَ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ**[1]. على أنّه قد يُراد منها خلقُ التقدير لا خلق التكوين[2].

ويوضح هذه المعاني قولُ الإمام الرضا عليه السلام: **لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَحَقِيقَةُ الْإِلَهِيَّةِ إِذْ لَا مَأْلُوهَ، وَمَعْنَى الْعَالِمِ وَلَا مَعْلُومَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ، وَتَأْوِيلُ السَّمْعِ وَلَا مَسْمُوعَ.**

لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ اسْتَحَقَّ مَعْنَى الخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرَايَا اسْتَفَادَ مَعْنَى

---

(١) الكافي ج١ ص١٣٩.

(٢) فالله تعالى قد قدّر ما يخلق منذ الأزل، ومن معاني الخلق خلق التقدير كما ورد في عيسى عليه السلام في القرآن الكريم، وقد تعرّضنا لذلك مفصلاً في كتاب (الثالوث والكتب السماوية) الفصل الرابع باب (ألوهية عيسى في القرآن الكريم).

الْبَارِئِيَّةِ[1].

فهو خالقٌ منذ الأزل لاتصافه بالقدرة على الخلق، وإن لم يكن قد خَلَقَ المخلوقات، وهو خالقٌ بالفعل عند خلقه المخلوقات، دون أن يلزم فيه التغيُّر.

وههنا **معضلة في القسم الأول من صفات الله تعالى**: فكما أن الله تعالى أزليٌّ، كذلك **صفاتُه أزليّة**، إذ لو لم تكن أزليّةً لَزِمَ النقص فيه **أولاً قبل حصول الكمال، ولزم التغيُّر فيه تعالى والتبدُّل** بعد تحقُّقها.

فإذا ثبت أنه تعالى أزليٌّ وصفاته أزليّة، بمعنى أنّ الله تعالى كما أنّه موجودٌ غير مسبوق بالعدم، كذلك **حياته وعلمه وقدرته ليست طارئة عليه**، لزم أحد أمرين:

الأول: إما **لزوم التعدد في القديم، فيكون الله متعدداً، لتعدُّد الصفات**، فيقال حينها بأن القديم متعدّدٌ: الله، ووجوده، وقدرته، وعلمه، وحياته، وهكذا كلّما ثبتت له صفةٌ ثبت قِدَمُها.

الثاني: أو **لزوم التركيب في الذات الإلهية المقدَّسة**، فيكون الإلهُ مركَّباً من القدرة والحياة والعلم وسواها.

وكلاهما منفيّان عن الله تعالى، فهو عزّ وجلّ منزّهٌ عن التعدُّد وعن التركيب، باتفاق المسلمين والنصارى.

ولهذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام: **وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ**

---

(١) التوحيد للصدوق ص٣٨.

عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، **فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ**[1].

كيف يكون الحلُّ إذاً؟

الحلُّ في **التمييز بين القسمين**:

القسم الأول من الصفات: صفات الذات، وهي أزليّة، لكن **لا على سبيل الصفة العارضة على الله تعالى كي يثبت التعدُّد، بل هذه الصفات هي عينُ ذاته.**

والقسم الثاني من الصفات: هي صفات الفعل، وهذه الصفات ليست قديمةً ولا أزليّة **وإلا كان المخلوق والمرزوق قديماً مع الله تعالى.**

فكون القسم الأول هو صفة ذاتٍ بمعنى **أن صفته هي عين ذاته**، ينفي التعدّد، وينفي التركيب.

وكون القسم الثاني ليس قديماً ولا أزلياً ينفي قِدَمَ العالم والمخلوقات.

فيثبت أن الله تعالى **كان ولم يكن معه شيء**، وأما صفاته فهي عينُ ذاته، فلا هي صفاتٌ متعدِّدةٌ قديمة، ولا هو مُركّبٌ من صفاتٍ متعددة.

ويثبت أن الله مختارٌ في الخلق، يخلق ما يشاء متى يشاء، ويرزق من يشاء ويمنع من يشاء.

---

(١) نهج البلاغة ص٣٩.

كيف تكون الصفات عين الذات؟

ذكرنا بياناً حول صفات الذات في كتاب عرفان آل محمد عليهم السلام[1]، نورد بعضه ههنا:

إنّ كونها عين ذاته يعني أنها **ليست مغايرة لذاته كصفاتنا، فإنّ علمَنَا زائدٌ عن ذواتنا حيث كنّا جاهلين فعلمنا**، وقدرتنا زائدةٌ عن ذاتنا حيث لم نكن قادرين فقدرنا، وهكذا سائر الصفات تكون عارضة على ذواتنا..

أمّا ربّنا عز وجل فهو منزّه عن أن تكون له صفةٌ كصفاتنا زائدةٌ عن ذاته، إذ لو لم تكن صفاته هذه عين ذاته: لَشَهِدَ كلُّ موصوفٍ أنّه غير الصفة كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، فيلزم من ذلك سلسلة اللوازم التي منها تثنيته تعالى، والقول بتجزئته إلى أن يصل إلى عدّه وهو خلاف الوحدانية، فيلزم من القول بأن له صفاتٍ طارئة على ذاته إبطال التوحيد الذي هو كمال التصديق بالله تعالى.

لذا كان: **كَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ.**

أما مع كون الصفة عين الموصوف وذاته، فلا يلزم شيء من تلك اللوازم الفاسدة، ولا بدّ من **إثبات هذه الصفات على أنها ذاته وليست صفة عارضة عليه.**

وهو ما روي عن أبي عَبْدِ الله عليه السلام أنه قال: لَمْ يَزَلِ الله عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا **وَالعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرَ، وَالقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورَ**، فَلَمَّا أَحْدَثَ الأَشْيَاءَ وَكَانَ المَعْلُومُ وَقَعَ العِلْمُ مِنْهُ عَلَى المَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ

(١) عرفان آل محمد عليهم السلام ص٦٢ وما بعدها.

عَلَى المسْمُوعِ، وَالبَصَرُ عَلَى المبْصَرِ، وَالقُدْرَةُ عَلَى المقْدُورِ[١]..

ولما سئل الإمام الصادق عليه السلام: فَتَقُولُ إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟

قَالَ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، **سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ، وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ.**

لَيْسَ قَوْلِي إِنَّهُ سَمِيعٌ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَبَصِيرٌ يُبْصِرُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرُ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْئُولًا وَإِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلًا، فَأَقُولُ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بِكُلِّهِ، لَا أَنَّ الكُلَّ مِنْهُ لَهُ بَعْضٌ.

وَلَكِنِّي أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ وَالتَّعْبِيرُ عَنْ نَفْسِي، وَلَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ إِلَّا إِلَى أَنَّهُ **السَّمِيع البَصِيرُ العَالِمُ الخَبِيرُ بِلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ** وَلَا اخْتِلَافِ المعْنَى[٢]..

فهو السميع البصير العالم الخبير الذي لا بآلةٍ أو جارحةٍ يسمع ويُبصِرُ ويعلم.

ولو لم يكن الأمر كذلك، لعجز النصارى عن تفسير وجوده وحياته وقدرته وعلمه، ولذا **اعترف عددٌ من كبار علمائهم بأن صفات الله عين ذاته،** قال القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م): إذا قلنا إن الله محلّ المعاني، وإذا أضفنا إليه صفاتٍ، **فليس يعني هذا أن في الله كثرة، وأن الصفات متحقّقة فيه على نحو تحقُّقها في المخلوقات، فإن الله بسيطٌ كل البساطة،** وما نتصوّره فيه هو عين الجوهر الإلهي، بل يجب الاحتراز من تسميته جوهراً لئلا يذهب الفكر إلى أن الله موضوعٌ

---

(١) الكافي ج١ ص١٠٧.

(٢) الكافي ج١ ص٨٣.

لصفاتٍ أو أعراضٍ متمايزة عنه.. الله هو الموجود إلى أعظم حدٍّ، **فلا بدّ أن تكون صفاته عين ذاته**.. إذن فالله عظيمٌ (مثلاً) **لا بعظمةٍ مغايرةٍ له، بل بعظمةٍ هي عين ذاته**. وهكذا يقال بالإضافة إلى **الحياة والعقل والسعادة والقدرة، وعلى هذا النحو تتّحد كلُّ صفةٍ إلهيةٍ بالذات الإلهية**، ومن ثمة تتّحد الصفات فيما بينها[1].

وإليه نظر القديس يوحنا الدمشقي أيضاً بقوله: **وينبغي ألا نقول بصفةٍ في الله لئلا نجعل فيه تركيباً من جوهر وصفة**[2].

وإليه أشار القديس توما الأكويني بقوله: فالله عين ماهيته، بل عين وجوده أيضاً، **وعين كل ما قد نثبته له من صفات**[3].

وقفةٌ مع صفات الذات

إذا كانت صفات الله تعالى هي عينُ ذاته، وكانت ذاتُه غير قابلةٍ للإدراك، فهل ستكون صفاته تعالى قابلة للإدراك والإحاطة؟!

فإن قلنا أنّها قابلة للإحاطة والتعقُّل، صار الله تعالى متّصفاً بصفات المخلوقات، وهو منفيٌّ ممتنع.

وإن قلنا أنّها غير قابلة للإحاطة، قيل: كيف ذلك؟ والله عالمٌ وأنتم علماء، والله يسمعُ ويبصر وأنتم تسمعون وتبصرون.. وهكذا.

لقد روينا عن محمّد بن مسلم في بيان ذلك عن إمامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام

(١) تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ص٣٤-٣٥.

(٢) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٨٠.

(٣) تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ص١٤٨.

قوله: **فِي صِفَةِ الْقَدِيمِ إِنَّهُ وَاحِدٌ صَمَدٌ أَحَدِيُّ المعْنَى لَيْسَ بِمَعَانِي كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؟**

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَزْعُمُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ **أَنَّهُ يَسْمَعُ بِغَيْرِ الَّذِي يُبْصِرُ وَيُبْصِرُ بِغَيْرِ الَّذِي يَسْمَعُ.**

قَالَ: فَقَالَ: كَذَبُوا وَأَلحدُوا وَشَبَّهُوا، تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ وَيُبْصِرُ بِمَا يَسْمَعُ.

قَالَ: قُلْتُ: يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَصِيرٌ عَلَى مَا يَعْقِلُونَهُ.

قَالَ: فَقَالَ: **تَعَالَى الله، إِنَّمَا يعْقَلُ مَا كَانَ بِصِفَةِ المخْلُوقِ، وَلَيْسَ الله كَذَلِكَ**[1].

فنفى ثبوت الأداة التي بها يَعلم ويَسمع ويُبصِر، وأثبت أن هذه الصفات هي عين الذات، فليس هناك أداةٌ للسمع وأخرى للبصر، بل لا أداة أبداً، فما يسمع به يبصر به، لا على معنى يتعقّله الإنسان، لأن الله تعالى ليس على صفة المخلوقات كي تحيط به عقولها.

لذا كان **العلم في الله بمعنىً مختَلِفٍ عن العلم فينا**، وكذا سائر الصفات، ولذا قال إمامنا الرضا عليه السلام عن الله تعالى أنّه: **أَلْزَمَ الْعِبَادَ أَسْمَاءً مِنْ أَسْمَائِهِ عَلَى اخْتِلَافِ المعَانِي، وَذَلِكَ كَمَا يَجْمَعُ الِاسْمُ الْوَاحِدُ مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ..**

وَ إِنَّمَا سُمِّيَ الله تَعَالَى بِالْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ حَادِثٍ عَلِمَ بِهِ الْأَشْيَاءَ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى حِفْظِ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِهِ.. كَمَا **أَنَّا لَوْ رَأَيْنَا عُلَمَاءَ الخلْقِ إِنَّمَا سُمُّوا بِالْعِلْمِ لِعِلْمٍ حَادِثٍ**، إِذْ كَانُوا فِيهِ جَهَلَةً وَرُبَّمَا فَارَقَهُمُ الْعِلْمُ بِالْأَشْيَاءِ فَعَادُوا إِلَى الجْهْلِ، **وَإِنَّمَا**

---

(١) الكافي ج١ ص١٠٨.

سُمِّيَ اللهُ عَالِماً لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئاً، فَقَدْ جَمَعَ الخَالِقَ وَالمخْلُوقَ اسْمُ الْعَالِمِ، وَاخْتَلَفَ المعْنَى عَلَى مَا رَأَيْتَ[١].

وهكذا السميع والبصير وسواها من الصفات، أُطلقت على الله بمعنىً وأطلقت على العباد بمعنىً آخر، فلا يلزم من ذلك لازمٌ فاسد.

فإن قيل: إن من بين أسماء الله الحسنى «السميع» و «البصير» فمن كان يسمع جلّ شأنه؟ ومن كان يُبصر قبل أن يخلق الخلق من العدم؟[٢].

قلنا: الجواب نقضيٌ وحليّ.

أما **الجواب النقضيّ**: فإنّ القول بلزوم وجود المسموع والمُبصَر يعني لزوم وجود المعلوم أيضاً، ولا خلاف بين المسلمين والنصارى في أنّ الله تعالى **يعلم بما كان قبل أن يكون، ويعلم بمخلوقاته قبل خلقها**، ولازم هذا الإشكال هو **قِدَم المخلوقات**، والمسموعات والمُبصِرات، لأنّه لا بدّ للعلم من معلوم، وللسمع من مسموع، والله تعالى عالمٌ منذ الأزل وسميعٌ منذ الأزل، **فلا بدّ أن يكون المخلوقُ أزليّاً، وهذا باطلٌ بالاتفاق. فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.**

وأمّا **الجواب الحَليّ**: فهو أنّ السَّمع والبصر لا يقتضي وجود المسموع والمُبصَر، كما أن العلم لا يقتضي وجود المعلوم، نعم بعد وجوده يقع العلم على المعلوم، فيكون منطبقاً عليه دون تغيُّرٍ في الذات الإلهية، فالمتغيِّرُ هو الكائنات المخلوقة، والله تعالى منزّه عن التغيّر: **فَلَمَّا أَحْدَثَ الأَشْيَاءَ وَكَانَ المعْلُومُ وَقَعَ العِلْمُ**

---

(١) الكافي ج١ ص١٢١.

(٢) القائل هو القس الدكتور لبيب ميخائيل في كتاب: لا إله إلا الله ص٥٧-٥٨.

مِنْهُ عَلَى المعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَى المسْمُوعِ، وَالبَصَرُ عَلَى المبْصَرِ، وَالقُدْرَةُ عَلَى المقْدُورِ(١).

فيثبت بهذا أمران:

الأمر الأول: أنّه تعالى يعلم ويسمع ويُبصر بلا أداةٍ أو جارحة.

ومما أرشد إليه من كلمات المعصومين عليهم السلام، ما قاله أَمِيرُ المؤْمِنِينَ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ خَطَبَهَا بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِسَبْعَةِ أَيَّام: فَارَقَ الْأَشْيَاءَ لَا عَلَى اخْتِلَافِ الْأَمَاكِنِ، وَتَمَكَّنَ مِنْهَا لَا عَلَى الْمُمَازَجَةِ، **وَعَلِمَهَا لَا بِأَدَاةٍ لَا يَكُونُ الْعِلْمُ إِلَّا بِهَا، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْلُومِهِ عِلْمٌ غَيْرُهُ**(٢).

فَعَلِمَ تعالى الأشياء لا بأداة ينحصر علمه بها، وليس العلم غيره ليكون قديماً معه، وثالثاً بينه وبين مخلوقاته.

الأمر الثاني: أنّه تعالى عالمٌ إذ لا معلوم، وسميعٌ إذ لا مسموع.

ومما أرشد إليه من كلماتهم عليهم السلام حديث الإمام الصادق عليه السلام: كَانَ **رَبّاً إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَإِلَهاً إِذْ لَا مَأْلُوهَ، وَعَالِماً إِذْ لَا مَعْلُومَ، وَسَمِيعاً إِذْ لَا مَسْمُوعَ**(٣).

وقفةٌ مع صفات الفعل

من صفات الفعل الخلقُ والرزق والعطاء والمنع والعقاب والثواب، **والأمرُ في هذه الصفات واضحٌ لا لبس فيه، ومنها صفاتٌ وقع الكلام فيها، واشتبه الأمرُ**

(١) كما عن الإمام الصادق عليه السلام في الكافي ج١ ص١٠٧.

(٢) التوحيد للصدوق ص٧٣.

(٣) الكافي ج١ ص١٣٩.

على قومٍ فعدّوها من صفات الذات، كالكلام والمحبّة، والحال أنّها من صفات الفعل.

والله تعالى لا يطرأ عليه التغيُّر والتبدُّل، فصفاته لا تتغير قبل الخلق وبعده، وقبل الرزق وبعده، وهو لا يتغيّر بالعطاء ولا بالمنع.

وقد روينا مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع عمران الصابئ: قَالَ عِمْرَانُ الصَّابِئُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْكَائِنِ الْأَوَّلِ وَعَمَّا خَلَقَ.

قَالَ عليه السلام: سَأَلْتَ فَافْهَمْ، **أَمَّا الْوَاحِدُ فَلَمْ يَزَلْ وَاحِداً كَائِناً لَا شَيْءَ مَعَهُ، بِلَا حُدُودٍ وَلَا أَعْرَاضٍ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ. ثُمَّ خَلَقَ خَلْقاً مُبْتَدَعاً مُخْتَلِفاً بِأَعْرَاضٍ وَحُدُودٍ مُخْتَلِفَةٍ**[1].

لقد تبيّن فيما تقدّم أن وحدانية العدد منفيةٌ عن الله تعالى، ووحدانية نفي التشبيه ثابتة له، وهي التي نظر لها هذا الحديث، فإنّ الله تعالى كان بلا حدود ولا أعراض، ولا شيء سواه هكذا، ولا يزال كما كان، بلا شبيهٍ ولا حدود، حتى بعد خلقه الخلق، لأن الله ليس واحداً في العدد كي تصير المخلوقات ثانيةً وثالثةً ورابعةً معه.

لذا لا يدلُّ هذا النصُّ في فقرة (**وَاحِداً.. وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ**) على وحدة الوجود، لأنّ المثبَت فيه هو كونه واحداً أزلياً (بلا حدود ولا أعراض) وأنّه لا يزال كذلك أي خلياً من هذه الحدود والأعراض لامتناع اتصاف الخالق بها، أما ما سواه من المخلوقات فهو مختلفٌ بأعراضه وحدوده، **فلا يتغير الخالقُ** غير

(١) التوحيد (للصدوق) ص٤٣١.

المحدود بعد خلق الخلق المحدود، **وهو الذي لا يحدُّه شيء، فلا يزال كما كان وحده متصفاً بصفات الكمال** هذه.

ويشهد لهذا كلام الإمام عليه السلام: قَالَ لَهُ عِمْرَانُ: يَا سَيِّدِي أَ لَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْخَالِقِ إِذَا كَانَ وَاحِداً لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، **أَلَيْسَ قَدْ تَغَيَّرَ بِخَلْقِهِ الخلْقَ؟**

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: **لَمْ يَتَغَيَّرْ عَزَّ وَجَلَّ بِخَلْقِ الخلْقَ، وَلَكِنَّ الخلْقَ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِه**[١]..

قَالَ عِمْرَانُ: يَا سَيِّدِي فَإِنَّ الَّذِي كَانَ عِنْدِي **أَنَّ الْكَائِنَ قَدْ تَغَيَّرَ فِي فِعْلِهِ عَنْ حَالِهِ بِخَلْقِهِ الخلْقَ.**

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: **أَحَلْتَ يَا عِمْرَانُ فِي قَوْلِكَ إِنَّ الْكَائِنَ يَتَغَيَّرُ فِي وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ حَتَّى يُصِيبَ الذَّاتَ مِنْهُ مَا يُغَيِّرُهُ**[٢]..

فإنّ الخلق لما كان فعلاً منه تعالى، لم يحصل تغيُّرٌ ولا تغييرٌ في الذات الإلهية المقدّسة، وإنّما يقال عن الكائن أنّه متغيِّرٌ بِتَغَيُّر ذاته، وذاته تعالى لا تتغير. **فالمتغيِّرُ هو المخلوق دون الخالق.**

وهكذا يُفهم قوله عليه السلام لأبي قرّة المحدّث: **قَدْ كَانَ وَلَا خَلْقَ وَهُوَ كَمَا كَانَ إِذْ لَا خَلْقَ، لَمْ يَنْتَقِلْ مَعَ الْمُنْتَقِلِينَ**[٣].

ويزيده وضوحاً قول أمير المؤمنين عليه السلام لجاثليق النصارى: قَالَ الْجَاثَلِيقُ:

---

(١) التوحيد (للصدوق) ص٤٣٣.

(٢) التوحيد (للصدوق) ص٤٣٤.

(٣) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج٢ ص٤٠٧.

.. فَخَبِّرْنِي عَنِ الله تَعَالَى، أَيْنَ هُوَ الْيَوْمَ؟

فَقَالَ: يَا نَصْرَانِيُّ، إِنَّ الله تَعَالَى يَجِلُّ عَنِ الْأَيْنِ، وَيَتَعَالَى عَنِ المكَانِ، **كَانَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ الْيَوْمَ عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ**[١].

فلم يتغيّر الله تعالى بخلق الخلق، كما لم يحلّ في المكان بعد خلق المكان، ولا خلاف بين المسلمين والنصارى في ذلك.

لكنّ الخلاف وقع في صفتي **الكلام والحب**، ففي حين قلنا أنّ **كلام الله تعالى حادثٌ غير أزليّ**، وأن حبَّه هو فِعلُه بمعنى رحمته بخلقه أو مغفرته لذنوبهم أو رضاه عنهم أي قبوله منهم وإعطاؤهم المثوبة وأمثال ذلك، **استدلّ بعض علماء النصارى بصفتي الكلام والحبّ على إثبات الأقانيم، بتقريبٍ مفاده**: أن الله تعالى كان متكلّماً ومُحِبّاً منذ الأزل، فمع من كان يتكلّم؟ ومن كان يحبّ؟

ولما لم تكن المخلوقات أزليّة، كان لا بدّ من وجود أقانيم في الله تعالى لئلا يلزم تعطيل هذه الصفات!

ومن كلماتهم في ذلك ما ذكره القس الدكتور لبيب ميخائيل بقوله: **الله «متكلم»** وتَعَلُّقُ صفة الكلام بذات الله جلّ شأنه أمر مُسَلَّمٌ به.. فالذي وهب الإنسان القدرة على الكلام **لا بدّ أن يكون متّصفاً بالكلام**.. فصفة الكلام من صفات الله كعلمه.. وقدرته.. وحكمته[٢].

ثم يستشهد بكلام بعض علماء المسلمين القائلين بأنّ الله تعالى لم يزل متّصفاً

(١) الأمالي (للطوسي) ص٢٢٠.

(٢) الأمالي (للطوسي) ص٢٢٠.

بالكلام أزلاً وأبداً، ليقول بعد ذلك: **ما دام الكلام صفةً أزليةً من صفات الله.. فمع من كان الله تبارك اسمه يتكلم قبل أن يخلق الملائكة والناس؟** هل كانت صفة الكلام فيه - وهي صفةٌ أزليّةٌ من صفات ذاته - **معطّلةً حتى خلق خلقه؟ وبهذا نجعله جلّت قدرته ناقصاً بذاته..** كاملاً بمخلوقاته.. وحاشا لله أن يكون كذلك[1].

والاستدلال نفسه يورده حول (المحبّة) فيقول: إن من بين أسماء الله الحسنى أنه «الودود».. **فلمن كان يتودد قبل أن يخلق الملائكة والناس؟**[2].

ليخلص إلى أنّه كان يُحِبُّ ويتودّد لأقانيمه الأخرى.

ويقول الأب هنري بولاد اليسوعي: من الواضح ممّا سبق أنّ الله، حتّى يكون الله، **يجب أنْ يتّصف بالمحبّة المطلقة، وأنَّ المحبّة تقتضي الثنائيّة، وأنّ الثنائيّة على شكل إلهٍ آخر مستحيلة،** إذ لا إله إلاَّ الله، وأنّ الثنائيّة على الخليقة والإنسان مستحيلة، لأنّ الإنسان عاجزٌ عن أن يمثّل الطرف الآخر للمحبّة الإلهيّة للأسباب التي عرضناها. **إنّنا مضّطرّون إذاً، لعجزنا عن إيجاد الثنائيّة خارج إطار الألوهيّة، إلى البحث عنها داخل إطار الله ذاته، أي في داخل إطار وحدانيّة الجوهر الإلهيّ، لا في خارجه**[3].

فصار دليلهم مركّباً من مقدّمات:

المقدّمة **الأولى**: أن **الكلام والمحبّة من صفات الله الأزلية.**

---

(١) كتاب: لا إله إلا الله ص ص٥٧-٥٨.

(٢) كتاب: لا إله إلا الله ص ص٥٧-٥٨.

(٣) منطق الثالوث ص٩.

المقدّمة **الثانية**: أن **هذه الصفات لا بدّ وأن تكون مفعّلة لا معطّلة.**

المقدّمة **الثالثة**: أنّه **لا بدّ من وجود طرفٍ يتكلّم معه الله ويحبّه.**

المقدّمة **الرابعة**: أنّه **يمتنع كون هذا الطرف هو المخلوق لكونه غير أزليّ.**

النتيجة: أنّه لا بدّ من وجود تعدُّدٍ (داخل الله) مع الحفاظ على (وحدة الجوهر)، **وليس إلا القول بالثالوث.**

ويُلاحظ على هذا الاستدلال: أن المقدّمات الأربعة باطلة بأجمعها، ويكفي بطلان واحدةٍ منها لتبطل النتيجة، لأن النتيجة تتبع أخسّ المقدّمات، فكيف ببطلانها جميعاً؟!

يضاف إلى ذلك أنّ **النتيجة المذكورة مستحيلةٌ في نفسها**، لِتِرتُّب لوازم فاسدة عليها منها التناقض كما تبيّن سابقاً، ما يكشفُ بنفسه عن عُقم المقدّمات وبطلانها.

أما الوجه في بطلان المقدّمات الأربعة:

فقد بطلت المقدّمة الأولى لأنّ الكلام والمحبّة من صفات الفعل كما تقدّم[1]، كالخلق والرزق تماماً، فقد يكلِّم الله موسى عليه السلام ولا يكلّم هارون، ويحبّ موسى عليه السلام ولا يحب فرعون.

ومن أوضح ما يدلُّ عليه هو استدلال الإمام الرضا عليه السلام بقوله: **أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَا سِوَى الله فَانٍ، وَمَا سِوَى الله فِعْلُ الله، وَالتَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ**

---

(١) تعرّضنا لإثبات كون الكلام من صفات الفعل في الكتاب المقدّس والقرآن الكريم في كتابنا (الثالوث والكتب السماوية: فصل٣: باب الثالوث في القرآن الكريم)، فليراجع.

وَالزَّبُورُ وَالفُرْقَانُ فِعْلُ الله.. **التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ.. كُلُّهَا مُحْدَثَةٌ مَرْبُوبَةٌ أَحْدَثَهَا مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ هُدًى لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُنَّ لَمْ يَزَلْنَ مَعَهُ فَقَدْ أَظْهَرَ أَنَّ الله لَيْسَ بِأَوَّلِ قَدِيمٍ وَلَا وَاحِدٍ**، وَأَنَّ الكَلَامَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ وَلَيْسَ لَهُ بَدْءٌ وَلَيْسَ بِإِلَهٍ[1].

والنصارى يشتركون معنا نحن المسلمين في القول بأنّ ما سوى الله فانٍ، فثبت بهذا أن كلام الله (كالكتب السماوية وغيرها) مُحدَثٌ، **ولو كان أزلياً لانتفى التوحيد، لأنّ الكلام سيكون أزلياً مع الله تعالى**، فيتعدّد القديم.

وسواءٌ قال بها بعض المسلمين وبعض النصارى أم لم يقولوا، فإنّ كون الكلام قديماً باطلٌ بلا شكّ وشبهة.

وقد روينا عن المعصومين عليهم السلام مناجاة الله تعالى لعبده عيسى بن مريم: يَا عِيسَى: **كُنْتُ خَلَقْتُكَ بِكَلَامِي، وَلَدَتْكَ مَرْيَمُ بِأَمْرِي المرْسَلُ إِلَيْهَا**، رُوحِي جَبْرَئِيلُ الْأَمِينُ مِنْ مَلَائِكَتِي، حَتَّى قُمْتَ عَلَى الْأَرْضِ حَيّاً تَمْشِي، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي سَابِقِ عِلْمِي[2].

أمّا الحبّ، فقد دلّ الكتاب المقدّس أيضاً على أنّه من صفات الفعل، **لأنّ الله تعالى قد يُحِبُّ وقد لا يحبّ، وهذه صفة أفعاله تعالى**، بخلاف القدرة فلا يمكن أن يتّصف بالقدرة على شيء وبعدمها على شيء آخر.

ومن ذلك: الله لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ. إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، فَالله يَثْبُتُ فِينَا،

---

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج٢ ص٤٠٥-٤٠٦.

(٢) تحف العقول ص٤٩٨، والكافي ج٨ ص١٣٧ باختلافٍ يسير.

وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا[١].

فمَحَبَّةُ الله تكمل في عباده بعد أن يُحبّ أحدهم الآخر، وعليه لا يمكن أن تكون من صفات الذات، لأن الناس لم يكونوا في الأزل كي يحبّوا بعضهم البعض فتكمل فيهم.

والمَحَبّةُ تحتاج إلى ثَبَاتٍ، فقد تنتفي عند انتفاء أسبابها: **إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ**[٢].

وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، **فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ الله فِيهِ؟**[٣].

فمن يحفظ الوصايا ويُعين أخاه تثبُت المحبّة فيه، ولذا لو انحرفَ مؤمنٌ عن الطريق القويم **فارَقَتهُ محبّة الله تعالى، فكيف تكون أزليّة؟!** ولو كانت المحبّة من صفات الذات وأحبّ الله المؤمن ثم أبغضه لِكُفرِه بعد إيمانه **لَزِمَ التَغَيُّر في الذات الإلهية المقدسة، وقد جلّ الخالق عن ذلك.**

وقد **بطلت المقدّمة الثانية** لأنّ صفة الفعل إما أن تكون خاضعة لمشيئة الله وإرادته، وإما أن لا تكون كذلك، **والاعتقاد بأنّها مفعّلة بمعنى لزوم اتيان الله تعالى بها يلزم منه الاعتقاد بأنّ الله تعالى مجبورٌ لا مختار! وهذا باطلٌ بالاتفاق**، فإذا كان تعالى مُختَاراً في أن يتكلّم أو يخلق أو يرزق متى شاء لم يكن لهذه المقدّمة معنى، لأنّ الفعل وعدمه خاضع لمشيئة الله واختياره.

---

(١) يوحنا الأولى٤: ١٢.

(٢) يوحنا ١٥:١٠.

(٣) يوحنا الأولى٣: ١٧.

وقد **بطلت المقدّمة الثالثة** لأنّ الله هو الأزليُّ وحده، وهذا الفعل كالخلق والرزق ليس أزلياً، **فلا يلزم منه وجود طرفٍ قبل وجود الفعل نفسه**، بل يوجد هذا الطرف بالفعل كالخلق، أو يكون هذا المخلوق محلاً للفعل كالرزق.

وقد **بطلت المقدّمة الرابعة** حيث ثبت أن **ذات الله تعالى ليست محلاً للحوادث، ولا يطرأ على الباري عزّ وجلّ التغيُّر، فلا بدّ أن يكون من وقع عليه الفعل مخلوقاً منفعلاً**، أما لو وقع الفعل على الله تعالى نفسه فيكون الخالق متأثراً متغيِّراً، وهذا باطل، فلا بدّ أن يكون الطرف الآخر هو الكائن المخلوق.

لذا لمّا أراد الله تعالى أن يخلق أوجد مخلوقاته لا من شيء، بإرادته ساعة شاء، دون أن تكون المخلوقات أزليّة، وكذا لما كلّم الله تعالى بعض عباده، كلّمهم بكلامٍ مُحدَثٍ دون أن يكون الكلام أزليّاً، ولما أحبّ الله تعالى من أطاع من خلقه لم يكن هذا الحُبُّ أزلياً بل كان فِعلاً حادثاً، وكان الله تعالى فيه مختاراً غير مجبور، وهو القاهر القدير، سبحانه جلّ شأنه.

٢. الثالوث والعقل: صفات الله

بعدما تبيّن الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، وكون الأولى هي عين ذات الله تعالى، والثانية صفات أفعاله، نعرض نماذج متعددة من الاستدلال بصفاتِ الله تعالى كدليلٍ عقليٍّ على الثالوث، حيث استدلّ جمعٌ من علماء النصارى بها.

يرتكزُ هذا الاستدلال على كون صفات الله (فاعلة) لا (معطلة)، فإن كان الله مُحِبّاً لا بدّ أن يكون هناك محبوب، وإن كان الله قادراً لا بد من أن يكون هناك

من تظهر عنده قدرة الله، وهكذا سائر الصفات.

وليس إلا الثالوث، أي الأقانيم الثلاثة لله تعالى بحسب عقيدة النصارى، فيدل هذا الدليل على وجود هذه الأقانيم، إذ لو لم توجد يلزم أحد أمرين:

الأول: أن تكون صفات الله معطلة، وهذا باطل.

والثاني: أن يكون هناك أزليٌّ غير الله وغير الأقانيم لكي تكون الصفات فاعلة، وهذا يدلّ على أزلية الخلق وهذا باطل أيضاً.

فيثبت مطلوبهم. هذه هي **خلاصة الدعوى**، وأما نماذج قولهم بها والاستدلال عليها ومناقشتها ففيما يلي:

نموذج١ : أبو رائطة التكريتي، ٨٣٥م

يقرّ التكريتي بالتمييز بين صفات الذات كالحياة والعلم، وصفات الفعل كالخلق والرزق، ويبدأ بالحديث حول صفات الذات فيقول:

إن كان الله لم يزل حيّاً عالماً، فالحياة والعلم إذاً أزليّة، وإن كان الأمر على ما وصفنا فلا محالة من أن تكون هذه المنسوبة إليه، الحياة أعني والعلم، **إما غيره كما ينسب الشريك إلى الشريك، وإما منه**، ف(منه) أيضاً على وجهين:

١. إما فعلَ فعلٍ منه.. فقد نفينا عنه هذه الصفة..

٢. وإما أن تكون من جوهره.

وإن كانت أيضاً من جوهره، فذلك على وجهين:

١. إما كاملةٌ من كامل.

٢. وإما أبعاضٌ من كامل.

فأما الأبعاض فلا يجوز في صفة الله لأنه مُعلّى عن ذلك. فإذاً لا محالة أنها كاملةٌ من كامل[١].

فالتكريتيُّ هنا خَيَّرَ المسلمين بين خيارين: أن تكون هذه الصفات (غير الله) أو (من الله)، وبنى عليه بُنيانه، لكن تقدّم منّا أنّ القول الحقّ في ذلك أنّ هذه الصفات هي (عين ذاته) تعالى وليست (غيره) أو (منه) كي يلزم على كمالها أن تكون (كاملةً من كامل)، لأنّه ليس في الله تعالى تبعيضٌ ولا تجزئةٌ ولا تعدّدٌ ولا تركيب.

ثم ينتقل إلى محاولة إثبات الثالوث بالقول أنّ هذه الصفات التي اعتبرها (من الله) إما أن تكون متباينة فهذا نقضٌ لصفات الله، حيث يثبت التعدد في صفاته الأزلية، وكلٌّ منها تحدُّ الأخرى، فتثبت المحدوديّة في الله وهو باطل.

وإما أن تكون غير متباينة فيقول: كان هذا القول أيضاً مما يدعو إلى نقض قولهم بأنها كاملةٌ من كامل، لأن هذه صفة أبعاضٍ وأجزاءٍ لا صفة كامل[٢].

فلم يبق عنده إلا أنها **متّصلةٌ مفترقة، أي متباينةٌ غير متباينة!**

ثم يفسّرها محاولاً رفع التناقض فيها باختلاف الوجه، فإنّ وجه الاتصال هو الجوهر، ووجهُ الافتراق والتبايُن هو الاشخاص فيقول أنه: **اتصالٌ في الجوهر**

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٤-٧٥.

(٢) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٥.

وتباينٌ في الأشخاص، أي في الأقانيم[١].

ثم يبيّن ذلك فيقول: وصفنا أنه متّفقٌ في الجوهر مفارقٌ في الأقانيم، **وجوهره هو أقانيمه، وأقانيمه هم جوهره، بمنزلة أضواءٍ ثلاثةٍ في بيتٍ واحد، فلا يظنّنّ منّا أحدٌ أنّا عنينا سُرُجاً ثلاثة، بل عنينا أضواءها** وإن كان الله تبارك عن كل قياس متعالياً. فالأضواء ثلاثةٌ وواحدٌ هو بعينها. أما **ثلاثةٌ فلأن كل واحدٍ منها قائمٌ بعينه، ثابتٌ بذاته.. وأما واحدٌ فلاتفاقها جميعاً في الضوء**[٢].

ويلاحظ على كلامه:

أولاً: أن مشكلة التكريتي وسائر علماء النصارى هي **قياسهم الله تعالى على أنفسهم، فجعلوا هذه الصفات (من الله)**، أي صفاتٍ عارضةٍ على الله تعالى، وقد تقدّم منّا أن الله تعالى **لا يوصف بمثل هذه الصفات، بل تكونُ صفاتُه عينُ ذاته، وهذا ما يهدم بنيانه من أساسه.**

ثانياً: أن قوله أوقعه في الشرك بالله، لأنّ يؤول إلى تعدُّد الآلهة، فقوله أنّ هذه الصفات (من الله) أوصله للقول بأنها **غير مباينةٍ لله في الجوهر، ومباينةٍ له في الأقانيم**، وما مثّل له من أضواءٍ ثلاثة **يُثبتُ تعدُّد الآلهةِ صريحاً** كما تتعدّد الأضواء، **وهو الشرك بالله تعالى.**

وحقيقةُ الأقانيم عندهم ليست إلا الأشخاص، أي المصاديق الخارجية، فهو يمثل لها بآدم وحواء وهابيل، فيقول عن الأخيرين أنهما: **مضافان إلى آدم**

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٧.

(٢) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٧.

إضافةً جوهريةً وهما في الإنسانيّة واحد، ثلاثةٌ في الأقانيم، فجوهرُ اللاهوت ثلاثة أقانيم.. لأنّ مخالفة الجوهر الأقنوم الواحد كمخالفة شيء عام لبعض خواصه، لأنّه خالفه بكثرة ضمّه لا بالجوهر. فالإنسان العام أي الناس أجمعون لم يخالف موسى وهارون أي الأشخاص، إلا بضم الكثرة، وأما في الجوهر فواحدٌ لأنّ لموسى وحده، ولهارون وحده جميع ما للناس أجمعين، غير ضمّ الكثرة[١].

ولمّا لم يكن الجوهرُ مختلفاً والأقانيم متباينة، لم تكن صفة الآب صفة الابن، كما لم تكن صفة آدم صفة هابيل، وإن اشتركا في الانسانية.

رغم ذلك لا يرضون بأن يوصف هؤلاء الثلاثة بالآلهة الثلاثة كما يوصف آدم وهابيل وحواء أناساً ثلاثة، لأنه **لا اختلاف بين الأقانيم الثلاثة في القوّة وفي المشيئة وفي الأفعال، أما في الناس فوجه القول بالتعدد عنده هو اختلافهم في أمورٍ كثيرة!**

يقول: لو أن حال آدم وزوجته وابنه كانت متّفقة في جميع أمورها، لم يختلفوا في وجه من الوجوه، **جاز القول فيهم إنهم إنسان واحد**. لكن **علّة تسميتهم أناساً ثلاثة الذي لحقهم من الاختلاف كما ذكرنا**[٢].

وعليه فهو يقول أنّ **التعدُّد حاصلٌ حقيقةً في الآلهة كما هو حاصل في الناس**، لكن يصح وصف الناس بأنهم أشخاص ثلاثةٌ وأكثر لاختلافهم في أكثر الصفات وان اشتركوا في الإنسانية!

---

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٧٩.

(٢) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٨٣.

أما الأقانيم الثلاثة **فلا يصح وصفها بأنها آلهةٌ ثلاثة** وإن كانت متباينة في الأقنومية، وذلك **لوحدة جوهرها وعدم الاختلاف بينها في القوة والمشيئة والأفعال!**

وهذا **يعني أن حقيقة الأمر هي تعدُّد الآلهة وهو الكفر بالله تعالى**، غاية الأمر **لم يجز وصفها بأنها آلهة ثلاثة!**

وهذا قولٌ **عجيبٌ غريب، مخالفٌ للوجدان تماماً** كما للتوحيد، فإن ما يُسَوِّغُ الوصفَ بالتعدُّد هو التعدُّد حقيقة لا الاختلاف في القوة والمشيئة والأفعال، ونحن نرى أن **ما لا يتصف بالقوّة والمشيئة والأفعال أبداً يوصف بالتعدد عند تكثُّره خارجاً**، حيث توصف الأحجار المتساوية النوع والحجم والخصائص بالتعدّد، كما أنّ الصناديق والأدوات والآلات التي تصنعها المصانع من غير أدنى اختلاف بينها **تتمتّع بوحدة جوهرٍ وتوصَفُ بالتعدُّد حقيقةً وبالكثرة وجداناً**، ولو كان عدم الاختلاف في القوة والمشيئة والأفعال مانعاً من الوصف بالتعدُّد لما ساغ وصفها بالكثرة.

لا يقال: إنّ القوّة والمشيئة والأفعال فيمن من شأنه توفُّرها فيه، وهذه جمادات لا يمكن اتّصافها بهذه الصفات.

لأنّا نقول: القاعدةُ نفسها تنطبق على ما يمكن اتصافه بتلك الصفات، فالأشخاص المتشابهون الذين يوصفون بالتعدُّد، لا يُسلَبُ عنهم هذا الوصف حتى لو أصيبوا بعجزٍ كاملٍ وغيبوبة، وفقدوا القوة والمشيئة والأفعال التي هي الملاك عنده في اثبات التعدد وعدمه.

وملائكة الرحمان الذين يتساوون في القوّة والأفعال لا يختلف أحدٌ من

المؤمنين بكونهم متعدِّدين، فليس الملائكة المتساوون ملاكاً واحداً وان اتّحدت قوّتهم وأفعالهم ومشيئتهم بحيث لا يشاؤون إلا أن يشاء الله.

وكيفما كان، فالتكريتيُّ هنا أراد أن يثبت التثليث **فأثبت الشرك بالله تعالى**، وعَجِزَ عن محاكمة المسلمين فيما ذهبوا إليه.

بل اتّهمهم وسائر الأديان كلّها أنها تصف الله بوحدانية العدد، حين قال: **كل من كان موحِّداً ما خلا النصارى لم يَعدُ أن يصفه واحداً فرداً معدوداً**[١].

وهذه فِريةٌ منه علينا، فقد تقدّم أن وصف الله تعالى بوحدانية العدد من الممتنعات.

نموذج٢ : الاسقف بولس البوشي، القرن١٣م

نَهَجَ الاسقف البوشي منهج التكريتي في محاولة إثبات الثالوث بالدليل العقلي، ففيما عدّ التكريتي (الحياة والعلم) من صفات الذات، عدّ البوشي (الحياة والكلام) من صفات الذات، وجعل العلم هو النطق[٢]، وأرجع سائر الصفات كلها إلى هاتين الصفتين.

فنفى أولاً أن تكون هاتان الصفتان صفتا فعلٍ بقوله: فإن قلتم، فما وصفتم به الله من أنّه حيٌّ متكلّم: (إنّما اشتُقّت له اشتقاقاً من أجل فعله، لمّا أحدث البريّة بالفعل)، يقال: هل يجوز أن يقال: (إن الله قد كان لا حياة له ولا علم، حتى صار

(١) أبو رائطة التكريتي ورسالته في الثالوث المقدس ص٨٨.

(٢) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٤٩.

إذاً الحياةُ والكلمة لديه موجودين)؟[١].. وهذا مُحالٌ من الكلام أن يقال: (إن الله كان طرفةَ عينٍ خلواً من حياةٍ وكلمة) لأنّه متكلم حيّ، لم يزل[٢].

والتزم كما التكريتيّ بأن هذه الصفات: **متباينةٌ متّصلةٌ جميعاً معاً!**[٣].

وللتخلُّص من إشكال التناقض، يذهب إلى **أنها متّصلة في الجوهر، متباينةٌ في الأقانيم**، ويسَلِّمُ أن القول متناقضٌ لو كان الاتصال والتباين من نفس الجهة[٤]، ويقول في ذلك: إنما وصفناه باتصالٍ في الجوهر، وتبايُنٍ في الأقانيم[٥]، وقال: إنما وصفنا أنّه متّفقٌ متّصلٌ في الجوهر، مميّزٌ مباينٌ في الأقانيم. وجوهرُه هو أقانيمُه، وأقانيمه هي جوهره، من حيث اللاهوت. **بمنزلة لهيبِ نارٍ منتصب، وحرارةٍ متولّدةٍ منه، ونورٌ خارج منه، فالصفات ثلاثةٌ، والنار واحدة. وأحدها علة الاثنين، أعني لهيب النار المنتصب هو علّة الحرارة والنور، من حيثُ لا يتقدّم أحدها الاثنين**[٦].

ليخلص كما خلص التكريتي إلى أن هاتان الصفتان (كاملتان من كامل) فيقول: وهؤلاء الصفات الذاتيات (أعني الكلمة والروح) **معه في القِدَم والأزليّة، وليس هما بعضاً، بل كاملان من كامل**، لأنّ التبعيض والتجزئ لا يلائم المحتوي

(١) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٤٤.
(٢) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٤٥.
(٣) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٥٤.
(٤) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٥٥.
(٥) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٥٦.
(٦) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٥٧.

على الكل[١].

ويلاحظ على كلماته:

أولاً: عين ما ورد على التكريتي، حيث جعلا هذه الصفات (من الله) والتزما بأنها (كاملةٌ من كامل) فلزم وصف الله تعالى بصفاتٍ غير الذات، وإن اشتركت معها في الجوهر بحسب ما يقولون، إلا أنها صفاتٌ مباينةٌ في الأقنوم، وقد مثّل له صريحاً بما يلزم منه التعدد في الذات الإلهية، كالنار والحرارة والنور، فإنّ أحدها هو العلّة للبقية، كما أن الآب عندهم هو العلّة للابن والروح القدس، وعليه فَكَونُ الآب علّةً يعني **احتياج الابن والروح له،** وبهذا لا يكون كمالهما ككماله، بل **يكون الابن والروح القدس فقيرين محتاجين.**

وبما أنهم **لم يلتزموا بافتقارهما واحتياجهما** لأنّ هذا لا ينسجم مع القول بوحدة الجوهر، وذهبوا إلى **أزليّة الثلاثة** واتّصافهم بنفس صفات الله، فإنهم **وقعوا في محذورين:**

أولهما التناقض، حيث أن الأول علّة للأخيرين دون أن يكونا مفتقرين، والحال أن المعلولَ مُفتَقِرٌ إلى علّته.

وثانيهما هو الشرك، لالتزامهم بأزليّة ثلاثة أقانيم أي صفات أو أشخاص.

ثانياً: أن هذا الكلام وإن قال به جمعٌ من علماء النصارى، إلا أنّه **مُتَوَقِّفٌ على تفسير الأقنوم بالصفة،** والحالُ أن جمهرةً من علماء النصارى قد فسروه كما تقدم في الفصل السابق بالشخص وبعضهم بالتعيُّن، وبعضهم قال بأنه الصفات،

(١) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٧٣.

وهذا الاستدلال (على فرض تماميته) لا ينسجم إلا مع المبنى الثالث، أما على مبنى جمهور علماء النصارى فهو غيرُ تامٍّ لأن الاقنوم عندهم هو الشخص وليس الصفة، وعليه فلا محلّ لهذا الاستدلال عند أكثر النصارى أنفسهم.

ثالثاً: أن العلم والكلام لهما معنيان مختلفان، وجَعلُهُمَا بمعنىً واحدٍ خطأٌ كبير، فإنّ **العلم صفةٌ من صفات الذات، والكلامُ من صفات الفعل**، فكيف يكون الاثنان صفةً واحدة؟

رابعاً: أنّه **يلزم من هذا القول التكثُّر بما يفوق الثلاثة**، لأن صفات الذات ليست محصورةً بالحياة والعلم، فالقدرةُ من صفات الذات، وقد يضاف إليها الغنى، فالله غنيٌّ، والسرمديّة أو الأبديّة، فالله باقٍ، وغيرها من الصفات، وإن أرجِعَت إلى كونه واجبَ الوجود، كان وجوب الوجود هو صفة الذات، وعلى هذا تتكثّر صفات الذات على كل تقديرٍ بما يزيد عن ثلاثة، وهو خلاف ما يذهب إليه النصارى من القول بالأقانيم الثلاثة.

وبهذا يتّضح بطلان ما ذهب إليه البوشي بقوله:

فإن قالوا: كما أثبتّم أن الله متكلمٌ حي، وأوجبتم للصفات أقانيم، وإذ هو سميعٌ عليمٌ بصير، ثم قويٌّ خالقٌ وما أشبه ذلك، فأوجبوا لكل صفةٍ أقنوماً. يقال لهم: إنما الكلمة والحياة صفاتٌ ذاتية، وهؤلاء فِعالٌ صادرة عنها[1].

لأن كون الله تعالى **قادراً ليس فعلاً يرجع إلى الحياة أو العلم**، وكذلك كونه واجب الوجود، وكونه غنياً باقياً وهكذا.

---

(١) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٧٢.

هذا وللبوشيّ استدلالٌ عقليٌّ على ألوهية عيسى عليه السلام، سوى استدلاله بالعقل على الثالوث، يتّضح بقوله: **ثم والعقل يشهد بأن الخالق صنع ما يلائمه.. كذلك الإله عُرِفَ من خليقته.. مشى على البحر كأنّه على اليَبس، ليُعلَم أنّه (ثبّت الأرضَ على المياه)**. صنع طيناً وطلى بها عيني الأعمى المولود فأبصر، ليُعلَمَ أنّه (جَبَلَ الإنسان من تراب). **أقام العازر بعدما نتن وصحّح** الجسد.. ليُعلَم أنه مُسَلّطٌ على النفوس والأجسام، والباعث لها في اليوم الأخير[1].

وهذا الاستدلالُ العقليُّ غير تام، **فهو يتوقف على أمور:**

أوّلها: أن يكون المشيُ على الماء دالاً على أن الماشي عليه هو إلهٌ، والحالُ أنّ الدليل على خلاف ذلك تماماً، فإنّ **الإله منزّهٌ عن المكان كما يقرّ النصارى**، فمَن مشى على الماء **دلّ ذلك على تجسُّدِهِ وتحيُّزه في مكانٍ فكان دليلاً تاماً على عدم كونه إلهاً.**

ويلزم من قوله بأنّ من طار في الهواء صار إلهاً، فيشترك في الألوهيّة كلُّ طيور السماء كما اشترك عيسى عليه السلام فيها! فضلاً عن ملائكة الرحمان وما يتمتّعون به من خصالٍ خارقة.

ثانيها: أنّه يتوقف على أن يكون ما فعله عيسى من شفاء الأعمى والمريض منه نفسه، أي بقدرةٍ ذاتيةٍ، والحال أنّه يقرُّ بأنّ كلَّ ما عنده هو عطاءٌ من الله، ومن ذلك قوله مخاطباً الله تعالى: **وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ**[2].

---

(١) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص٢٥٤.

(٢) يوحنا١٧: ٧.

ثالثها: **أنّه يتوقف على أن يكون الإله وحده قادراً على ذلك، وأن لا يكون بالإمكان أن يُقدِرَ الإله أحداً من عباده على فعل ذلك**، وإلا كان الدليلُ أخصّ من المدعى، والحالُ أنه أقدَرَ الكثير من العباد على الشفاء (بحسب الإنجيل) ولم يقتصر ذلك على عيسى عليه السلام بل شمل جملة من أصحابه[1].

نموذج٣: القس منسّى يوحنا

يذهب القسّ منسَّى يوحنا إلى أن توحيد المسلمين يعني **تعطيل صفات الله**، وللخروج من هذا الإشكال **لا بدّ من القول بالثالوث** كي تكون صفات الله أزليّة فاعلة، فيكون الله الآبُ فاعلاً لصفاته مع الأقنومين الآخرين لئلا تتعطل هذه الصفات، فيقول:

قد يُسأل: **ما الفائدة من تعليم التَّثليث**، ولماذا لا يُكتفى بالقول بوحدانية الإله؟ فنُجيب: إنَّ تعليم التَّثليث ضروري الاعتقاد به كالاعتقاد بوحدانية الله لأسباب كثيرة، منها: الإجابة على الاعتراضات الكثيرة التي يُعترض بها على الوحدانية المحضة مثل: **كيف يكون الله هو الودود أو المحب، وبما أنَّه غير مُتغيِّر، فهو ودودٌ مُنذ الأزل، ويلزم من ذلك أن يكون مَودُود أو محبوب مُنذ الأزل قبل خلق العالم. فمن عساه يكون ذلك المحبوب الموجود مُنذ الأزل عند الله**؟ قال أحد الأفاضل: «ففي عقيدة التَّثليث الجواب الصَّريح والوحيد لهذا السؤال: **فنقول إنَّ أقنوم الآب الوَدُود وأقنوم الابن المَودُود**. وما أحسن ما قال يسوع في هذا المعنى

---

(١) يراجع كتابنا: الثالوث والكتب السماوية فصل٤: باب ألوهية عيسى في الإنجيل، عنوان (شفاء المرضى وإحياء الموتى).

مخاطباً لأبيه: «أحببتني قبل إنشاء العالم». وعليه، **لا يُمكن الاعتقاد بوجود صفة المحبة في الله مُنذ الأزل، ما لم نعتقد بتعدُّد الأقانيم مع وحدة الجوهر، وإلا كان مُتغَيِّراً، ابتدأ أن يُحبّ من الوقت الذي خلق له فيه، محبوباً من الملائكة والبشر، وهذا باطلٌ لأنَّه قال: «أنا الرب لا أتغيّر»**.

إنَّ معنى تعليم التَّثليث «أنَّ الله كاملٌ في نفسه ومُتضمِّنٌ في كيانه كلّ ما هو ضروريٌّ لكماله». أمَّا عقيدة الوحدانية المحضة فمعناها «أنَّ الله إلهٌ مُنعزلٌ عمَّن سواه وكائنٌ بمفرده منذ الأزل»، وإلا فنضطر إلى القول أنّ الكون أزليٌّ وكان مُشاركاً له. لأنَّه إذا كان الله ذا صفات، **فينبغي أن تكون صفاته قائمةً لا مُعطَّلة**. فإذا قُلنا بالوحدة المحضة، فما المعنى أنَّ الله **مُحبٌّ وحكيمٌ وقوي، ومن يُحبّ، ومع من يكون حكيماً، وإلى من يظهر قوته؟** إنَّ **الصِّفات الأدبيّة بأسمى معناها، لا تُوجد إلا بين شخصين عاقلين، فلذا وجب أن يكون في الله أقانيم (لا آلهة)**[1].

ويلاحظ على استدلاله:

أولاً: أن الاعتراضات على ما أسماه (التوحيد المحض) مدفوعةٌ بما تقدّم من التمييز بين صفات الفعل وصفات الذات، فَكَونُ الله قادراً وعالماً وما الى ذلك من صفات الذات لا يحتاج إلى طرفٍ آخر، وكَونُ الله خالقاً ورازقاً من صفات الفعل، وفِعلُ الله حادثٌ خاضعٌ لمشيئته وإرادته، فهو إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، دون أن يلزم من فعله التغيُّر في الذات الإلهية.

ثانياً: أنّه يُنقَضُ عليه بصفات الخلق والرزق، فإنّه على مبناه لا بدَّ من أن

---

(١) شمس البِر ص١١٢ و١١٣.

يكون الله تعالى قد خلق خلقاً ورزقهم منذ الأزل، ورضي عنهم منذ الأزل، وخلق خلقاً وغضب عليهم وعاقبهم منذ الأزل أيضاً، لئلا تكون صفة الخلق والرزق والرضا والغضب غير أزليّة، أو أزليّة غير مفعلة. لأنه على القول بأنها غير أزلية ولا فاعلة (دون إرجاعها لصفات الفعل) يلزم التغيُّر في الله تعالى عند اتصافه بها أو عند تفعيلها بخلق الخلق.

وهذا ما لا مهرب لهم منه إلا بالعودة لما ذكرناه من التمييز بين صفات الذات والفعل، لأنهم لا يقولون بأن الخليقة أزليّة.

ثالثاً: انّ قولنا: الله قويٌّ، يرجع إلى كون الله قادراً، وهي من صفات الذات، وصفة الذات لا تستدعي وجود من (يُظهِرُ الله صِفَتَهُ له).

وقولنا أنّه حكيمٌ: يعني أن فعله في غاية الحكمة والإتقان والكمال. فهي من صفات الفعل لا الذات، فلا يلزم وجودُ من يكون اللهُ حكيماً معه، بل يلزم منها أن يكون حكيماً على فرض وجود مخلوقٍ آخر يكون حكيماً معه.

رابعاً: ان قولنا: الله محبٌ ودودٌ، من صفات الفعل أيضاً كما تقدّم. وبهذا يتم الجواب على إشكاله.

يقول القس إيدن ويلسون توزر: كتب يوحنا الرسول بالوحي فقال "الله مَحَبَّةٌ". ولقد **أخذ بعضهم هذه العبارة على انها تعريفٌ لطبيعة الله الجوهرية، وهذا خطأٌ جسيم**، فقد كان يوحنا بقوله هذا يقرر حقيقةً ولا يعطي تعريفاً. **فإذا ما ساوينا المحبة بالله وقعنا في خطأٍ فاحشٍ أنتج فلسفاتٍ دينيةٍ غير صحيحة** وتمحّض عن فيضانٍ من الشعر الخياليّ الذي لا يتفق مع واقع الكتاب المقدس، بل هو ينتمي إلى جوٍّ غريبٍ تماماً عن جوّ المسيحية التاريخية. فلو أن الرسول أعلن أن

المحبّة هي كيان الله لاضطررنا إلى الاستنتاج أن كيان الله هو كيان المحبة – فلو أن الله هو المحبّة حرفياً لكانت المحبة هي الله حرفياً كذلك، ولكان واجبنا المفروض علينا هو أن نعبد المحبة باعتباره الإله الوحيد. ولو أن المحبة مساويةٌ لله لكان الله مساوياً للمحبة وحسب، ولكان الله والمحبة متشابهين تماماً[1].

خامساً: أنه على قولهم: أن الآب هو المُحِبُّ والابن هو المحبوب، صار هناك فاعلٌ ومفعولٌ به، **فكيف يكون من صدر منه الفعل ومن وقع عليه الفعل واحداً؟** هما اثنان فعلاً، وبهذا يبطل التوحيدُ حقيقةً، بثبوت اثنين أحدهما القادر والآخر المحتاج.

سادساً: أن الإشكال بكون عقيدة الوحدانية تعني أن الله **كان لوحده منذ الأزل**، ليس إشكالاً في الحقيقة، بل **هو عينُ حقيقة التوحيد**، حيث كان الله ولم يكن معه سواه، وإلاّ صار ما سواه شريكاً له في وجوب الوجود وفي القِدَم.

وهي التي عبّر عنها القس منسّى بأنها **الوحدانيّة المحضة**، وعبّر عنها عوض سمعان بأنها **الوحدانية المجرّدة**، وزعم أن القول بها يعني أن الله تعالى ليس ذاتاً ولا موجوداً حقيقة فقال: **الوحدانية المجرّدة: هي الوحدانيّة التي لا تتصف بصفة**، وإسنادها إلى الله معناه (كما يُستنتج من آراء القائلين بها) **أن الله لا يتّصف بصفةٍ، أو بالحريّ ليس ذاتاً، أو موجوداً له كيانٌ حقيقي**، لأنّ لكلِّ موجودٍ حقيقيٍّ صفةٌ، على أي نحوٍ من الأنحاء.

أما **الوحدانية المطلقة**: فهي الوحدانية التي لا حدّ لها، وإسنادها إلى الهٍ معناه

---

(١) معرفة القدوس ص٨٤.

(كما يستنتج من آراء القائلين بها) أنّه **ذاتٌ يتصف بالصفات.. لكن هذه الصفات لم يكن لها مجال للظهور أو العمل إلا عند قيامه بالخلق**[1].

وهو واضحٌ في عدم فهمهما لعقيدة التوحيد عند المسلمين، فإنّنا كما تقدم لا نقول بأن الله (لا يتصف بصفةٍ) بل نقول أنّه **لا يتصف بصفةٍ عارضةٍ عليه، لئلا يلزم التعدُّد في الذات الإلهية،** لأن الصفة إن كانت غيره وكانت قديمة معه تعدَّدَ القديم.

ولا نقول أنه (ليس موجوداً له كيانٌ حقيقي)، بل نقول إنه **موجودٌ لكنّه ليس كسائر الموجودات،** فهو (شيءٌ لا كالأشياء)، وكل الأشياء مخلوقاته، وهو المنزّه عن الاتصاف بصفاتها، وإلا **كيف نعبد من ليس موجوداً حقيقة؟!** فالله تعالى موجودٌ، **وله صفاتٌ لكن لا على نحو صفة العارض على المعروض، بل على نحو صفة الذات** كما تقدّم، وهذا يُخَلِّصُ النصارى لو التزموا به من كل إشكالٍ في الذات الإلهية **ويُثبِتُ الوحدانية بأبهى صورها.**

نموذج٤ : عوض سمعان

يُقرّ عوض سمعان أن صفات الله أزليّة، وأنّ الله لا تركيب فيه، وبما أن هذه الصفات أزليّة **فلا بدّ أنها كانت فاعلةً لا معطّلة** بحسب ما يقول، ولا بدّ أنّه كان **يمارسها مع ذاته!** وهذا ما يدلُّ على أنّ فيه أقانيم تحصل هذه الممارسة بينها، وهذه الممارسة بحسبه هي المحبّة! فيقول: بما أن **صفات الله لم تكن عاطلةً أزلاً ثم صارت عاملةً عندما خلق، بل كانت عاملةً أزلاً قبل وجود أيّ كائن من الكائنات..** وبما

(١) الله في المسيحية ص١٢٧.

أنه لا يُعقل أنّه كان يمارس صفاته في الأزل مع غيره، لأنه لا شريك له، ولا يُعقل أنه كان يمارسها مع جزء من ذاته لأنه لا تركيب فيه، إذاً لا شك أنه **كان يمارسها بينه وبين ذاته نفسها**[١].

ثم يقول: **صفة المحبّة تدل على وجود روابط طيّبة بين اثنين على الأقل، أحدهما محبٌّ والآخر محبوب**، ولذلك **فاتصاف الله بالمحبة أزلاً** يدلّ على وجود علاقاتٍ خاصّة بينه وبين ذاته.. وطبعاً لا مجال لوجود علاقاتٍ لله بينه وبين ذاته إلا إذا كان **متميّزاً بمميّزاتٍ خاصة** يمكن أن تنشأ بسببها هذه العلاقات. لو فرضنا أن الله لم تكن له علاقةٌ بينه وبين ذاته أزلاً، **وقلنا إنّ له علاقةً بالعالم لأنّه خالقه والمعتني به، لكانت النتيجة الحتمية لذلك أنه دَخَلَ في علاقةٍ لم يكن لها أساسٌ في ذاته أزلاً**، فيكون قد تطوّر وتغيرّ![٢].

ويقول: بما أن **الصفات كالسمع والبصر، والكلام والعلم، والإرادة والمحبة، لا يمكن أن تُمارَسَ إلا بين كائنين عاقلين على الأقل**، أو بين كائنٍ عاقلٍ وذاته إن كان مركباً. وبما أن الله مع تفرُّده بالأزلية وعدم وجود تركيبٍ فيه، كان يمارس هذه الصفات أزلاً بينه وبين ذاته، فمن المؤكد أن تكون ذاته عينها مع وحدانية جوهرها، هي بنفسها جامعة.. بتعبيرٍ **آخر تكون ذاته ليس تعيّناً واحداً، بل تعيّنات**. وهذه التعينات هي ما عبرنا عنها.. (بالمميّزات) التي تتميز بها وحدانيّة الله.. من البديهيّ أن يكون كلُّ تعيّنٍ من هذه التعيّنات ليس جزءاً من

---

(١) الله في المسيحية ص٥٣.

(٢) الله في المسيحية ص٥٤.

ذات الله، بل أن يكون هو ذات الله.. لأن تعيُّن الله هو عين جوهره، ولذلك يكون كلُّ تعينٍ من هذه التعيُّنات هو الله الأزليّ الأبديّ[1].

ويُلاحظ على كلماته فضلاً عما لوحظ على كلمات المتقدمين عنه:

أولاً: أن الله تعالى خالقٌ، والمخلوقات ليست أزليةً، حيث كان الله ولم يكن هناك شيء من المخلوقات كما يتفق على ذلك المسلمون والنصارى، والله تعالى بخلقه الخلق لم يدخل في (علاقة لم يكن لها أساسٌ في ذاته)، لأن الخلق صفةٌ من صفات الفعل، وفعلُ الله تعالى لا يعني تغيُّراً في ذاته.

ولا خلاف في أن الله تعالى لم يتغيّر بخلقه الخلق.

والحبُّ كالخلق هنا، من صفات الفعل لا من صفات الذات، فمخلوقاتُ الله تعالى إما أن تكون محبوبةً له أو مبغوضة، دون أن يلزم من ذلك تَغَيُّرٌ في صفات الله، وقد أشرنا إلى معاني الحب في ما تقدم.

ثانياً: أنّ ما اعتَقَدَه (**روابط طيّبة بين اثنين على الأقل**) يُثبت التعدُّد في صفات الله الأزلية، فيثبت **إما التركيب في الإله الواحد أو تعدُّد الآلهة، ولا يقولون بها، فوقعوا في التناقض**. وإن كان القول بالتعدُّد في الصفات ملازماً لتعدد الآلهة ولا يمكن أن ينفك عنه.

ثالثاً: أن سبب هذه الشبهة، وسبب القول بأن لله روابط وعلاقاتٍ أزليةٍ هو قياس الله تعالى على مخلوقاته، والعجزُ عن التمييز بين صفات الذات وصفات الفعل، ما أوصلَ لهذه الاختراعات البشرية العَقَديّة ونسبتها للذات الإلهية.

---

(١) الله في المسيحية ص١١٣.

وما يؤكد ذلك هو ما يقوله سمعان نفسه من أن صفات الله تعالى لا تُطلَقُ عليه باعتبارٍ يختلف عن الصفات التي تطلَقُ علينا، بل إنّ المراد من هذه الصفات هو نفس المعاني التي نفهمها. وبالتالي عَدَّ من صفات الله المُحِبُّ والوَدود كما نفهم نحن المحبة والمودة! فصار ثبوتها عند الله تعالى يعني التغيُّر، لأنّ ثبوتها عند الإنسان يعني التغيّر.

والحال أن المحبّة والمودّة كما تقدّم من صفات الفعل لا الذات، ولا ينحلّ الإشكال بالذهاب إلى كون هذه الصفات قد كانت فاعلة منذ الأزل بين الله وأقانيمه ولا زالت فاعلة بنفس الطريقة فلم يحصل تغيُّرٌ، لأن هذه الصفات ثابتةٌ بحق مخلوقات الله تعالى أيضاً، بمعنى أن الله تعالى يحبُّ خلقَه، فلو كان **قد لَزِمَ منها التغيُّر فقد حصل لمّا أحبّ الله مخلوقاته**، وإن كان لم يحصل بسببها التغيُّر من جهة حبّه لأقانيمه.

بعبارة أخرى: إذا كانت المحبّة بين الأقانيم ثابتة منذ الأزل وللأبد، لئلا يلزم من تغيّرها تغيّر الله تعالى، فإنها ليست ثابتة بين الله تعالى ومخلوقاته، لأنّ الله تعالى خلق الخلق وأحبّهم بعدما خلقهم، فإن كانت محبّة الله تعالى كمحبّتنا ثبت التغيُّر في الذات الإلهية بعدما أحبّ الخلق، بل حال هذه الصفة كحال صفة الخلق تماماً، بحيث خلقَ الله تعالى الخلقَ فوُجدوا بعد أن لم يكونوا، فهل يلزم من وجودهم بعد العدم تغيُّرٌ في صفات الله تعالى؟

ولا يتخلص النصارى من إشكال التغيُّر في الذات الإلهية بما ذهبوا إليه، ولا مهرب لهم إلا بما قلناه.

ويتضح وجه الشُّبهَة في كلمات عوض سمعان حينما يقول: إن أطلقنا

الصفات على الله باعتبارٍ يختلف عن ذاك الذي نطلقها به على غيره، وبمعنىً يختلف عن ذات المعنى الذي يُفهم منها، **لأَصبَحَ الله غير مُدرَك لدينا. وبما أن غرضه من الإعلان عن ذاته هو أن ندركه على حقيقته**، إذاً لا شك في أنّه قصد بالصفات (التي أعلن أنه متّصف بها) **نفس المعاني التي نفهمها منها، لكن طبعاً بدرجة تتناسب معه**[1].

وهذا يتعارض مع ما قاله سمعان من أن كُنهَ ماهيّة الله لا يمكن إدراك شيء عنها: أما **كُنهُ ماهيّة الله، فلا قدرة لنا على فحصه أو إدراك شيءٍ عنه، بل ولا يصح لنا أن نتطاول لفحصه أو إدراكه.. فقدرتنا محدودةٌ والله منزّهٌ عن الحدود**، وأنّى للمحدود أن يدرك كلّ شيء عن المنزّه عن الحدود؟!([2]).

رابعاً: السبب الآخر في وقوعهم في هذه الشبهة هو عدم استيعاب كون الصفات الذاتية هي صفاتُ ذاتٍ دون تعدُّدٍ في الذات الإلهية المقدسة، فإنّ سمعان لم يتمكن من إدراك حقيقة كون صفات الله هي عين ذاته، فجعلها (غير ذاته) ولكنها (فاعلةٌ أو عاملةٌ بينه وبين ذاته)، فأثبت بهذا تعدُّد القدماء وإن كان أحدهم علة للآخر! وهو الشرك بالله تعالى، فقال: **هل صفات الله هي ذاته، أم غير ذاته؟** ..

١ . **إن قلنا إنها ذاته، جعلنا الصفة موصوفاً والموصوف صفة**، أو المعنى ذاتاً والذات معنى، **وهذا باطل**.

٢ . وإن قلنا إنها **غير ذاته، افترضنا وجود أشياء منفصلة عن ذاته** أو ملتصقة

---

(١) الله في المسيحية ص٦٤.

(٢) الله في المسيحية ص٩٩.

به، وكل ذلك باطل.

٣. وواضح أن **صفات الله هي غير ذاته، لكن لا يمكن أن تكون منفصلة عن ذاته أو ملتصقةً بها، بل أن تكون عاملةً بينه وبين ذاته**. وعملها بينه وبين ذاته لا يتأتى إلا إذا كانت وحدانيته جامعة مانعة[1].

وهو لمّا لم يدرك حقيقة القول الأول من كون الصفات هي عين الذات نفى ذلك، لأنّه تصور أن كون القدرة والحياة والعلم من صفات الذات يعني أن تكون القدرةُ موصوفةً بالعلم، والعلمُ موصوفاً بالقدرة، فيصير الموصوف صفةً والصفةُ موصوفاً، ولكننا لا نقول بذلك، بل نقول هو قادرٌ من حيث هو عالمٌ من حيث هو حيٌّ كما تقدّم، فليراجع مفصّلاً.

ولمّا جَهِلَ حقيقة القول الأول، وكان الثاني باطلاً، اخترع قولاً ثالثاً **يُثبتُ فيه التعدّد في ذات الله وصفاته**، وحاول كسائر النصارى **التغطية عليها بالقول بوحدانية الجوهر وتعدّد الأقانيم**، وهو التعدُّدُ المفضي للشرك بلا شك.

وكلام سمعان يذكرنا بمتكلّم خراسان عندما ناظر الإمامَ الرضا عليه السلام في الإرادة الإلهية، وهي من صفات الفعل، ولما كان هذا المتكلمُ قائلاً بأنّها من صفات الذات، مع ما يلزم ذلك من محاذير باطلة، حاججه فيها الإمام فتحيّر جواباً، وقال بعد ذلك: **فَإِنَّمَا قَوْلِي إِنَّ الإِرَادَةَ لَيْسَتْ هُوَ وَلَا غَيْرَهُ!**

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: **يَا جَاهِلُ، إِذَا قُلْتَ لَيْسَتْ هُوَ فَقَدْ جَعَلْتَهَا غَيْرَهُ، وَإِذَا قُلْتَ**

---

(١) الله في المسيحية ص٦٤.

لَيْسَتْ هِيَ غَيْرَهُ فَقَدْ جَعَلْتَهَا هُو[١].

فسمعان هنا جمع بين المتناقضين كالخراساني هذا، فإما أن تكون الصفات هو وإما أن تكون ليست هو، أما الجمع بينهما كما فعل فغير ممكن.

خامساً: يلزم من قوله لوازم أخرى فاسدة، منها أنّه على فرض التنزُّل والتسليم بوجود الآب والابن والروح القدس منذ الأزل، وكون هذه الصفات عاملةً من الأزل بينه تعالى وبين ذاته، أي بين الأقانيم الثلاثة، الذين هم ذاته، **فمع وجود صفة المحبّة صار الأزليُّ أكثر من ثلاثة: الآب والابن والروح القدس، والمحبّة الصادرة من الآب، والمحبّة الواقعة على الابن، والمحبّة الواقعة على الروح القدس، فهذه ستة، فضلاً عن صفة المحبّة نفسها، فيصير الأزليّ سبعة.**

وهكذا سائر الصفات إلى أن نصل إلى عدد كبيرٍ مما كان أزلياً.. وهم وإن كانوا لا يلتزمون به إلا أنه **لا ينفك عن حقيقة كون هذه الصفات غير ذاته**، وعاملة بينه وبين ذاته.

لا يقال: ان الصفات معنى وليست ذاتا[٢]، فلا يتعدد القديم بذلك.

لأنّنا نقول: كون الصفات معنىً أمرٌ مختلفٌ فيه بين النصارى، كما تقدّم في تحديد معنى الأقنوم، وحتى عند القائل بأنها معنى، فإنّها تكشف عن فعلٍ، حيث وقع الحبُّ من المُحِبِّ على المحبوب، ولا شكّ بأنّهم لا يريدون من وجود العلاقة بين الأقانيم الثلاثة منذ الأزل إثبات شيءٍ خياليّ، بل **شيءٌ له واقعية وحقيقة،**

(١) التوحيد (للصدوق)، ص: ٤٥٣.

(٢) كما يقول سمعان نفسه: **إذ أن الصفات هي مجرد معانٍ** (الله في المسيحية ص١٤٤).

وهذه **الحقيقة هي الحبُّ الصادرُ من أحد الأقانيم،** والواقع على سائر الأقانيم، وبهذا **يثبت التكثُّر كما قلنا** ولا يقف عند حد الثلاثة.

سادساً: يتّضح بما تقدّم بطلان ما نسبه سمعان إلى المسلمين بقوله: **مما** تقدم يتبين لنا أن **الاعتقاد بأن** وحدانية الله **مجرّدة أو مطلقة يؤدي لاعتبار العالم أزلياً مع الله، أو اعتبار العالم والله شيئاً واحداً، أو يؤدي لحدوث تغيُّرٍ وتطوّرٍ في الله عند قيامه بخلق العالم.** أما الاعتقاد بأن وحدانيّة الله جامعة مانعة فيدلّ على أن الله خلق العالم دون أن يتعرّض سبحانه للتغيّر أو التطور[1].

فإن الإشكال يقع عليهم لا علينا، حيث جعلنا هذه الصفات **من صفات الفعل التي لا يلزم منها طروء التغيُّر على الله تعالى، ولا قِدَم العالم.**

بينما يلزم على قولهم حدوثُ التغيُّر، لأن المحبّة إنما كانت أزلية عندهم بين الأقانيم لئلا يلزم التغيّر بأن يحبّ الله تعالى أحداً بعد أن لم يحبّه، والحال أن هذا لا يدفع الإشكال، لأن الله كان مُحِبّاً للابن والروح القدس منذ الأزل عندهم، فلزم من ذلك تعدُّد القديم، ثم أحبّ المخلوقات بعد أن خلقها، فلزم التغيُّر فيه تعالى، وهم لا يقولون بالتغيُّر، لكنّه لازم كلامهم دون كلامنا.

وأخيراً: أنّ في كلمات سمعان نفسه ما ينافي إمكان الاستدلال على الثالوث بالدليل العقلي المتقدّم، وهو الاعتراف بأن **حقيقة التعيُّنات الإلهية أي الثالوث مما لا يمكن للعقل أن يتصوره.**

يقول: إننا لا نقول إن كلاً من هذه التعينات يكون إلهاً، بل نقول إن **كلاً**

(١) الله في المسيحية ص٧٩.

منها يكون هو الله، أو اللاهوت معيّناً. لا شك أن **هذه الحقيقة أسمى من أن تستطيع عقولنا تصوُّرها،** ولكنها تتوافق معها كل التوافق.. نعم **إن العقل لا يستطيع أن يتصور هذه الحقيقة**[1].

كيف لا يستطيع العقل تصوّرها ثُمَّ يستدلّ عليها بالعقل؟

لا يقال: هكذا حال المسلمين حيث يستدلّون على وجود الله بالعقل وهم لا يدركون كنهَه.

لأننا نقول: فرقٌ واضح بين الأمرين، فإننا نستدلُّ والنصارى بالعقل على وجود الله، ونتّفق معهم على عدم إمكان اكتناهه. أما الثالوث فهو بنفسه غير قابلٍ لأن يتصورّه العقل فكيف يصير دليلاً عليه؟

يقول سمعان بعدما يذكر عقيدة المسلمين في امتناع معرفة الذات الالهية او البحث فيها: **ونحن نتفق كل الاتفاق مع هؤلاء الأئمة والعلماء على تعذُّر البحث في ذات الله، بل وأيضاً على عدم جواز البحث فيها،** ومن جانبنا لولا أن الكتاب المقدس قد نصّ على أن الله هو **(الآب والابن والروح القدس) وأنّ الأدلة العقليّة والنقليّة قد أثبتت لنا صدق هذا النص** وغيره من النصوص، **لما خطر ببالنا مطلقاً أن يكون هذا هو كنه الله، أو حقيقة ذاته**[2].

فإن كان البحث في ذات الله متعذراً، كيف تثبت الأدلة العقلية صدق هذا النص؟! وأن الثالوث هو كنهه؟

(١) الله في المسيحية ص١١٤.

(٢) الله في المسيحية ص٢٥٨.

كان الأحرى به أن يعتمد على الدليل النقليّ فقط، لأن الدليل العقليّ ساقطٌ كما تقدم، وأما الدليل النقليّ فقد بيّنا عدم دلالته على ما يتوهمه النصارى من القول بالثالوث في كتاب (الثالوث والكتب السماوية).

نموذج٥: عماد شحادة

يقول الدكتور القسّ عماد شحادة: إن عدم وجود علاقةٍ في الذات الإلهية يعني عدم نشاط صفاته. وبالتالي **هو أقرَبُ إلى العدم منه إلى الوجود**[1].

ويقول: بينما يعتقد البعض بوجوب وجود صفات الله بشكلٍ فعّال (أي ان الله كان يستخدم تلك الصفات وبمعزل عن الخليقة) يعتقد آخرون أن ذلك ليس شرطاً لازماً بحجة أنّ هذه الصفات ترتبط بالخليقة ليس إلا. وبحسب هذا المنهج فإن صفات الله هي صفاتٌ كامنةٌ وليست فاعلةً منذ الأزل، بل قد صارت فاعلة بعد الخلق[2].. **يُصِرُّ** أصحاب هذا الرأي على أن **القدرة للقيام بهذه الأعمال هي أزليّة، لكن دون أن تكون الأعمال بنفسها أزلية**.. لكن تتجلى بعض الصعوبات حيال حصر فعالية صفات الله لما بعد الخلق:

أولاً: إذا كانت صفات الله كامنةً (غير فاعلة) دون الخليقة، فهذا يعني أن تفعيل صفاته بعد الخلق قد أضفى على طبيعته تغيُّراً مُعيّناً. وهذا يتنافى مع طبيعة الله اللامتغيرة.

---

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٣٦.

(٢) الآب والإبن والروح القدس ص٩٣.

ثانياً: القول إن صفة العلم على سبيل المثال لم تتفعّل إلا بعد الخليقة يعني أن الله كان يجهل أمراً ما قبل الخليقة، وهذا مستحيلٌ ومنافٍ لطبيعة الله كليّ المعرفة والعلم[1].

والجواب على هذه الشبهات كلها قد اتضح مما تقدم، ونزيد عليه:

أولاً: بالجواب النقضي، فإنّهم رغم قولهم أنّ صفة المحبة والمودة فاعلة منذ الأزل لئلا يلزم التغيُّر عند الخلق، إلا أن التغيُّر على قولهم لا بدّ أن يحصل بعد خلق الخلق، لا من جهة كون الله غير مُحِبٍّ مطلقاً ثم تغيَّرَ فصار مُحبّاً، فإنّه مُحِبٌّ لأقانيمه عندهم منذ الأزل، بل من جهة عدم كونه مُحِبّاً لمخلوقاته قبل خلقهم، ثم صيرورته مُحبّاً لهم بعد خلقهم. فالتغيُّرُ حاصلٌ على تفسيرهم للمحبة ولو تجاه المخلوقات، ولا يندفع الإشكال بما ذهبوا إليه.

بل إن عملية الخلق نفسها بحسب تفسيرهم تستلزمُ لازماً فاسداً، وهو انتقال صفةٍ من صفات الله تعالى من حالةٍ (غير فاعلة) إلى حالةٍ (فاعلة)، فلمّا لم يكن الله تعالى خالقاً منذ الأزل، أي لم يكن قد خلق أحداً منذ الأزل، كانت صفته هذه عندهم (كامنةً) و(غير فاعلة)، ولمّا خلق الخلق تحوّلت إلى صفةٍ (فاعلة)، فيلزم منها التغيُّر، ولا يقولون به.. فما أجابوا به عن صفة الخلق أجبنا به عن (المحبة والمودة).

ثانياً: بالجواب الحليّ، أنّ كون هذه الصفات صفات فعل يعني عدم طروء تغيُّرٍ على الذات الإلهية المقدسة إن أحبّ بعض مخلوقاته، لأن حبّه ليس كحُبِّنَا

---

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٩٤.

وإلا لزم تشبيه الخالق بخلقه.

تماماً كما نتّفق والنصارى على عدم حصول تغيُّرٍ في الله تعالى عندما خلق الخلق، دون أن يكون الخلق أزلياً.

ثالثاً: أننا **لا نقرّ بما ذهب إليه بعضهم من طروء العلم على الله تعالى**، فإننا نعتقد أنّ الله تعالى عالمٌ بما كان وما يكون منذ الأزل، ونبرأ ممن لم يقل بذلك، كما دلّ عليه العقل، ورويناه عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام: **كَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَلا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَزَلْ عَالِماً بِمَا يَكُونُ، فَعِلْمُهُ بِهِ قَبْلَ كَوْنِهِ كَعِلْمِهِ بِهِ بَعْدَ كَوْنِه**[1]. وعنهم عليهم السلام: **لَمْ يَزَلِ الله عَالِماً بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَشْيَاءَ كَعِلْمِهِ بِالْأَشْيَاءِ بَعْدَ مَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ**[2].

وليست هذه الشبهة قديمة، فإنّ مِنَ الناس من كان يعتقد أن العلم من صفات الفعل التي لا يمكن أن تكون أزليّة، فأرسل بعض أصحاب الأئمة المعصومين إليهم عليهم السلام يسألهم عن هذا الاختلاف، فعن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ عليه السلام أَسْأَلُهُ أَنَّ مَوَالِيَكَ اخْتَلَفُوا فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَزَلِ الله عَالِماً قَبْلَ فِعْلِ الْأَشْيَاءِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَقُولُ لَمْ يَزَلِ الله عَالِماً **لِأَنَّ مَعْنَى يَعْلَمُ يَفْعَلُ، فَإِنْ أَثْبَتْنَا الْعِلْمَ فَقَدْ أَثْبَتْنَا فِي الْأَزَلِ مَعَهُ شَيْئاً.**

فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِيَ الله فِدَاكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَقِفُ عَلَيْهِ وَلَا أَجُوزُهُ.

فَكَتَبَ عليه السلام بِخَطِّهِ: **لَمْ يَزَلِ الله عَالِماً تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ**[3].

---

(١) الكافي ج١ ص١٠٧.

(٢) الكافي ج١ ص١٠٧.

(٣) الكافي ج١ ص١٠٨.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: وَكُلُّ عَالِمٍ فَمِنْ بَعْدِ جَهْلٍ تَعَلَّمَ، وَاللهُ لَمْ يَجْهَلْ وَلَمْ يَتَعَلَّمْ، **أَحَاطَ بِالْأَشْيَاءِ عِلْماً قَبْلَ كَوْنِهَا فَلَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهَا عِلْماً، عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُكَوِّنَهَا كَعِلْمِهِ بَعْدَ تَكْوِينِهَا**، لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى ضِدٍّ مُنَاوٍ وَلَا نِدٍّ مُكَاثِرٍ وَلَا شَرِيكٍ مُكَابِرٍ، لَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ وَعِبَادٌ دَاخِرُون ..

عَلِمَ مَا خَلَقَ، وَخَلَقَ مَا عَلِمَ، لَا بِالتَّفْكِيرِ فِي عِلْمٍ حَادِثٍ أَصَابَ مَا خَلَقَ، وَلَا شُبْهَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيمَا لَمْ يَخْلُقْ، لَكِنْ قَضَاءٌ مُبْرَمٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُتْقَنٌ[١].

ونحن نتبرّأ ممن نفى علم الله تعالى بما كان وما يكون منذ الأزل: عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام: **هَلْ يَكُونُ الْيَوْمَ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ الله بِالْأَمْسِ؟**

قَالَ: لَا، مَنْ قَالَ هَذَا فَأَخْزَاهُ الله.

قُلْتُ: أَ رَأَيْتَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَ لَيْسَ فِي عِلْمِ الله؟

قَالَ: **بَلَى، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخلْقَ**[٢].

رابعاً: يظهر أن ما ذُكِرَ من تقسيم الصفات إلى (صفاتٍ جوهرية) و(صفاتٍ علاقية) هو تقسيمٌ باطل من جهات:

الجهة الأولى: أنّ الثانية تعني **العلاقة المتبادلة** كما فسرها بها شحادة[٣]، وكلّما

(١) الكافي ج١ ص١٣٥.

(٢) الكافي ج١ ص١٤٨.

(٣) الآب والإبن والروح القدس ص٢١.

وقع الفعلُ من طَرَفٍ على الآخر انفعل الآخر، فإذا تحقّقت الصفة العلاقية في الله تعالى دلّ ذلك على انفعاله وتأثُّره تعالى، **والله تعالى يفعلُ ولا ينفعل، ويؤثر ولا يتأثر**..

الجهة الثانية: أن الصفات الجوهرية إن أريد بها صفات الذات، كالعلم والقدرة والحياة وما شابه، **فهي صفاتٌ بسيطةٌ** لا مركّبة، وهي عين الذات، **ولا ينالها التغيُّر قبل الخلق ومع الخلق وبعده.**

وأخيراً.. يعترف القس عماد شحادة نفسه بأن **العقل ليس هو المصدر الذي أعلن عن هذه العقيدة**، فليس دليلهم دليلاً عقلياً إذاً باعترافهم، يقول: **العقل لم يكن هو المصدر الذي أعلن عن هذه العقيدة**[1].

فإن قيل: العقلُ وإن لم يكن هو المصدر، إلا أنّه بعد إعلان الكتاب المقدس عن الثالوث يتنبّه الإنسانُ إلى الدليل العقلي عليه.

قلنا: بل إن الدليل العقليّ الذي تقدّم يبطلُ الثالوث كما تبيّن، وستأتي كلماتهم في **عدم إدراك العقل للثالوث أبداً.**

نماذج أخرى

بعد تمامية الجواب على هذه الشبهات بما تقدم، نعرض بعض ما يشبهها في كلمات سائر علماء النصارى، ليتبيّن أنّه ليس عندهم دليلٌ سوى ما تقدم.

فمن ذلك ما ذكره الشماس الإكليريكي د. سامح حلمي من كلماتٍ لا تختلف أبداً عما تقدم عنه، ننقل بعضها: ما الذي كان يفعله الله الواحد الأزلي قبل

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٧٧.

خلق السماء والأرض والملائكة والبشر؟ نعم في الأزلية إذ لم يكن أحدٌ سواه، ماذا كان يفعل؟ **هل كان يتكلّم ويسمعُ ويحبّ؟ أم كان صامتاً وفي حالة سكون؟**

- إن قلنا إنه لم يكن يتكلم ويسمع ويحب، إذن فقد طرأ تغيير على الله، لأنه قد تكلم إلى الآباء بالأنبياء، وهو اليوم (سامع الصلاة) إذ هو السميع المجيب، كما أنه يحبّ خليقته وصنعة يديه.

- نعم إن قلنا إن الله كان ساكناً لا يتكلم ولا يسمع ولا يحب ثم تكلم وسمع وأحب إذن فقد تغيّر، والله جل جلاله منزّه عن التغيير والتطور.

- وإن قلنا إنه كان يتكلم ويسمع ويحب في الأزل قبل خلق الملائكة أو البشر، فمع من كان يتكلم، وإلى من كان يستمع، ومن كان يحب؟؟[1]

ثم يقول: بناء على ذلك، فإن الله منذ الأزل وإلى الأبد هو كليمٌ وسميعٌ، محبٌّ ومحبوب، ناظرٌ ومنظور، دون أن يكون هناك شريكٌ معه.. هكذا **نحن المسيحيين نؤمن بأنّ الله واحدٌ له شريك له ولكنّه مثلث الصفات أو الخاصيات الذاتية،** فالله واحدٌ في جوهره، ولكن يوجد في هذا الجوهر الواحد ثلاث خاصيات ذاتية وهي: **الوجود والعقل والحياة،** وهذه الصفات الذاتية الثلاث أطلق عليها آباء الكنيسة الأوائل كلمة (أقانيم)[2].

وهذا كله قد تقدّم الجواب عليه، فالاحتمالات الثلاثة كلها ناشئة من جهل كيفية فهم صفات الله تعالى، وقياسها على صفات المخلوقين.

---

(١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٤٤.

(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٤٥.

وقد نسب حلمي هذا الكلام إلى القديس اوغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م)، حينما قال: القياس المستمد من طبيعة الله، وهو **القياس الذي اخذه اوغسطينوس من طبيعة الله (الله محبة) إذ تكون المحبّة عاطلةً وغير ذات موضوع ما لم يكن هناك محبٌّ ومحبوبٌ وذاتيّة المحبة**.. وهذه لم يجد لها **أوغسطينوس حلاً إلا في الثالوث القائم في ذات الإله الواحد**.. فمثلاً إذا كانت كافة الأديان تسلّم بأن من صفات الله النطق، إذ هو الناطق المتكلّم، فإنه ينبغي أن نسأل، ومع من كان يتكلم الله، أو ينطق قبل أن تكون هناك خليقةٌ من ملائكة أو بشر؟[١].

ويقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: **عندما يصرِّح الوحي بأن (الله محبة) يقصد أن الله (محبّة) في ذاته، في داخله، في كيانه، بغض النظر عن الإنسان، وقبل أن يخلق الإنسان**.. ويترتب على هذا **حتميّة تواجد أكثر من أقنوم في جوهر الله، في داخله وكيانه، ففي الله أقانيم ثلاثة يتبادلون المحبة**، فإذا كان هناك معنى للقول (الله يحب الله) (الله يتبادل الحب مع الله) فيجب أن **يوجد في جوهر الله أكثر من طرف يدخلون في تبادل الحبّ هذا**، وهذا ما قصده الرب يسوع عندما أوحى بطرفٍ أول (الآب) وطرفٍ آخر (الإبن) وطرف ثالثٍ اسمه (الروح القدس). وبين الآب والابن والروح القدس **تبادل حبٍّ واتحادٌ في الجوهر**: أنا والآب واحد[٢].

ويقول الواعظ الدكتور زآريا استاورو: ثالثاً: نوع وحدانية الله: نعم نؤمن أن الله واحد. ولكن ما هو نوع هذه الوحدانية؟ هل هي وحدانية مجردة أو

---

(١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٥٥.

(٢) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٤٠.

مطلقة؟ لو كان هكذا سيظل السؤال الذي حير الفلاسفة دون إجابة وهو: **ماذا كان يقول أو يفعل الله الأزلي قبل خلق الكون والملائكة والبشر إذ لم يكن سواه؟** هل كان يتكلم ويسمع ويحبّ أم كان في حالة صمت مطبق – حاشا لله جل جلاله – دون إظهار أيٍّ من صفاته وطبيعته قبل خلق الملائكة والبشر، **فمع من كان يتكلم أو يسمع أو يحبّ أو يمارس صفاته أو طبيعته؟** أعلن الكتاب المقدس الحل الأوحد لهذه المعضلة وهي أن وحدانية الله ليست مجرّدة مطلقة بل هي وحدانية جامعة مانعة. جامعة لكل ما يلزم لها ومانعة لكل ما عداها. وبناء على هذه الوحدانية الجامعة المانعة **فالله منذ الأزل وإلى الأبد هو كليمٌ وسميعٌ ومحبٌّ ومحبوبٌ دون حاجةٍ إلى شيءٍ أو شخصٍ لإظهار طبيعته وصفاته**[1].

يقول القمص إبراهيم لوقا: القرآن يدعو المسيح كلمة الله وروحاً منه، وهذا يدفعنا إلى أنْ نتساءل: أكان الله قبل أن يبدع هذا العالم ذا روحٍ وكلمة، أم لم يكن كذلك؟ **فإن قيل هو روحٌ وكلمةٌ منذ الأزل، قلنا أهُمَا ذاتُ الله أم غيره؟** فإن قيل هما غيره، قلنا، إذاً فمع الله اثنان، ومن كان معه غيره فهو ليس واحداً. وهذا باطل. وإن قيل: **إن الروح والكلمة مخلوقان وليسا موجودَيْن منذ الأزل، كان هذا مناقضاً للاعتقاد في الله تعالى من أنه الكائن الأزليّ الحيّ الناطق**، لأننا لم نصفه بهذه الصفات إلا لأننا نعتقد فيه الحياة والنطق منذ الأزل، وليس من سبيلٍ للاستدلال على الحياة والنطق إلا بالروح والكلمة، لأن الروح جوهر الحيّ، والكلمة كنه الناطق. فلم يبق والحالة هذه إلا أن نقول إن **الروح والكلمة هما ذات الله**، لهما صفاته كلها.. وبما أن الإسلام لقَّب المسيح بأنه كلمة الله وروح منه، فليس أمامنا

(١) أساسيات مسيحية ص٢٠-٢١.

إلا الاعتراف بأن **المسيح هو الله سبحانه وتعالى**.. فهو إذاً إلهُ حقٍّ من إله حق، مولودٌ غير مخلوق[١].

ونحن نعتقد أن **عيسى** عليه السلام **روحُ الله وكلمته، لكنّه مخلوقٌ وليس أزلياً،** وهذا لا يتعارض مع الاعتقاد بأن الله تعالى كائنٌ من الأزل.

ولكن حل الإشكال الذي وقع فيه النصارى يتم من خلال التفرقة بين نوعين من الصفات الإلهية:

الأول: صفات الذات، فالله تعالى قادرٌ عالمٌ حيٌّ منذ الأزل، قبل أن يخلق شيئاً من مخلوقاته.

الثاني: صفات الفعل، فالله تعالى مختارٌ فيما يخلق، فيوجِدُ شيئاً بعد أن لم يكن، ولا ينافي هذا أزليته وأزلية صفاته الذاتية.

والقولُ بأن النطق صفة ذات، فلا بُدَّ من منطوقٍ أزلي هو الكلمة الأزلية، وكذا القول بأنّ الحياة صفةُ ذاتٍ فلا بد من روحٍ أزلية، **لا يتم إلا مع القول بالتركيب** أو التعدُّد، لكن **النصارى يقولون بأزلية الكلمة والروح بلا تركيب ولا** تعدُّدٍ في الآلهة، **وهو ما لا يقبله العقل بتاتاً.**

لماذا كانت الصفات ثلاثة؟

تقدّم في نقاش الأسقف البوشي في النموذج الثاني إشكالٌ مفاده أن الاستدلال بصفات الله على الثالوث يؤول الى القول بأقانيم تزيدُ عن ثلاثة، لأنّ **صفات الذات ليست محصورةً بالحياة والعلم** لكي تُكَوِّنا مع الله تعالى ثالوثاً،

(١) المسيحية في الإسلام ص٣٤.

فالقدرةُ من صفات الذات، وقد يضاف إليها الغنى، فالله غنيٌّ، والسرمديّة، فالله باقٍ، وغيرها من الصفات، وإن أُرجِعَت إلى كونه واجب الوجود، كان وجوب الوجود من صفات الذات، فضلاً عن صفتي السميع والبصير، وهكذا تتكثّرُ صفات الذات على كلِّ تقديرٍ بما يزيد عن ثلاثة، وهو خلاف ما يذهب إليه النصارى من القول بالأقانيم الثلاثة.

وليس في أدلة النصارى ما يمنع من مثل هذه الزيادة أو يعارضها، فإذا دلّ عليها الدليل الذي يعتقدون بصحته، لزمهم الاعتقاد بها.

وبهذا تبطل عقيدة الثالوث تماماً استناداً إلى محاولتهم لإثباتها بالدليل العقلي.

ومن نماذج اعترافاتهم بإمكان زيادة الأقانيم عن ثلاثة ما ينقله القسّ شحادة عن أستاذ علم اللاهوت الكاهن ليونارد هودجسون: إنه **لا مانع من أن يعلن الله عن نفسه في المستقبل بأربعة أقانيم أو خمسة أو أكثر من ذلك**: لماذا يجب أن يكون هناك ثلاثة أقانيم، وثلاثةٌ فقط؟ قد أُجرِيَت عدّة محاولاتٍ لتوضيح هذا الأمر كضرورةٍ منطقية، ولكن **لم تكن أيّةٌ منها حقاً مُقنِعَة.. لماذا لا نتشجّع ونرجو بأنّه في يومٍ معيّن سوف يكشف عن نفسه لنا في أربعة أقانيم أو خمسة أو أكثر؟**[1].

وعلى ما أقمناه عليهم من حجةٍ نقول: لو تم استدلالكم بالدليل العقلي يلزَمُ أن تكون الأقانيم أكثر من ثلاثة، ولّما كان هذا الأمر دون معارض، **بطل قولكم بالثالوث وسقطت الديانة المسيحية.**

---

(١) الآب والإبن والروح القدس ص١٠٠.

ويقول عوض سمعان: أما عدد الأقانيم **فطبعاً هو أوّل عددٍ كاملٍ جامع،** لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خصائص الوحدانية الجامعة المانعة. وهذا العدد كما نعلم هو ثلاثة، ويتفق معنا الشيخ محيي الدين بن العربي على ذلك إلى حدٍّ كبير فقد قال: أول الأعداد الفردية هو الثلاثة لا الواحد، لأن الواحد ليس بعددٍ بل هو أصل الأعداد (فصوص الحكم ص١٣٠)[1].

وكلامه هذا مُجَرَّد استحسان، يبتني على لزوم كون الأقانيم مساويةً لأوّل عددٍ كاملٍ جامع، إذ يُقال: لِمَ لا تكون الأقانيم مساويةً لأكبر عددٍ كاملٍ جامع، أو أوسطها مثلاً؟ لا جواب عندهم.

يقول الدكتور القس عماد شحادة: أما عن ضرورة أن تكون التعدُّدية ثُلاثيّة على الأكثر، إنّ هذا يعتمد بالدرجة الأولى على إعلان الله عن ذاته. **هنا لا يستطيع الإنسان أن يجزم بما لا يشدّد عليه الكتاب المقدس، فواقع الأمر أنه من الأصعب عند اللاهوتيين إثبات أن ذلك غير ضروري، أو غير ممكن**[2].

من ثم يحاول ترجيح (نهائية العدد ثلاثة) بناءً على استحسانات مبنيّة على اعتقاده التام بنهائية التثليث ولا تستند على أي وجوهٍ منطقيةٍ مقبولة.

ولذا **فإنّه ليس عند النصارى من جواب على القائل بالتربيع أو التخميس،** كبرديصان الذي ينقل عنه ثاوذورس أبي قرّة قوله ذلك حين يقول: لقيت برديصان، فقال لي:.. أخبرك أن **الآلهة خمسةٌ أزليّة**. أربعةٌ منها غير عقليّة والخامس

---

(١) الله في المسيحية ص١١٨.

(٢) الآب والإبن والروح القدس ص١٠٠.

عاقلٌ.. يعني بالأربعة الغير عقلية النار والهواء والماء والتراب[١].

نعم ليس لبرديصان هذا حُجَّةٌ في كلامه، فليس النار والهواء والماء والتراب إلا مخلوقاتٍ تتصف بالحاجة والنقص، قاصرة عاجزة تناقِضُ صفاتها صفات الإله القدير العظيم، لكن لو استدلّ مُستدِلٌّ على أنّ الأقانيم أربعةٌ بإضافة القدرة إلى الأقانيم الثلاثة كما كانت المحبّة واحدة منها، أو أنها خمسةٌ أو ستّةٌ بإضافة سائر صفات الله تعالى، لم يكن عند النصارى من جوابٍ يصحُّ السكوت عليه.

ومَن أراد أن يستدلّ كما استدلوا على الثالوث بذكر الرقم ثلاثة في الكتاب المقدس، كان لَهُ أن يستدل على مذهب برديصان بذكر أمورٍ أربعةٍ أو خمسة في الكتاب المقدس كما أشرنا في محلّه.

ولماذا لا يكون الحق هو الأقانيم الأربعة كما كان عدد الأناجيل أربعة؟ وقد ذكروا الحكمة في كونها أربعة: **لتتلاءم مع الرياح الأربع ومع زوايا الأرض الأربع، إذ يشير العدد أربعة إلى الشموليّة**[٢].

٣. إنكار النصارى لدلالة العقل على الثالوث

بعدما عرضنا للفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، بما يُدرَء به أي إشكالٍ حول صفات الله تعالى، ويجتمع مع **عدم حصول التغيُّر والتبدُّل في الله تعالى، وعدم التركيب والتعدد.**

وبعدما أجبنا على **ما توهمه بعض النصارى دليلاً عقلياً على الثالوث**

(١) ميمرٌ في وجود الخالق والدين القويم ص٢٠٩.

(٢) كما نقلها وليم ماكدونالد عن أيريناوس في مقدمته لإنجيل متى.

وأظهرنا بطلانه، نعرض ههنا جملة من كلمات علماء النصارى من المتقدمين والمتأخرين تؤكد أن **الثالوث لا يُدرَكُ بالعقل وأنه لا برهان عليه**، وأنه **لا يُطلَبُ فهمه ولا يُتَوَقع ذلك، وأنّه ليس ضرورةً عقليةً بل يفوق العقل**، وأنه لا بُدَّ من إعلانٍ إلهيٍّ لإثباته، ما يؤكد **عدم اعتقاد معظم النصارى بما يُتَوَهَّمُ كونه دليلاً عقلياً على الثالوث**.

أولاً: أن الثالوث لا يُدرَكُ بالعقل ولا برهان عليه

اثبات الثالوث بالعقل إجحافٌ! القديس توما الأكويني

يقول القديس توما الأكويني: **يمتنع الوصول بالعقل الطبيعيّ الى معرفة ثالوث الأقانيم الالهية**.. إنما يمكن أن يُعرَفَ بالعقل الطبيعي في حق الله ما يرجع إلى وحدانية الذات، لا ما يرجع إلى تمايُزِ الأقانيم، **ومَن تَمَحَّلَ اثبات ثالوث الأقانيم بالعقل الطبيعي فانه يُجحِفُ بالإيمان**[1].

إذاً لا إمكان لمعرفة الثالوث بالعقل بحسب القديس توما الأكويني، بل يُرشد العقل إلى وحدانية الذات فقط، وهو توحيد المسلمين لا توحيد النصارى.

لا يُعرف بدون الوحي، ولا يدركه العقل: التعليم المسيحي

في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية: **الثالوث** سرُّ إيمانٍ بالمعنى الدقيق، أحدُ الأسرار الخفية في الله، **والتي لا يمكن أن تُعرف إذا لم يُوحَ بها من فوق**[2].

---

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٩٩.

(٢) كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٣ فقرة٢٣٧.

وهذا تصريحٌ بعدم إدراك الثالوث ما لم يوحَ به، فليس للعقل أن يدركه ما لم يؤمن به عبر الوحي، وهذا ينافي الاستدلال المتقدّم من بعض النصارى على الثالوث بالعقل.

وفيه أيضاً: **الثالوث.. سرٌّ لا يستطيع أن يُدركه العقل البشريُّ المجرد**[١]. فهو لا يُعرف إذا لم يوحَ به، ولا يُدرَكُ حتى لو أوحي به، فكيف يُستدلُّ عليه بالعقل؟

الثالوث سرٌّ لا برهان عليه! الراهب باسيليوس

يقول الراهب باسيليوس المقاري: لا بد أن نعرف حقيقةً هامّةً وهي أنّ **معرفة الثالوث الأقدس وصلت إلينا نحن البشر من خلال إعلان المسيح لنا عن** الآب أبيه الصالح كما ورد في الإنجيل، وعن الروح القدس.. **فبدون استعلان المسيح** لنا الآب والروح القدس، وضِمناً شخصه المبارك أنّه الابن، **ما كان يمكن أن نعرف شيئاً عن الثالوث**. نقول هذا.. **حتى لا يظنّ أحدٌ أننا نحاول أن نقنع القارئ بوجود الثالوث أو نبرهن على وجوده** كما يبرهن الرياضيون على نظرية هندسية. **فالثالوث هو إعلان إلهي أولاً وقبل كلّ شيء**، وما علينا إلا أن نؤمن بالمسيح - له المجد - وبإعلاناته لنا عن الآب وبعطيّته الثمينة وهي الروح القدس، فندخُل في شركة الثالوث[٢].

فكلّ ما أتعب علماء النصارى أنفسهم به للاستدلال به على الثالوث بالعقل

(١) كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٦٣ فقرة٢٣٧.

(٢) إيماننا المسيحي ج١ ص٢٢.

قد تبّخر أمام كلمات الراهب باسيليوس!

ويقول الراهب نفسه: **الثالوث سِرٌّ** *Mystery*، وباعترافنا بالطبيعة السرِّية *Mystical* لهذا الاستعلان الإلهي، فإن الكنيسة ترى فيها استعلاناً عظيماً يرفع - بما لا يقاس- من إيماننا المسيحي فوق كل اعتقادات أخرى[١].

ويقول: أما جوهر الله الذي تعلنه الأقانيم الثلاثة فنحن لا نعرفه ولا يمكننا أن نعرفه تماماً كما نعرف الطبيعة البشرية. فهو يعلو ليس فقط على قدرات تعبيرنا بلغاتنا البشرية، بل يعلو حتى على قدرتنا على استيعاب أعماق هذا الجوهر. لذلك فنحن **مهما تكلّمنا عن سرّ الثالوث الأقدس** فنحن **نتكلّم عن سِرٍّ غير مُدرَك**، وعن الحقّ الذي لا يُستقصى، المختص بالجوهر الإلهي، ولذلك **فلا يمكن أن نقبل عقيدة الثالوث إلا بالإيمان**[٢].

عقيدة الثالوث **لا دليل عقلي عليها!** بل **لا تُقبَلُ إلا بالإيمان!** وهذا الإيمان **مناقضٌ للعقل كما تقدّم**، رغم ذلك فهو مقبول!

ولهذا الراهب تصريحٌ في غاية الوضوح يفيد أن **البراهين العقلية لا تقودهم إلى الإيمان**، حيث يقول: الإيمان يقودنا بالضرورة إلى اختبار الشركة مع الله، بخلاف الاعتقاد العقلي والنظري.. **فالبراهين العقلية لا تقودنا إلى الإيمان الذي يؤدي بنا إلى الحب الإلهي، فالشركة مع الله**. بل ولا يمكن أن تكون بديلاً عن الإيمان. أما المجادلات الغبيّة فهي تقضي على الإيمان[٣].

---

(١) إيماننا المسيحي ج١ ص٢٧.

(٢) إيماننا المسيحي ج١ ص٤٤.

(٣) إيماننا المسيحي ج١ ص٢٨٦.

وهذا شاهدٌ على عدم وجود دليلٍ عقليٍّ على الثالوث، بل حتى مع إرشاد النقولات من الكتاب المقدّس لا يمكن للعقل أن يتقبّل هذه الفكرة، إنما عليه أن يُسَلّم بها تسليماً مطلقاً ولو لم تكن قابلةً للفهم. والبحث عنها يُعدُّ جدلاً غبياً يقضي عن الإيمان، لذا على المسيحيّ أن يُسَلِّمَ بهذه العقيدة كما هي دون أن يقوم عليها برهانٌ عقلي!

لا يمكن معرفة الثالوث بالعقل: بندلي

يقول كوستي بندلي عن عقيدتهم في التوحيد والتثليث: **هكذا قال عن نفسه بمعنىً لا أعرفه عقلياً، ولا يمكن أن أعرفه عقلياً**. ولكن هكذا كشف هو نفسه. وأنا أستطيع بالاتصال الروحي، بالصلاة، بخِبرة القدّيسين وخِبرة الجماعة **أن أذوق كيف هو ثلاثة، كيف هو واحد**[1].

ويقول: لا مبرّر للسؤال: **كيف أن الثلاثة واحدٌ والواحدُ ثلاثة. لأنّه ليس همّي أن أُفهمك هذا، ولا يمكنك أن تفهم هذا**. وأكثر من ذلك، لا يمكنك أن تفهم حتى كيف أن الله واحد[2].

ويقول: **لا يفتخرنّ أحدٌ علينا بأنّ عنده ديانة عقلية**. وهل فَهمُ أن الله واحدٌ هو موقفٌ عقليّ؟ **كلُّ وجود الله في الاساس ليس عقلياً. العقلُ البشريُّ لا يفرض عليك الوجود الإلهي**. ويرتاح العقل البشري كلياً إن بوجود الله أو بعدم وجوده. إذ يمكن لهذا العقل أن يصعد إلى القمر وأن يصنع مختبراتٍ وصواريخ سواء كان

---

(١) مدخل الي العقيدة المسيحية ص٢٠٧.

(٢) مدخل الي العقيدة المسيحية ص٢٠٨.

الله بالنسبة إليه موجوداً أو غير موجود[1].

أقول: ههنا مغالطات عدة منها:

أولاً: لا ريب أن **فهم وحدانية الله مَوقِفٌ عقليّ، والاستدلال عليه كذلك**، وديانتنا نحن المسلمين **ديانةٌ عقلية، فبالعقل عرفنا الله تعالى**، وبالعقل عرفنا عدم الإحاطة بكُنهِه، وبالعقل عرفنا عدم إمكان الاعتقاد بالمتناقضات في توحيده.

ثانياً: إذا كان العقل لا يفرض عليك الوجود الإلهي بمعنى أنّه لا يدرك وجود الله، فكيف نعرف الله؟

إن قيل: بالأنبياء والرسل.

قلنا: فكيف نعرف صدقهم؟

لقد عرفنا صدق الأنبياء والرسل بالعقل لمّا أتوا بالمعجزات، **والعقل بنفسه يدل بقاعدة السبب والمسبب على جود خالقٍ قادرٍ عليمٍ حكيم**.

ثالثاً: إن العجزَ عن إثبات الثالوث بالعقل **أطاح بأسس التفكير المنطقيّ** عند بندلي، حيث أنكر دلالة العقل حتى على توحيد الله تعالى، وبهذا وافَقَ الملحدين في إنكارهم للأدلة العقلية، وإن أقرّوا بالعجز عن نفي وجود الله، فالمُلحِدُ لا يتمكن من نفي وجوده عزّ وجل، غاية الأمر أنّه قد يزعم عدم دلالة العقل على وجوده تعالى، فإذا وافقه مُوَحِّدٌ على رأيه عملاً بالكلام المتقدِّم لم تبقَ حُجّةٌ للمؤمن بالله تعالى على المُلحد، وصار المُلحِدُ مصيباً في اعتقاده، ولا يمكن التخلُّص من هذا الإشكال إلا بالرجوع لحكم العقلِ القطعيِّ الدالِّ على وجود

(١) مدخل الي العقيدة المسيحية ص٢٠٨.

الله تعالى، وعلى توحيده عزّ وجل.

الثالوث ليس ضرورةً عقلية!! الاب سيداروس

يقول الاب فاضل سيداروس: أتى يسوع فأعلن للإنسان أنّ الله آب وابن وروح. وهذا هو سرّ الله الذي ما كان الإنسان بوسعه إطلاقاً أن يكتشفه وحده. **هذه هي حقيقة الله التي ليست بضرورةٍ عقليَّة - فلا يحتِّمُ العقل أن يكون الله واحداً او اثنين أو ثلاثة أو أكثر** - لأن الله متسامٍ كلّ التسامي ومتعالٍ كلّ التعالي ومتجاوِزٌ عقلَ الإنسان كلّ التجاوز[1].

أقول: إذا كان العقلُ الإنساني لا يُحتِّم كون الله واحداً، وليس بوسعه وحده اكتشاف وجود الله تعالى واتّصافه بصفات الكمال، فبأيّ شيء نؤمن أولاً بإعلان الله ونحن لا نؤمن به ولا بحقيقته؟

إن أصل الإيمان قائمٌ عندنا على العقل، فإن وضعنا العقل جانباً بانتظار أن يصلنا الإعلان الإلهي فبماذا نميّز صحة ما قد يُزعم أنه إعلان إلهي؟ وكيف نميّز دعاوى الأنبياء الصادقة من الكاذبة؟

إن قيل: بالعقل.

قلنا: كيف للعقل أن يُميّز صحة كلام هذا النبي أو ذاك حول الله تعالى وهو أمرٌ **لا يمكن أن يكون له موقف حوله؟**

إن قيل: بثبوت المعجزة.

قلنا: بالعقل يُستدلُّ على صحة الدعوى من الأنبياء عند صدور الإعجاز

(١) سر الثالوث الاحد ص١٦.

منهم، فإذا كان الإنسان قد **أسقط دور العقل في مرحلة متقدمة** حيث نفى دوره، فكيف له أن يحتجّ على المنكر للمعجزة بالعقل الآن؟

يقول الاب سيداروس: **فمن ادّعى مثلاً أن الله واحدٌ ضرورةً وحتماً إنّما يحصر الله ويحدُّه في إطار العقل البشري**. وأما مسيرتنا فتنطلق مما قاله يسوع على الله، فيتقبل الإنسان مُعطى الوحي ويحاولُ فهمَه بعقله. فإعمالُ العقل هو على معطى الوحي، لا على فكرةٍ عن الله يضعها الإنسان أو يشترطها العقل[1].

وههنا مغالطة واضحة: فإن المسلمين القائلين بوجود **الضرورة العقلية الدالة على وحدانية الله تعالى لا يحصرونه تعالى في إطار العقل البشري**، كيف وهو يتّصف بالكمال المطلق، وهو الخالق لهذا العقل المُدرِك، فإنّ **العقل بنفسه يُدركُ أن له حدّاً يمنعه من الإحاطة بالذات الإلهية التي لا حدّ لها**، وهو ما يتّفق عليه المسلمون والنصارى.

أما إعمال العقل على مُعطى الوحي فينبغي أن يختصّ بغير المستقلات العقلية، وفيما لا يكون للعقل طريقٌ قطعيٌّ له غير الوحي، كتفاصيل الشرائع وما إلى ذلك، فلا يمكنُ مثلاً قبول مُعطى الوحي لو قال بامكان اجتماع النقيضين، كوجود الشيء وعدمه فعلاً، فإنّ مُخالفة ما يُظنُّ أنّه وحيٌ لِحُكمِ العقلي القطعيّ هذا يكشفُ عن خللٍ في صحة الوحي أو في فهمه.

يقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: إن الله أكبرُ من كلّ ما يعرفه الإنسان عنه ومن كل ما يُعبّر عنه، **الله أكبر من كل المقاييس البشرية، أكبرُ من كل**

(١) سر الثالوث الاحد ص١٧.

الضرورات العقلية، أكبر من كل التصورات والتخيلات[1].

نعم هو كذلك، لكن **لا بمعنى أنّ وجوده يتعارض مع الضرورات العقلية**، أو أن الضرورات العقلية لا يمكنها اكتشاف وجوده أو اكتشاف توحيده أو اتصافه بالكمال، فإن لازم ذلك إمكان الجمع بين النقيضين في ذات الله تعالى، ولا يمكن القول به.

الثالوث يفوق الإدراك العقلي: الاب شبيدلك

يقول الاب توماش شبيدلك اليسوعي: يردّ المسيحيون مدافعين عن إيمانهم بهذه العقيدة موضحين أن **وحدة الله الأزليّة السرمديّة تكمن في الأشخاص الثلاثة**، أي الثالوث القدّوس الذي هو علامةٌ حقيقيةٌ قويةٌ تدل على وحدة الله. واضعين بعين الاعتبار أن **هذا السرّ يفوق الإدراك العقليّ والمعرفة البشريّة المخلوقة**[2].

وهو فضلاً عن نفيه لإمكان إدراك الله تعالى بالعقل، يؤكد أن هذه الوحدة تكمن في (الأشخاص الثلاثة) فيُثبِتُ قول من ذهب إلى أن الأقانيم هم الأشخاص، وهو يعني تعدد الآلهة، مع تشديدهم على نفيه، وليس إلا التعارض!

الثالوث يتجاوز الإدراك العقلي: القس مينا

يقول القس موسى وهبه مينا: ان **عقيدة التثليث** في الإيمان المسيحي تعتبر

---

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٣٤.

(٢) نحن في الثالوث ص١٥.

في أغلب الأحيان من **الاسرار الغامضة التي تتجاوز الإدراك العقلي**[١].

الثالوث لا يفهم بالعقل: القس تاوضروس

يقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: يجب أن نعلم أن **الثالوث ليس نظريةً عن الله نفهمها بالعقل**، فالله أبعد وأعلى من عقولنا ومنطقنا الإنساني.. فلا يستطيع أحد أن يقول أن يسوع رب إلا بالروح القدس[٢].

في الصفحة ١١ قال هذا القسّ أنّه لا يمكن أن تعبد من تجهل، لذا كان الثالوث، لكي نعرف الله، وفي الصفحة ١٢ قال أنّ الثالوث ليس نظريةً نفهمها بالعقل! وعليه، **فلم يختلف الحال عند النصارى بعد قولهم بالثالوث، إذ أنهم ما زالوا لا يعرفون الله تعالى مع قولهم بالثالوث.**

رغم ذلك يقول القس: وفي الوقت نفسه فإننا **مطالبون بإيمانٍ عقليٍّ**، يقول: يجب أن يكون فهمنا لعقائدنا وإيماننا ليس من منطلق الجدل الفلسفي أو الحساب العددي، **ولكن من خلال الإيمان العقلي** والتأمل القلبي والسلوك الحياتي**!**[٣].

ثانياً: لا نسعى لفهم الثالوث ولا يمكننا شرحه

بعدما تبيّن من كلمات جملةٍ من علماء النصارى اعتقادهم أن الثالوث لا يُمكنُ أن يُدرك بالعقل، وأنّه لا بُرهان عليه، نضمُّ إليها جملةً من كلماتهم التي تدلُّ أنّ الثالوث لا يمكن أن يُشرح، ولذا فلا ينبغي السعي لفهمه، لعدم إمكان ذلك،

(١) بالحقيقة نؤمن بإله واحد ج١ ص٧.

(٢) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١٢.

(٣) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١٣.

وهو مناقضٌ لما تقدّم من الاستدلال عليه بالعقل، فكيف يُستدلُّ بالعقل على ما لا يدركه العقل ولا يمكنه أن يفهمه أو يشرحه؟!

لا نسعى لنفهم! القديس اوغسطينوس

يقول القديس اوغسطينوس: **نحن لا نسعى لفهم ما نؤمن به، ولكننا نؤمن لكي يمكننا أن نفهم**[١].

لا نملك أن نشرح الثالوث! الاب صفرونيوس

يقول الاب صفرونيوس: **نحن لا نملك أن نشرح الثالوث للآخرين شرحاً عقلياً وفلسفياً**؛ لأننا لا نملك أن نبرر حقيقة الذات الإلهية؛ لأن الله هو مبرّر وجودنا. أمَّا نحن، فلا نملك أن نبرر خالقنا[٢].

الثالوث غير مفهوم: القديس يوحنا الدمشقي

يقول القديس يوحنا الدمشقي: **ما لا يُستطاع فهمه** ولا النطق به: أمّا أي شيء هي الذات الإلهية، أو **كيف هي في الثلاثة.. فهذا كلّه نجهلُه ونعجز عن الكلام فيه**. إذاً لا يمكن النطق ولا التفكير عن الله خارجاً عمّا صوّره الله نفسه لنا أو قاله وأوضحه في المقولات الإلهية في العهدين القديم والجديد[٣].

فالثالوث غير مفهوم، فكيف يستدل عليه بالعقل؟!

---

(١) الإيمان بالثالوث لتوماس ف. تورانس ص٢٧.

(٢) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص٥٠.

(٣) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٥٦.

لا نطلب الفهم: القس توزر

يقول القس إيدن ويلسون توزر: وعندما نتأمل في سر الثالوث الإلهي المهوب فإننا نضع أيدينا على أفواهنا، إننا نقف أمام العلّيقة المشتعلة **ولا نطلب الفهم والمعرفة** بل نطلب أن نعبدك كما يليق، أيها الإله الواحد المثلث الأقانيم آمين[١].

لا يُتوقع فهم الثالوث: القس شحادة

يقول الدكتور القس عماد شحادة: **إن الله لا يلوم الإنسان لعدم فهمه عقيدة الثالوث، بل إنه لا يتوقع منه ذلك**. ولكن تقع المسؤولية على الإنسان في التهيوء القلبي لسماع أي إعلان جديد من الله. فعليه أن يكون قلبه منفتحا لما يقوله الله عن ذاته[٢].

فإذا كان الله لا يتوقع من الإنسان أن يفهم الثالوث، وكان الثالوث متناقضاً مع العقل البشري، فههنا مشكلتان:

الأولى: أنّه لا حكمة في تكليف الإنسان بالاعتقاد بما لا يفهمه.

الثانية: أن التكليف بالاعتقاد بما يناقض العقل البشري مستحيل عقلاً على الحكيم.

---

(١) في معرفة القدوس ص١٧.

(٢) الآب والإبن والروح القدس ص٣٤.

الثالوث سرّ الأسرار، الاب سيداروس

ويقول الاب فاضل سيداروس: إن الله الثالوث الأحد **سرُّ الأسرار المسيحية، فهو أصلها وغايتها وهو محورها واتِّجاهها.. العقل لا يستطيع أن يدخل في أعماق هذا السرّ ويسبر أغواره إلا إذا اقترن بالاختبار**[١].

ويقول: إن المفهوم الشعبيّ للسر هو: (ما لا يفهمه الإنسان) لما في السر من معنى اللغز والغموض والخفاء.. وأمّا السرّ *Mystere* في المفهوم المسيحي فهو - بحسب قول أوغسطينس- ما لا ينتهي الإنسان من فهمه. فكلّما غمر فيه الإنسان اكتشف أبعاداً وأعماقاً ومعاني لا حدّ لها، لأن السرّ لا متناه[٢].

يوافقه القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس بقوله: السرّ هو حقيقةٌ إيمانيةٌ يستطيع الإنسان أن **يفهمها على وجهٍ أفضل يوماً بعد يوم دون أن يصل إلى نهايتها،** فالسرُّ ليس حائطاً أصطَدِمُ به، بل هو محيطٌ أتعمّق فيه وأزداد تبحُّراً فيه.. فالمفهوم الشعبي للسرّ يختلف عن المفهوم المسيحي للسرّ ولا يجب أن نخلط بين الاثنين. المفهوم الشعبي للسرّ هو ما لا يفهمه الانسان.. أما السرّ في المفهوم المسيحي فهو بحسب القديس أغسطينوس: (ما لا ينتهي الإنسان من فهمه)[٣].

وهذا يعني أن هناك ما هو قابلٌ للفهم فيه، وإن كان غير متناهٍ، لكنّا نرى **أن الثالوث فعلاً غير قابل للفهم أبداً، إذ كيف يكون الواحد ثلاثاً لا باختلاف اللحاظ؟** ولذا صرّح اوغسطينوس بأننا لا نسعى للفهم، وصرّح القس توزر بأنا

---

(١) سر الثالوث الاحد ص٧.

(٢) سر الثالوث الاحد ص١٥.

(٣) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١٩-٢٠.

لا نطلب الفهم، كما تقدمت كلماتهم.

السرُّ ليس نفياً للعقل: البابا بندكتوس السادس عشر

يقول البابا بندكتوس السادس عشر: عندما يفضي اللاهوت إلى مختلف أنواع الحماقات ويُقصَدُ من خلال لجوئه إلى فكرة السرّ، ليس إلى تبرير تلك البلاهات فحسب، بل أيضاً إلى تقديسها إذا أمكن، يكون قد برهن على جهله لفكرة السرّ الحقيقية. **الحقيقة أن السرّ ليس نفياً للعقل، بل هو شيء يتيح للإيمان أن يكون عقلاً من نوع ما**[(١)].

إنّ ما وقع فيه النصارى هو عين ما نبّه إليه الكاردينال، لأن الإيمان بما هو في نفسه متناقضٌ لا يعني تحويل غير المعقول إلى نوع من المعقول، بحجّة أنه أمرٌ فوق إدراكنا!

كان الأنسب أن يلتزموا بما التزم به بعض المنحرفين عن جادة الإسلام من المتصوّفة الذين أسقطوا حجية العقل مقابل الشريعة، حيث اعتقدوا أن الشريعة قد تأتي بما يناقضه العقل ثم علينا الالتزام بذلك.. فإن هؤلاء المتصوفة لم يناقضوا أنفسهم كما فعل النصارى حيث قالوا أنّ العقل حجة ولكنّ التناقض الذي يدل عليه يرتفع بمجرد الارتقاء الى مبحث التوحيد الإلهيّ!

على أن البابا نفسه أُعجِبَ كثيراً بقول من يعتقد أن الإيمان يقوم على سلسلة من التناقضات!! فقد نقل قولاً عدّه رائعاً للاهوتي الفرنسيّ سان سيران (١٥٨١ - ١٦٤٣)، حينما قال:

---

(١) البابا بندكتوس السادس عشر: جوزيف راتزنغر، في مدخل الى الايمان المسيحي ص٤٤.

لقد قال الجانسيني سان سيران قولاً رائعاً هو **أنّ الإيمان يقوم على سلسلة من التناقضات**، التي يعود للنعمة وحدها الفضلُ في الحفاظ على تآلفها معاً[١].

هو اعترافٌ إذاً بقبول المتناقضات! ولكن هذا القبول عائدٌ للنعمة!

الإيمان يسبق الفهم: أوغسطين

الإيمان يسبق الفهم[٢]: عبارة تُعَدُّ من المبادئ الأساسية لأحد أشهر آباء الكنيسة في العصور القديمة: أوغسطين (الذي ولد سنة ٣٥٤م)، ولا شكّ أنها تسري كما ذكر غيره في مسألة الثالوث، فإنّ عليك أن تؤمن قبل أن تفهم، ثم قد تفهم شيئاً لاحقاً وقد لا تفهم! **ما أخطر هذه العقيدة، وما أسهلها من طريقة لاستعباد عقول الناس!**

ثالثاً: أنّهُ لا بُدّ من إعلانٍ إلهي

بعدما تقدّم أن الثالوث لا يُدرَكُ بالعقل، وأنّه لا برهان عليه، وأنّه لا يُفهَم ولا يُشرح، نعرض هنا جملةً أخرى من كلمات علماء النصارى التي تؤكّد أنّه **لا بُدَّ من إعلانٍ إلهيٍّ للدلالة على الثالوث**، وبدون هذا الإعلان لا يمكن المصير إلى القول بالتثليث، فكيف يكون دليلُ الثالوث عقلياً كما تقدّم؟!

معرفة الآب تحتاج لإعلان: الاب صفرونيوس

معرفةُ وجود الله مما يدركه العقل، وإن شكّك بذلك بعض علماء النصارى

---

(١) البابا بندكتوس السادس عشر: جوزيف راتزنغر، في مدخل الى الايمان المسيحي ص١٢٢.

(٢) نقلها القس بسام المدني في كتابه: المسيح في الكنيسة في التاريخ ص٩٠.

كما تقدّم، ومعرفة **كونه الخالق مما يُدرَك بالعقل أيضاً**، ومعرفة ما زاد عن ذلك من **اتّصافه بالأبوّة والبنوّة، وتثليث الأقانيم، مما لا يمكن للعقل أن يدركه، بل مما نزعم حكم العقل بامتناعه.**

وقد اعترف بعض كبار علماء النصارى بأنّ معرفة كونه خالقاً لا تحتاج لإعلانٍ منه، لكنّ **معرفة أبوّته أو تثليثه مما يحتاج إلى إعلانٍ ونَصٍّ إلهيّ.**

يقول الاب صفرونيوس: وجَعَلَنا نعرف الآب فيه ليس كخالقٍ، بل كآب؛ **لأنّ معرفَتَنا بالله كخالق لا تحتاجُ إلى إعلان،** ولكنّ معرفتنا بأبوّة الله احتاجت إلى مجيء ابن الله المتجسد[1].

وهذا اعترافٌ واضحٌ بأن العقل وحده كافٍ في معرفة الإله الخالق القادر، ولكنه غير قادر على معرفته كأب له ابن، وبالتالي لا مجال لأن يُستدلَّ على الثالوث بالعقل.

ونحن نوافقهم على ذلك ونزيد: أن **العقل يمنعُ من مثل هذا الاعتقاد** حتى لو جاء (إعلانٌ) به، فإنّه على فرض مجيء مثل هذا الإعلان، يلزم حينها تأويله، كما أوّلوا الإعلان عن أن موسى عليه السلام إله فرعون، وغيرها من التأويلات في الكتاب المقدس.

الثالوث يُعرف بالكشف الإلهي: القس تاوضروس

يقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: ليس الإيمان بالثالوث عقيدةً نظريةً أو فلسفيةً أو عقليةً مُجَرّدة، بل هو **عقيدةٌ قائمةٌ على الكشف الإلهيّ**..

(١) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص٢٦.

فهو اعلانٌ ليس فيه اجتهاد.. فإيماننا المسيحيّ عن الثالوث ليس نتاج أفكارٍ إنسانية..**ولكن هو إعلانٌ من الله عن نفسه**[١].

ويقول: **إيماننا المسيحيّ عن** الله ليس نتاج أفكارٍ إنسانية، أو محاولاتٍ بشرية.. ولكن **هو إعلان الله عن نفسه**، مصدره الله وحده، ولا علاقة له بالفكر الإنساني والتصوّرات البشرية.. فحقيقة الله في المسيحية حقيقةٌ إلهيّةٌ تتجاوز كل التصورات الإنسانية.. بهذا تتميّز المسيحية عن سائر الديانات في نظرتها إلى الله، فإلهُ المسيحية لم يخترعه المسيحيون، ولكنّه هو من أعلن عن نفسه، **لأنّ الله لا يُمكن أن يُفهَم إلا من خلاله هو ذاته**[٢].

التثليث لا يُفهَم من غير الكتاب المقدس: القسّ يوحنا

للقسّ منسَّى يوحنا تصريحٌ خطير، يشير فيه إلى أن سرّ التثليث لا بدّ من أن يكون **غير مفهومٍ للبشر!** ولا يُفهَم من غير الكتاب المقدّس، فيقول:

نعود فنُكرِّر القولَ أنَّ **سِرّ التَّثليث عقيدةٌ كتابيةٌ لا تُفهم من غير الكتاب المُقدَّس، وأنَّه من الضَّروري أن لا يفهمها البشر**، لأنَّنا لو قدِرنا أن نفهم الله لأصبحنا في مصاف الآلهة، كما أنَّه لو استطاع الحيوانُ غير العاقل أن يُدرِك لأصبح عاقلاً كالإنسان. فإذا كان الحيوان لا يقوى على أن يُدرك الإنسان مع أنَّ الاثنين محدودان، ومع أنَّ الفرق بينهما هو غير الفرق بين الإنسان وربّه، فبين هذين هُوَّة ليس لها قرار، وبين ذينك صلةٌ قريبةٌ وتقاربٌ كليٌّ في سلسلة الخلق.

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص١٧.

(٢) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٩١.

فكيف يقوى الإنسانُ الضَّعيف أن يفهم الإله الخالق؟[١].

لا يقال: إنّه نظيرُ ما يقوله المسلمون من عدم معرفة الذات الإلهية.

لأننا نقول: إنّ الله موجودٌ وهذا مُدرَكٌ ومفهوم، أما حقيقة ذات الله تعالى فلا نستدلّ عليها بالعقل ولا نقول أنّ حقيقتها مُدرَكة، ولا نزعمُ فيها ما يخالف العقل، بخلاف ما يذهب إليه النصارى من قولهم أن الله **موجودٌ بوحدانيةٍ مع ثالوثٍ بطريقةٍ غير مفهومةٍ ولا مدرَكة!** فالمُدرَك نفسه (وهو وجوده ضمن الثالوث) غير مُدرَكٍ. فلزم اجتماع النقيضين.

عقيدة الثالوث أتت من الإعلان الإلهي: شحادة

يقول الدكتور القس عماد شحادة: **تعتبر عقيدة الثالوث استنتاجاً لاهوتياً مبنياً على ما أعلنه الكتاب المقدس بقوّةٍ عن الله، ولم يختلق العقل هذه العقيدة، وإنما أتت من خلال الإعلان الإلهي**[٢].

نحتاج لقبول اعلان الله عن ذاته: عمّاري

يقول الدكتور رأفت عمّاري: يجب أولاً أن يتخلى القارئ عن فكرته العاديّة عن الله، ويأتي للإعلان الالهيّ عن ذاته.. لذا **نحتاج أن نقبل اعلان الله عن ذاته كما أعلنه في كلمته، أي في الكتاب المقدس**[٣].

---

(١) شمس البِر ص١٢١.

(٢) الآب والإبن والروح القدس ص٧٦.

(٣) أقنوم الحق الفريد ص٥.

٤. وقفة مع معرفة الله

ذهب بعضُ علماء النصارى إلى أنّ عبادة الله تعالى دون الاعتقاد بالثالوث هي عبادةٌ دون معرفة! بل لا يمكن أن نُحِبَّ الله ونعبده ونحن نجهله طالما جهلنا الثالوث!

يقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: **فالثالوث هو طبيعة الله** التي كشفها لنا من محبّته حتى نعرفه فنعبده، **فلا يمكن أن تُحبّ وتعبد من تجهله**[1].

فمن لم يعرف الثالوث لم يعرف الله ولم يتمكن من أن يحبّه ويعبده، وَمِن قبلِهِ أشار الاب صفرونيوس إلى أن الثالوث هو الذي أعلن عن نفسه فصار الإلهُ غيرَ مجهول، قال: ما هي منفعة الجدل حول طبيعة الله، إذا كان التعليم عن طبيعة الله لا ينتهي بالسجود؟ لأننا نحن المسيحيين الأرثوذكسيين نعبد الله الواحد الذي لا آخر معه ولا شريك له في جوهره، ونسجد للآب في ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح بنعمة الروح القدس.. **نحن نسجد لمن أعلن عن ذاته في جوهرٍ واحدٍ ولاهوتٍ واحدٍ وربوبيةٍ واحدة، وهكذا نحن لا نسجد لإلهٍ مجهول**[2].

ويذهب بعض علماء النصارى إلى أن الديانة النصرانية قد فتحت الباب أمام معرفة الله في ما يسمونه (علاقاته الداخلية) أي العلاقة بين الآب والابن والروح القدس، وأنّ هذه المعرفة أدخلت الناس في (**علاقة شخصيّة حميميّة مع الله!!**).

---

(١) مدخل إلى حقيقة الثالوث ص١١.

(٢) الثالوث القدوس توحيد وشركة وحياة ج١ ص١٥.

يقول توماس ف. تورانس: إن أيّ طلب لمعرفة الله (الداخلية) كان يُرفَض بفزعٍ شديد.. ولم يكن يوجد في التعاليم اليهودية معرفةٌ لله في علاقاته الداخلية، بل فقط في علاقاته الخارجية[1].. قبل أن يصير كلمةُ الله جسداً في ملءِ الزمان **فإنّ المؤمنين لم يدخلوا في علاقة شخصية حميمية مع الله، مثل التي حدثت حينما عرفوه مباشرة كما هو في ذاته** (كآب وابن وروح قدس).. لذا فنحن الآن يمكننا الدخول في **شركةٍ شخصيةٍ مع الله** دون أن تمنعنا إمكانيّاتنا المحدودة كبشرٍ ودون أن يعوقنا ابتعاد طبيعتنا عن الله[2].

رغم ذلك فإنّه لا يزعمُ معرفة جوهر الله، بل يوضح أنه يقصد معرفةً محدودة في علاقة الله الداخلية (بتعبيره): **وأن نعرف الله بهذه الطريقة لا يعني أننا نستطيع أن نعرف ما هو جوهر الله**.. عند هذه النقطة الجوهريّة تختلف المسيحية عن اليهودية لأنها تعني وبصورة مدهشة تماماً **أننا نستطيع بقدرٍ ما أن ندرك الله في علاقاته الداخلية**[3].

لذا يشير المطران يوحنا زيزيولاس إلى أن: الفرق الدقيق بين إيمان المسيحيين وغيرهم **ليس في موضوع وجود الله، وإنما في طبيعة جوهر الله وكيانه**[4].

ويظهر الجواب على هذه الدعاوى في كلام رأس الكنيسة، وأحد كبار رموز

(١) الإيمان بالثالوث ص٩٣.

(٢) الإيمان بالثالوث ص٩٤.

(٣) الإيمان بالثالوث ص٩٥.

(٤) الوجود شركة ص١٤.

المسيحية المعاصرين، البابا بندكتوس السادس عشر حين يؤكد لزوم **عدم ادّعاء فهم حقيقة الله تعالى، والحذر من دعوى الإحاطة بالله تعالى**، فيقول: إذا كان تاريخ الجهود الإنسانية والمسيحية الكبيرة الهادفة إلى إدراك الله يبرهن على شيء، فهو يبرهن أول ما يبرهن على ما يأتي: **كلُّ محاولةٍ (نتوخى بها التَمَكُّن) من الإحاطة بالله بفكرنا البشري مُحال**. إننا لا نستطيع الكلام عليه تعالى بصورةٍ مناسبة **إلا إذا أقلعنا عن ادّعاء فهمه، إلا إذا احترمنا كيانه الذي يتجاوزُ الفهم**. لذا **ينبغي ألا يُنظَرَ إلى عقيدة الثالوث على أنها تفسيرٌ يتّضح به سرّ الله**.. ليست عقيدة الثالوث تعريفاً يُعَيِّن موقع قضيةٍ ما من مدارك العقل البشري: أي **ليست عمليةَ فهمٍ تُمَكِّنُ العقل البشريّ من الإحاطة بقضيّة معيّنة**[1].

فإذا كانت معرفة كنه الله تعالى غير ممكنة، وكان الثالوث غير مفهومٍ ولا مُدرَك، فبم يمتاز النصرانيُّ حينها ليصير عابداً لإلهٍ يعرفه؟ بينما يزعم أن المسلم يعبد إلهاً لا يعرفه؟!

لقد روينا عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: **وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَاهُوا وَتَحَيَّرُوا وَطَلَبُوا الخَلَاصَ مِنَ الظُّلْمَةِ بِالظُّلْمَةِ فِي وَصْفِهِمُ الله بِصِفَةِ أَنْفُسِهِمْ**، فَازْدَادُوا مِنَ الْحَقِّ بُعْداً.

وَلَوْ وَصَفُوا الله عَزَّ وَجَلَّ بِصِفَاتِهِ، وَوَصَفُوا المَخْلُوقِينَ بِصِفَاتِهِمْ، لَقَالُوا بِالْفَهْمِ وَالْيَقِينِ وَلَمَا اخْتَلَفُوا[2].

---

(١) مدخل الى الايمان المسيحي ص١٢١.

(٢) التوحيد (للصدوق) ص٤٣٩.

لقد وصفوا الله بالأبوّة! وهي صفات المخلوقين، وإن تكن أبوّتهم جسدية.

ووصفوا عيسى عليه السلام المخلوق بالأزليّة وهي من صفات الخالق.

فتاهوا وتحيّروا وغاصوا في ظلماتٍ بعضها أظلم من بعض.

فصل٥: الإعلانُ الإلهيّ حول الثالوث

ثبت بما تقدّم من فصولٍ أن **الثالوث لا يُمكِنُ أن يُدرَكَ بالعقل**، وأنّه لا بدَّ من **إعلانٍ إلهيٍّ لإثباته**. وبما أن النصّ الإلهيّ الذي قيل بدلالته عليه هو الإنجيل، فإنّ هذا **الاستدلال يتوقف على تمامية البحث في مرحلتين**:

المرحلة الأولى: ثبوت النص (الإنجيل).

المرحلة الثانية: دلالة الإنجيل على الثالوث.

المرحلة الأولى: ثبوت النص (الإنجيل)

في المرحلة الأولى: يُحتَمَلُ ثبوت النص بإحدى طريقين:

الطريق الأول: أن يكون عيسى هو كاتب الإنجيل الذي وصلنا. وعيسى عليه‌السلام نبيٌّ معصوم، فيثبت نصُّ ما فيه، أو أن يكون عيسى قد جاء بالإنجيل من عند الله تعالى.

الطريق الثاني: فإن لم يكن عيسى الكاتب، لا بدّ من أن **نعرف الكاتب، ونثبت عصمته**، أو عدم خطئه في النقل، **ونثبت تطابق ما بين أيدينا مع ما كتبه**، فيثبت نصُّ ما فيه.

الطريق الأول: إنجيل عيسى

ويتمّ الاستدلال فيما لو كان الإنجيل قد نزل من الله على عيسى عليه‌السلام، فيكون كتاباً سماوياً تامّ الحجيّة.

أو كان عيسى عليه‌السلام هو كاتب الإنجيل الذي بين أيدينا، ولمّا كان عيسى

عليه السلام معصوماً، فتثبت صحّة ما في الإنجيل.

حيث أن المقصود بالإعلان الإلهيّ هو ما تضمّنه العهد الجديد، أي الإنجيل، لأنّ العهد القديم خالٍ من النصوص الصريحة على الثالوث بحسب علماء النصارى.

وهذا الإنجيلُ منسوبٌ لعيسى عليه السلام، فيكون الإعلان السماويُّ منسوباً إليه عليه السلام، وقد وقع اختلاف كبيرٌ بين المسلمين والنصارى حول صحة نسبة الإنجيل لعيسى عليه السلام.

يقول النصارى أن المسلمين يعتقدون بتحريف الإنجيل، ثم يطرحون إشكالاً مفاده أن **على المسلمين القائلين بالتحريف أن يأتوا بالأدلة على وقوع التحريف**، وتحديد من قام به، ومتى، وأين هي النسخة غير المحرّفة، وما شابه ذلك.

لكن المسلمين ينقلون الكلام إلى **مرحلة أسبق**، فيتساءلون: **هل ثبت أن هذا الإنجيل الذي بين أيدينا هو إنجيل عيسى** عليه السلام؟ هل **كتب عيسى إنجيلاً أو جاء بإنجيل من الله تعالى** بحسب اعتقاد النصارى؟

يعترفُ **النصارى بأن هذا الإنجيل لم ينزل من السماء على عيسى** عليه السلام**، ولم يكتبه هو بنفسه.**

إذاً ليس هناك من إنجيلٍ نزل على عيسى عليه السلام**، ولا كتب عيسى إنجيلاً بنفسه، كلُّ هذا بحسب عقيدة النصارى.**

ومن كلماتهم المُتكثِّرة في ذلك: **المسيح نفسه لم يترك من بعده وثيقة**

مكتوبة[١]. **المسيح عَلّمَ شفوياً ولم يترك أيّ أثرٍ كتابيّ. تلاميذه بشّروا وتركوا لنا العهد الجديد في اللغة اليونانية**[٢]. وفي مقدمة الإنجيل الشريف الطاهر المقدس: النتيجة أن الإنجيل هنا هو كنايةٌ عن الكتاب المؤرِّخ لنا سيرة سيدنا يسوع المسيح وتعاليمه[٣]. وقال القمص إبراهيم لوقا: **المسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة، كما أنّه لم يكتبها، وإنما علّمها شفوياً لتلاميذ مختارين**[٤].

وستأتي نصوص أخرى في ذلك.

ويُطرح ههنا سؤال مفاده: بما أنّ الإنجيل ليس وحياً لعيسى عليه السلام، ولم يكتبه هو عليه السلام، بل **أوحيَ به إلى غيره من بعده، ألا** يتعارض هذا مع إنكار النصارى لنبوّة نبيّ الإسلام محمد صلى الله عليه وآله بحجة أن **ليس بعد المسيح** عليه السلام **من نبيّ ولا وحي؟!**

ورد في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية: **إن الإيمان المسيحيّ لا يستطيع أن يتقبل "وحياً" يدّعي أنه يفوق أو يُصحح الوحي الذي كان المسيح نهايته.** تلك حال بعض **الأديان غير المسيحية،** وكذلك حال بعض البدع الحديثة التي تقوم على مثل هذا "الوحي"[٥].

(١) عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك في كتاب: بين العقل والإيمان ج١ ص١٤٠.
(٢) الشماس اسبيرو جبّور في كتاب: سر التدبير الإلهي التجسد ص١٩.
(٣) مقدمة الإنجيل الشريف الطاهر المقدس ص٢.
(٤) المسيحية في الإسلام ص١٤.
(٥) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٢٧ فقرة٦٧.

وفيه: وقد أوحى الله بنفسه **الوحي الكامل عندما أرسل ابنه الخاص** الذي أقام فيه عهده الى الأبد. **وهو كلمة الآب النهائية، بحيث لا يكون بعده وحيٌ آخر**[١].

فإنهم يرفضون الإسلام ودعوى نبوّة النبي الأكرم محمد ﷺ بحجة أن الوحي قد انتهى بالمسيح عليه السلام.

لكنّهم لما يصل بهم الأمر إلى الكتاب المقدّس، يصبحُ العهد الجديد مقبولاً، وينتقلُ الحكم النهائيّ من الوحي الذي نزل على عيسى إلى كَتَبَة الأناجيل، حيث يلتزمون بأنه: **إذ كان التدبير المسيحيُّ هو العهد الجديد والنهائيّ، فهو غير زائلٍ أبداً، ولن يُرتَقَبَ بعده وحيٌ آخرُ علنيٌّ جديد، إلى أن يتجلى ربُّنا يسوع المسيح في مجده**[٢].

فنقول: كيف ينقطع الوحيُ بعيسى عليه السلام؟ ثم يثبت الوحيُ عند كَتَبَة الأناجيل؟ ثم ينقطعُ مجدّداً فلا تُقبَل دعوى نبي الإسلام ﷺ مع كلّ ما أتاه من معاجز وكرامات وقرائن وشواهد قطعيّة على صحة دينه؟!

إن مقتضى الإنصاف (إن رُدّت دعوى الوحي على رسول الإسلام بهذه الذريعة العامة) أن **تُردّ دعوى الوحي على كَتَبَة الأناجيل**.

أما مع عدم ردّها، **فينبغي أن يبقى البابُ مفتوحاً للبحث في كلّ نبوّةٍ متأخرةٍ عن عيسى** عليه السلام، **كنبوّة سيدنا محمد** ﷺ، أو نبوّة من زَعَمَ أنّه نزل عليه كتابٌ

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٢٧ فقرة٧٣.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ص٢٦-٢٧ فقرة ٦٦، عن الوحي الإلهي - المجمع الفاتيكاني الثاني.

مُتَمِّمٌ للكتاب المقدس كجوزيف سميث، فإن المورمونيين يعتقدون بالكتاب المقدس ويضيفون إليه كتابهم المورمون، ويحتجّون على النصارى الذين يقولون بكفاية الكتاب المقدس بِنَصٍّ يزعمونه سماوياً: **فإن كان لكم كتابٌ فلا تظنّوه منطوياً على جميع كلماتي، ولا تظنوني أحجمتُ عن تصيير غيره إلى الكتابة**[١].

والخلاصة: أنه في المرحلة الأولى لم يثبت أن الإنجيلَ إنجيلُ عيسى عليه السلام حتى باعتقاد النصارى، فلا بدّ مِن تَلَمُّسٍ طريقٍ آخر لإثبات صحّته، كي يصحّ الاعتماد عليه، ويحصل الوثوق به، ونتمكّن من الأخذ عنه.

نعم يعتقد المسلمون أن الله تعالى أنزل إنجيلاً على عيسى عليه السلام، ولا يعتقد النصارى أنّه هو هذا الإنجيل الذي بين أيديهم.

ومما دلّ عندنا على إنزال الله تعالى إنجيلاً على عيسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ **وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ** فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ **عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ**﴾[٣].

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تاريخ هذا النزول أنّه قال: **أَنْزِلَ**

---

(١) سفر نافي الثاني الإصحاح٢٩: ١٠.

(٢) المائدة٤٦.

(٣) المائدة١١٠.

الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ[١]، كما كان حال سائر الكتب السماوية التي نزلت في هذا الشهر المبارك.

الطريق الثاني: عصمة كاتب الإنجيل

إن لم يكن عيسى عليه السلام كاتب الإنجيل الذي يعتقد به النصارى، وهذا الأمرُ محلّ اتفاقٍ بينهم، فإنّنا نحتاج إلى إثبات ثلاث مقدّمات كي تثبت صحته:

أولها: **أن نعرف الكاتب**، وثانيها: **أن نُثبِتَ تَطَابُقَ ما بين أيدينا مع ما كتبه هذا الكاتب**، وثالثها: **أن نُثبت عصمته**.

المقدمة الأولى: أن نعرف كاتب الإنجيل

١. من هم كَتَبَةُ الأناجيل؟

يعتقد النصارى أن الله سبحانه وتعالى هو واضع الكتاب المقدّس، وأنّ ما فيه قد كُتِبَ بإلهامٍ إلهيّ، ففي كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية الذي أمر بنشره البابا يوحنا بولس الثاني بحكم سلطته الرسولية: إن الحقيقة الموحى بها إلهيّاً، التي تحتويها وتُقَدِّمُها أسفار الكتاب المقدس قد **دُوِّنَت فيها بإلهامٍ من الروح القدس**.. والكنيسة أُمّنا المقدسة، من جراء إيمانها الرَّسوليّ، تعدّ جميع الأسفار في كلا العهدين القديم والجديد مقدّسةً وقانونيةً بجميع أجزائها، إذ أنّها **دُونت بإلهامٍ من الروح القدس، وكان الله من ثمَّ واضعها**[٢].

الكتابُ المُقدَّس إذاً دُوِّنَ بإلهامٍ من الله تعالى، لكن من هم المدوّنون؟ ما من

(١) الكافي ج٢ ص٦٢٩.

(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية فقرة١٠٥.

قائلٍ عند النصارى بأنّ عيسى عليه السلام هو الذي دوّنه، فإن كَتَبَةَ الأناجيل الأربعة هم: متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، وأما سائر الإصحاحات ففيها (أعمال الرسل) للوقا، تليها ١٤ رسالة لبولس، وعدة رسائل ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا، ورؤيا ليوحنا.

يقول المطران جرمانوس الحلبي الماروني في مقدمة الإنجيل الشريف الطاهر المقدس: **المصنِّفُ الأوّل للإنجيل هو الروح القدس، وأما الانجيليون الأربعة.. فهم بمنزلة آلةٍ وقلمٍ كاتب**(١).

ويقول القمص إبراهيم لوقا: فإذا قلنا إنّ الأسفار المقدّسة في العهدين القديم والجديد **هي كلام الله، أو أسفارٌ إلهيةٌ موحى بها من الله**، أو منزّلة من عند الله، **لا نريد بذلك أنّ الله أنزلها آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً**، فكتبها الكاتب كما سمعها من فم الله أو ملائكته بحروفها الأصلية. لكننا نريد أنّ الله عزّ وجلّ إذا قصد بسموّ لطفه وحكمته أن يُبَلِّغَ البشر شيئاً من أسراره حرّك باطنياً كاتباً يختاره، فيبعثه على كتابة السفر المقصود، ثم يمدُّه بتأييده الخاص ونعمته الممتازة، **ويلهمه** اختيار الحوادث والظروف والأعمال والأقوال التي شاء سبحانه كتابتها لفائدة عباده، وكان له رقيباً ومرشداً، وعَصَمَهُ من الخطأ في نقلِها وتسطيرها، فلا ينقل إلا ما ألهمه الله إيّاه، فيكون الرسول إذ ذاك ككاتبٍ مطيع، في حوزة الكاتب الأسمى، وطوع إرادته(٢).

وفي مقدمة إنجيل متّى بقلم وليم ماكدونالد: **الروح القدس هو المؤلَّف**

---

(١) مقدمة الإنجيل الشريف الطاهر المقدس ص٣.

(٢) المسيحية في الإسلام ص١٣.

الإلهيّ للعهد الجديد. فقد أوحى بالكتابة لكلٍّ من متّى ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس ويعقوب وبطرس ويهوذا وكاتب الرسالة إلى العبرانيِّين.. ولقد حفظ العنصرُ الإلهيُّ العنصرَ البشريَّ من ارتكاب الأخطاء. وكانت النتيجةُ كتاباً معصوماً عن الخطإ في النصوص الأصليّة.

وقد سمى ماكدونالد كُتّاب الأصحاحات المختلفة، لكنه أشار إلى (**كاتب الرسالة إلى العبرانيِّين**)، وما ذلك إلا لوقوع خلافٍ كبيرٍ جداً في تحديد كاتب هذا السفر، فيقول في مقدمته له: يبقى **مؤلف هذه الرسالة مجهول الهوية**، مع أن بعض الطبعات القديمة للكتاب المقدس، أوردت اسم بولس كجزءٍ من عنوان السفر. والكنيسة الشرقية، في بداية عهدها، (ديونيسيوس وأكليمندس) رأت أن بولس هو الكاتب. وبعد **قدرٍ كبيرٍ من التشكيك في هذا الرأي**، بات الرأي الذي يستبعِدُ أن يكون بولس كاتب الرسالة هو السائد.. قلّةٌ قليلةٌ فقط في أيامنا هذه يعتبرون أن بولس هو الكاتب.. لقد رأى الرب، في حكمته، **الإبقاء على هويّة الكاتب مجهولةً**.. كلمات أوريجانوس تبقى أفضل ما قيل: "أما **من كتب الرسالة، فالله وحده يعرف ذلك بالتأكيد**"[١].

فالرسالةُ إذاً **مجهولة الكاتب**، رغم ذلك يُعتقد بأنها **وحيٌ من السماء!** أما كيف ثبت كونها وحياً من السماء، فهذا ما نناقشه في الأبواب القادمة.

يقول الدكتور هنري أ. أيرونسايد: لقد كانت تُنسب مرة إلى أبولّس ومرة إلى برنابا، بل وأحياناً إلى بريسكيلا، زوجة أكيلا[٢].

---

(١) كما يذكر وليم ماكدونالد في مقدمته على الرسالة الى العبرانيين.

(٢) كما يذكر هنري أ. أيرونسايد في مقدمة الرسالة الى العبرانيين.

ولو وسّعنا البحث إلى أسفار الكتاب المقدس بعهديه ليتبيّن لنا كما ورد في مقدمة الترجمة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدس أن: أسفار الكتاب المقدّس هي عمل مؤلِّفين ومحرِّرين عُرِفوا بأنّهم لسان حال الله في وسط شعبهم. **ظلّ عددٌ كبيرٌ منهم مجهولاً**[١].

إنجيل متى

يُقال أنّ كاتبه هو (متّى العشار) المدعوّ (لاوي)، وهو **أحد الرسل الإثني عشر**.

ولكن لا يظهر أن هناك دليلاً على هذا القول، رغم ذلك رجّح النصارى أن يكون هو الكاتب، ففي دائرة المعارف الكتابية المسيحية: **لا يُعْقَل أنّ إنجيلًا خطيراً كهذا هو في مقدمة الأناجيل يُنْسَب إلى شخصٍ مجهول**، وبالأحرى لأن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح. **ويذكر بابياس في القرن الثاني الميلادي أن متّى قد جمع أقوال المسيح**[٢].

وقد ورد في مقدمة الإنجيل بالترجمة اليسوعية: أما المؤّلف فالإنجيل لا يذكر عنه شيئاً، وأقدم **تقليدٍ كنسيٍّ**.. في النصف الأول من القرن الثاني **ينسبه إلى الرسول متّى**.. لمّا كنا **لا نعرف اسم المؤلّف معرفةً دقيقة**، يحسُنُ بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الانجيل نفسه[٣].

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة ص٣٠.

(٢) قاموس الكتاب المقدّس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية: شرح كلمة إنجيل متى.

(٣) الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى إنجيل متى ص٣٥.

إنجيل مرقس

كتبه يوحنا مرقس: **لم يكن مرقس واحداً من التلاميذ الإثني عشر**[١].

لا يدّعي أحدٌ بأنّه كان شاهد عيانٍ لخدمة المسيح[٢]، كان ابن مريم التي من أورشليم[٣]، وكان إنجيله أقصر الأناجيل، ونحو تسعين في المئة من محتوياته في إنجيل متّى وإنجيل لوقا أو في كليهما معاً[٤].

يقول القس ديفيد كوزيك: **تقول تقاليد الكنيسة إن بطرس الرسول هو المصدر الرئيسي للمعلومات في إنجيل مرقس. فيمكنك اعتبار أن إنجيل مرقس هو "الإنجيل بحسب بطرس"**[٥].

ينكِرُ هذا الأمر هلال أمين في مقدّمته للإنجيل فيقول: يعتقد البعض أن هذا الإنجيل من إملاء الرسول بطرس للبشير مرقس، ولا شك أن **هذا الرأي خطأ**، لأن الأناجيل الأربعة مثل كل أسطر الكتاب من إملاء الروح القدس. "تكلّم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس"[٦].

إنجيل لوقا

إن لوقا، وهو في أصله انطاكيٌّ، ومن حيث الحرفة طبيبٌ، كان **رفيقاً لبولس**

(١) كما ذكر القس ديفيد كوزيد في مقدمة إنجيل مرقس.

(٢) كما ذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل متى.

(٣) كما ذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل مرقس.

(٤) كما ذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل مرقس.

(٥) في مقدمته لإنجيل مرقس كما في موقعه: *enduringword.com*.

(٦) كما ذكر هلال أمين في مقدمة إنجيل مرقس.

مدّة طويلة(١).

يُرَجِّحُ علماء النصارى أن يكون لوقا هو كاتب هذا الإنجيل، وذلك من جهة كونه الأنسب لمثل هذه الكتابة**!**

يقول ماكدونالد: ولئن حاول الدارس القول بغير لوقا، فلا يمكنه أن يُنكِر أن **لوقا هو الأنسب في هذه الحقبات جميعها**(٢).

إنجيل يوحنا

يقول ماكدونالد: **ظلّت مسألة تحديد شخصية كاتب الإنجيل الرابع، موضوع جدل واسع النطاق،** خلال فترة المئة والخمسين سنة الماضية.. **لا يُذكَر في هذا الإنجيل صراحةً أنَّ يوحنا هو كاتبه،** إلاّ أن هناك العديد من الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد أنّ الرسول يوحنا، وهو واحدٌ من الاثني عشر، هو الذي كتبه فعلاً.. كان ثيوفيلوس الأنطاكي *Theophilos of Antioch* هو أوّل كاتبٍ معروفٍ ذكر بالتحديد أن يوحنا هو الكاتب (نحو عام ١٧٠م)(٣).

يقول هلال أمين: يوجد معترضون على أنّ الرسول يوحنا هو كاتبُ هذا الإنجيل، ولكن التقليد وكُتّاب التاريخ يؤكدون هذه الحقيقة، وكان هناك شخصٌ محبّبٌ للرسول يوحنا اسمه "بوليكارب" الذي عاش إلى سنة ١٥٥م وذكر في كتاباته أنّ الرسول يوحنا هو الكاتب، وكان هناك شخصٌ تلميذٌ

(١) كما ذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل لوقا.

(٢) كما ذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل لوقا.

(٣) كما ذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل يوحنا.

لبوليكارب وهو "ايريناوس" الذي عاش إلى بداية القرن الثالث الميلادي، وهو أيضاً شهد في كتاباته أنّ الرسول يوحنا هو الكاتب[١].

ما اعتُمِدَ عليه إذاً في كون يوحنا هو الكاتب لهذا الإنجيل يرجع إلى ما يقرب من قرنٍ أو يزيد على تاريخ كتابة الإنجيل نفسه! **مما يحتمل فيه أن يكون نقلاً عن حدسٍ لا عن حسّ.**

وفي مدخل إنجيل يوحنا من الترجمة اليسوعية الجديدة: من الراجح أن الانجيل كما هو بين أيدينا أصدره **بعض تلاميذ المؤلِّف، فأضافوا عليه الفصل ٢١، ولا شكّ أنهم أضافوا أيضاً بعضَ التعليق** مثل.. أما رواية المرأة الزانية.. فهناك **إجماعٌ على أنّها من مرجِعٍ مجهولٍ فأُدخِلَت في زمنٍ لاحق، وهي مع ذلك جزءٌ من قانون الكتاب المقدس!**[٢].

والخلاصة أن كَتَبَة بعض الأناجيل والأسفار مجهولون، أو مختلفٌ فيهم، فلا يُعلَمُ على وجه اليقين من هم كتّاب العهد الجديد بأكمله، وأنّ بعض ما أُدخلَ على هذا الكتاب عُدَّ جزءً منه وإن لم يُعرَف كاتبه أيضاً!

٢. متى كُتب الإنجيل؟

بحسب وليم ماكدونالد في مقدمة إنجيل متى: **استغرقت كتابه العهد الجديد نصف قرن فقط (٥٠ – ١٠٠م).**

ويقول: وأوّل أسفارٍ تّمت كتابتها هي "الرسائل إلى الكنائس الفتيّة" كما

(١) كما ذكر هلال أمين في مقدمة إنجيل يوحنا.

(٢) الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى إنجيل يوحنا ص٢٨٦.

يدعوها فيليبس *Philips*، فرسائل يعقوب وغلاطية وتسالونيكي هي على الأرجح أوّل ما كُتِب، وذلك قرابة منتصف القرن الأوّل المسيحي. تأتي بعدها الأناجيل من حيث ترتيب الكتابة؛ **فأوّلُ إنجيلٍ كُتِبَ هو إمّا متى وإمّا مرقس، ثمّ يأتي لوقا، وأخيراً يوحنّا**. وفي النهاية تأتي كتابة سفر الرؤيا، في أواخر القرن الأول الميلاديّ على الأرجح.

ويقول: ليس مثبتاً بأنّ مرقس كُتب أولاً. فالشهادة القديمة تقول بأنّ متّى كُتب أولاً.

بحسب ماكدونالد إذاً، فإن الرسائل إلى الكنائس الفتية هي أول ما كُتب، وهذه الرسائل قد كتبها بولس، فكان **بولس هو أوّلُ من كتب شيئاً من العهد الجديد**، وسيأتيك حال بولس في الأبواب القادمة.

إنجيل متى

يعتقد كثيرٌ من علماء النصارى أنّه تمّت كتابته بين سنة ٨٠ و٩٠، مع إمكانيّة أن يكون قد كتب بين سنة ٧٠ إلى ١١٠م.

إنجيل مرقس

يرجّح بعضهم أن يكون مرقس قد كتب إنجيله في بداية خمسينيّات القرن الأول، لكنّ الأرجح هو أن تكون الكتابة قد حصلت ما بين السنتين ٥٧، ٦٠م[١]. وينقل ماكدونالد اعتقاد بعضهم بأنه كتب بعد ٦٨م.

---

(١) كما يذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل مرقس.

فيما يرجح القس أنطونيوس فهمي أنه كُتِبَ: ما بين سنة ٦٠ - ٦٥ ميلادية[١]. وورد في مقدمة الكتاب المقدس بحسب الترجمة اليسوعية الجديدة أنه كتب في السنين ٦٥ الى ٧٠م[٢].

إنجيل لوقا

يقول ماكدونالد: من المرجَّح كثيراً أن يكون إنجيل لوقا قد كُتِبَ في أوائل العقد السادس من القرن الأول. بيد أنّ بعضاً من المؤرّخين يزعمون أن كتابة هذا السِفر قد تمّت بين سنة ٧٥م وسنة ٨٥م، وربما في القرن الثاني.

ثم يرجح أن يكون: تاريخ الكتابة قد تّم على الأرجح بين السنتين ٦١ و٦٢ م[٣].

إنجيل يوحنا

يقول ماكدونالد: رغم عدم إمكانيّة تحديد تاريخٍ معيّن لكتابة إنجيل يوحنا، تبقى الفترة الممتدة بين عامي ٨٥، ٩٥م هي الاحتمال الأكثر ترجيحاً[٤].

وقد ورد في مقدمة الإنجيل بالترجمة اليسوعية: **والكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الانجيل الأول بين السنة ٨٠ والسنة ٩٠.. ولا يمكن الوصول إلى يقينٍ تامٍ**

---

(١) مقدمته لإنجيل متى.

(٢) الكتاب المقدّس - الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى العهد الجديد ص٢٧.

(٣) كما يذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل لوقا.

(٤) كما يذكر وليم ماكدونالد في مقدمته لإنجيل يوحنا.

في هذا الأمر[١].

تسلسل كتابتها

يقول القس ديفيد كوزيد: اتّفق معظم المفسرين على أنّ إنجيل مرقس كان أوّل إنجيلٍ كُتِب، رغم أن البعض يعتقد أن إنجيل متى ربما كتب أولاً[٢].

يقول جيمس د.طابور: ويعود تاريخ متّى بالعادة الى ثمانينات القرن الأول للميلاد، ولوقا الى التسعينات، ويوحنا الى نهاية القرن الميلادي الأول[٣].. أناجيل متى ولوقا ويوحنا قد كُتِبَت فيما بين أربعين إلى سبعين عاماً بعد موت يسوع، من قِبَل كُتّابٍ لم يكونوا بالأصل شهوداً[٤].

يقول بيرتون ل. ماك: **كُتِبَ إنجيل مرقس في السبعينات، وإنجيل متى في الثمانينات، وإنجيل يوحنا في التسعينات، وأعمال لوقا في مطلع القرن الثاني**[٥].

يقول إينوك باول: من الممكن البرهنة بالدليل القاطع بأن إنجيل متى بشكله الحاضر الذي نراه بين أيدينا اليوم قد تم استخدامه من قِبَل واضعي الإنجيلين الآخرين، مرقس ولوقا[٦].

---

(١) الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى إنجيل متى ص٣٥.

(٢) كما ذكره القس ديفيد كوزيد في مقدمة إنجيل مرقس.

(٣) سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة ص٢٧٨.

(٤) سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة ص٢٧٩.

(٥) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٦.

(٦) تطور الإنجيل ص٤٩.

لغة كتابته

وينسحب الخلاف في تاريخ كتابة الإنجيل إلى خلافٍ على لغة كتابته الأصليّة، يقول هنري أ. أيرونسايد حول إنجيل متى: **لا نجد طريقة نعرفُ بها متى كُتِبَ هذا الإنجيل بالضبط**، أو حتى فيما إذا كان (كما يفترض البعض) قد **ظهر أولاً باللغة العبريّة، أو كان قد كُتِب أصلاً باليونانية** كما وصل إلينا[(١)].

وفي دائرة المعارف الكتابية المسيحية: واختلف القول بخصوص لغة هذا الإنجيل الأصلية فذهب بعضهم إلى أنّه كُتِبَ أولاً **في العبرانية أو الأرامية** التي كانت لغة فلسطين في تلك الأيام.. وذهب آخرون إلى أنه **كتب في اليونانية** كما هو الآن[(٢)].

والنتيجة أن بعض كُتّاب الأناجيل معروفون، وبعضهم غير معروف لدينا، وتاريخ كتابة الأناجيل غير معروفٍ أيضاً بشكلٍ دقيق كَكُتّابها، وتَسَلسُلُ كتابتها غير معروف كذلك، ومعظم ما يقال حول هذه الأمور هو ظنونٌ واحتمالات.

المقدمة الثانية: أن نثبت كونه كاتب ما بين أيدينا

نسخ الانجيل

فضلاً عن الاختلاف المتقدم في كَتَبَة الأناجيل، وفي تاريخ كتابتها، ولغة كتابة بعضها، **نتساءل: هل وصلت إلينا النسخ الأصلية لتلك الأناجيل؟ أو النسخ المتطابقة معها؟ أم أن ما وصلنا هو نسخٌ تختلف عن النسخ الأصلية؟**

---

(١) كما يذكر هنري أ. أيرونسايد في مقدمة إنجيل متى.

(٢) قاموس الكتاب المقدس: دائرة المعارف الكتابية المسيحية: شرح كلمة إنجيل متى.

إنّ أقدم النسخ الواصلة إلينا بحسب علماء النصارى **تبعد عشرات السنين عن تاريخ كتابة هذه النسخ على أقل التقادير**، يقول القسّ منسَّى يوحنا: يدَّعي بعضهم أنَّ العهد الجديد حُرِّف أو بُدِّل، وهو قولٌ لا يُعتبر ذا قيمةٍ إلا إذا أتى صاحبه بالنُّسخة الأصليّة التي يعتقد أنَّها أصحّ ممّا عندنا. ولكن **نحن عندنا نُسخاً مخطوطة أقدمها يرجع إلى سنة ٢٠٠م**، وهي والنُّسخ المُتداولة مُتطابقة تماماً[١].

وينقل الشماس الإكليريكي د. سامح حلمي أنّ أهم مخطوطات العهد القديم التي وصلت هي مخطوطات (البحر الميت ١٠٠ الى ٢٥٠ ق.م) والترجمة السبعينية[٢].

أما العهد الجديد، فيتحدث حلمي عن: مخطوطة جون رايلاند: اكتشفت في صحراء الفيوم بمصر سنة ١٩٣٥م، **ويؤرخها العلماء إلى ١٢٥ م**، وهي محفوظةٌ الآن.. بإنجلترا، وهي تعدّ **أقدم شاهدٍ للعهد الجديد، وتحتوي على أجزاء من إنجيل يوحنا**[٣]، ثم يذكر مخطوطات أخرى يرجع أقدمها إلى ١٥٠ م وما بعده.

فليس هناك من نسخةٍ كاملةٍ تعود للقرن الأول، ولا للنِّصفِ الأوّل من القرن الثاني، ولو كانت الأناجيل على أفضل التقادير قد كُتِبَت في منتصف القرن الأول، فإن **النسخ الموجودة على أحسن التقادير تبعد قرناً عن تاريخ كتابة الإنجيل. ونصف قرنٍ أو أكثر عما كُتِبَ مؤخراً من الأناجيل.**

---

(١) شمس البِر ص٧١.

(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص١٤.

(٣) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص١٥.

يؤكد هذا أيضاً القسّ ديفيد كوزيد في مقدمة إنجيل يوحنا: من أقدم المخطوطات للعهد الجديد التي تم العثور عليها في مصر كانت **جزءً من الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا** والذي يعود تاريخه إلى ما قبل العام ١٥٠م.

والنتيجة، أن النسخ الأصلية للأناجيل المعروفة قد فُقِدَت، يعترف بذلك جون كلايد تارنر فيقول: **فُقِدَت المخطوطات الأصليّة، وكل ما هو بين أيدينا اليوم نسخٌ عن النسخ الأصليّة المكتوبة باليد، وكتابُنا المتداول اليوم هو ترجمةٌ لهذه النسخة القديمة**[1].

ويوافقه ما في مدخل إنجيل متّى من الترجمة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدس: **ليس في هذه المخطوطات كتابٌ واحدٌ بخطّ المؤلِّف نفسه**، بل هي كلّها نسخٌ أو نسخُ النسخ للكتب التي خطّتها يد المؤلف نفسه، أو أملاها إملاءً. **ليس لدينا على البردي سوى أجزاءٍ من العهد الجديد بعضها صغير**. وأقدم الكتب الخط التي تحتوي معظم العهد الجديد أو نصّه الكامل، **كتابان مقدّسان على الرق يعودان إلى القرن الرابع**. وأجلّهما (المجلّد الفاتيكاني)، سمي كذلك لأنه محفوظٌ في مكتبة الفاتيكان، وهذا المخطوط **مجهول المصدر، وقد أصيب بأضرارٍ** لسوء الحظ.. والعهد الجديد كاملٌ في الكتاب الخط الذي يقال له (المجلد السينائي).. لا بل أضيف إلى العهد الجديد الرسالة الى برنابا و[2]..

والخلاصة أنّه **لا توجد نسخٌ خطيّة كاملةٌ للإنجيل لتقارَنَ بها النسخ الحالية،**

---

(١) هذه عقائدنا ص٥.

(٢) الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى إنجيل متى ص٩.

فلم يثبت بطريقٍ معتبرٍ أنّ ما بين أيدينا هو نفسُه نسخ الإنجيل التي قيل أنّها كُتِبَت بعد عشرات السنوات من رفع عيسى عليه السلام بحسب قولنا وقتله بحسب قول النصارى.

هل كان للمسيح كتاب أقوال؟

ينفي علماء النصارى أن يكون لعيسى عليه السلام أيّ كتاب متقدم على الأناجيل المعروفة، أو أن يكون قد ترك أيَّ أثر مكتوب، وإنما أثره هو ما كتبه هؤلاء التلاميذ وسواهم وحكمت عليه الكنيسة بالعِصمَة وأقرّته.

لكن لِكَثيرٍ من العلماء والباحثين رأيٌ مغاير، حيث يلتزمون بأن هناك **إنجيلاً مفقوداً**، كتبه أتباعُ عيسى الأوائل ونقلوا فيه أقوال عيسى عليه السلام فقط، وأسموه **إنجيل الأقوال**، يقول بيرتون ل. ماك: **كتب أتباعُ يسوع الأوائل كتاباً.. يضم تعاليمه فقط بدلاً من أن يروي قصة دراميّة حول حياة يسوع.. كان.. إنجيلاً لأقوال يسوع: أي إنجيل أقوال**[1].

ويقول: حتى بعد أن أصبحت الأناجيل السرديّة سائدة، **كان إنجيل الأقوال ما يزال مُعتَمداً، وما يزال يُنسَخُ ويُقرأ باهتمامٍ في حلقاتٍ كانت تزداد اتساعاً**.. لكن ما لبثت الأناجيل السرديّة أن أصبحت هي السائدة بصفتها التصوير المفضّل لدى المسيحيين. **وفُقِدَ إنجيل الأقوال من الذاكرة التاريخيّة للكنيسة المسيحية**[2].

(١) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٦.

(٢) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٧.

ويزيد الأمر تشويقاً بقوله: لقد كان لدى متّى ولوقا نسخةٌ من إنجيل الأقوال[١].. أسمى العلماء هذه الوثيقة *Q* ك، اختصاراً لكلمة *Quelle* الألمانية التي تعني (مصدر) لأنّهم اعتبروها في البداية المصدر المشترك للأقوال في إنجيلي متى ولوقا[٢].

إلى هنا يبقى الأمر مجرّد تحليل، لكنه يقول: **عُثِرَ على نموذجٍ آخر من هذا الجنس الأدبيّ هو إنجيل الأقوال المعروف باسم انجيل توما**[٣].

ثم يتحدث عن هذا الاكتشاف: اكتشاف **مخطوطةٍ مذهلةٍ في عام ١٩٤٥**.. من بين النصوص الغنّوصية القبطية المكتشفة في نجع حمادي **كانت مجموعة أقوال يسوع المسماة الإنجيل وفقاً لتوما** (انظر الترجمة الانجليزية الحديثة لمارفن ماير ١٩٩٢). لقد بدا تخيُّل إنجيل توما شديد الشبه ب (ك) وما يقارب من ٣٥٪ من الأقوال في إنجيل توما لها مثيلها في (ك)[٤].

ويقول: لقد استخدم كل من مرقس ومتى ولوقا نسخة من (ك) بشكل مستقلٍّ كل منهم عن الآخر، واستخدم كل منهم (ك) من منظور مختلف تماماً، لذلك **كان (ك) ما يزال متداولاً كوثيقةٍ في نهاية القرن الأول**[٥].

ويقول: استمر الناس في قراءة (ك) إلى جانب إنجيل مرقس حتى نهاية

(١) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٨.
(٢) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٨.
(٣) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٢٠.
(٤) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٤١.
(٥) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص١٩٢.

القرن الأول تقريباً، وكما يبدو فقد حظي (ك) بقرّاء كثيرين وفي أوساطٍ متنوعة كما يشهد على ذلك إنجيلا متى ولوقا، وعندما وجد كل من متى ولوقا سبيلاً لتضمين (ك) في نسختيهما الموسعتين لإنجيل مرقس، كان (ك) قد فقد بعضاً من جاذبيّته كوثيقةٍ منفصلة[١].

فيما يقول إينوك باول: سيكشف لنا إنجيل متّى النقاب عن **أن هناك متناً أوليّاً سابقا له،** قد تم تحويره بشكلٍ فادح، لغايةٍ هي إما لاهوتية أو جدلية، وبأنّ النص الناتج عن ذلك قد تم توليفه مع المتن الأوليّ فيما بعد.. هذا فضلاً عن أن المتن الأوليّ نفسه كان نتاجاً لعمليةٍ سابقةٍ تضمّنت عدة مراحل من الإضافات الجوهرية[٢].

ليخلص إلى أنّه: **قد جرت عملية طمسٍ شاملة لبطرس**.. إن الأسبقيّة التي أُسبغت على بطرس من قِبَل يسوع.. قد **جرت محاولةٌ واضحةٌ لإبطالها،** مما يُثبِتُ في حدّ ذاته بأنّ المتن الأصليّ السابق للإنجيل كان يحمل تفضيلاً ضمنياً لصالح بطرس. ولذا فلا يكون من المبالغة أن نُطلِقَ على متن هذا الكتاب المذكور عنواناً فرعياً هو (الإنجيل حسب بطرس)[٣].

المقدمة الثالثة: أن نثبت كونه معصوماً

مطالبة المُدَّعي بالدليل من أوضح الواضحات التي لا يختلف عليها العقلاء، لذا **جرت سيرة الأنبياء على إبراز المعاجز دليلاً على دعواهم النبوة،** ولَزِمَ

(١) الإنجيل المفقود كتاب ك والأصول المسيحية ص٢٥١.

(٢) تطور الإنجيل ص٤٩.

(٣) تطور الإنجيل ص٦٨.

اتّصافُ الأنبياء **بالعصمة وصفات الكمال** لأنّ ذلك أدعى في تصديق الناس لهم، إذ كيف يُصَدَّق الكذوب أو عديم الإيمان أو مَن يتّبع الشيطان في سلوكه، أو من ينحرف ويشذُّ في تفكيره؟!

لا يختلف معنا في ذلك علماء النصارى، يقول الاسقف بولس البوشي: **يجب على رُسُل الله أن تكون على يدهم علامةُ المَلِك سيِّدهم، الذي أرسلهم.. ولذا لمّا أرسل الله رسله الأطهار التامِّين، أعطاهم العلامة التي له شاهدة لرسالتهم، وهي الآيات التي يصنعونها باسمه القدّوس**[1].

وهذا أمرٌ عقلائي، ولذا لا بدّ للرسول من معجزٍ يكون فيه كفايةٌ لتصديق قوله وقبول أمره، وعذرٌ عند متّبعه أمام الله سبحانه وتعالى.

وقد يُستَدَلُّ على إثبات العصمة لِكُتّاب الأناجيل بأدلّةٍ منها:

الدليل الأوّل: نصُّ الإنجيل على الوحي

قد يُستدلُّ على أن الإنجيل وحيٌ من السماء بدلالة الإنجيل نفسه على ذلك، **وكلُّ وحيٍ يكون معصوماً، فيكون الإنجيلُ معصوماً عن الخطأ.**

ففي رسائل بولس: وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ **الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ**، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. **بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ المَسِيحِ**[2].

وكذا ذهب يوحنا إلى أن ما أتى به كان مرسَلاً بيد ملاك الله له: إِعْلاَنُ يَسُوعَ

(١) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص٢٤٥.

(٢) غلاطية١: ١١-١٢.

المَسِيحِ، الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ الله، لِيُرِيَ عَبِيدَهُ مَا لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ قَرِيبٍ، **وَبَيَّنَهُ مُرْسِلاً بِيَدِ مَلاَكِهِ لِعَبْدِهِ يُوحَنَّا**[١].

ومثله ما في رسائل بطرس: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ **تَكَلَّمَ أُنَاسُ الله القِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ**[٢].

وتُعَمَّمُ القضيّة إلى سائر الأسفار بحسب النص التالي: **كُلُّ الكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ الله**، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ[٣].

قال جون كلايد تارنر: **أدلة الوحي**: ١. **ادّعاء مدوّني الكتاب المقدس أن الذين دوّنوا الكتاب يدّعون بأنهم كانوا ينطقون بلسان الله أو أن الله كان يتكلم بهم**[٤].

قال القس بسام مدني: نحن نصل إلى النتيجة بأن الكتاب هو خال من الأخطاء: .. **بسبب الشهادة التي يشهدها الكتاب عن أهليّته التامّة للثقة**[٥].

ويلاحظ عليه:

أولاً: أن هذا استدلالٌ بالمُدَّعى، فنحن لا نعلم صحة الإنجيل كي نستدلّ بالإنجيل، فيكون من **باب الاستدلال بالشيء على نفسه، وهذا ممتنع وباطل.**

---

(١) رؤيا يوحنا١: ١.

(٢) بطرس الثانية١: ٢٠و٢١.

(٣) تيموثاوس الثانية٣: ١٦.

(٤) هذه عقائدنا ص٧.

(٥) وحي الكتاب المقدس ص١٩.

بعبارة أخرى: أنه يجب أولاً إثباتُ كونه وحياً كي يصير حجّة، وبعد أن يصير حجة يمكن الاستدلال به، أما الاستدلال على كونه وحياً به نفسه فهو متوقف على ثبوت حجّيته في مرحلة سابقة.

ثانياً: أنّه على فرض تمامية هذا الاستدلال، يلزم منه الإقرار بسائر الأناجيل التي ادّعى أصحابها الوحي ولم تقبل الكنيسة منهم ذلك، ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد في إنجيل نيقوديموس (انجيل الآلام الثاني)، حيث قال: **تلك هي أسرارٌ إلهيةٌ ومقدّسة رأيناها وسمعناها،** أنا كارينوس وأنا لوسيوس، ليس مسموحاً لنا بالمتابعة ورواية أسرار الله الأخرى، **كما قال لنا رئيس الملائكة ميخائيل**[1].

فكاتب هذا الإنجيل يزعم رؤيته للأسرار الإلهية، ومخاطبته لزعيم الملائكة ميخائيل، وأنّه مؤتَمِرٌ بأمره مُنتَهٍ بنهيه، فيلزم التصديق بهذا الإنجيل وسائر الأناجيل التي تعتبرها الكنيسة منحولة.

بل يلزم التصديق بكلّ من ادّعى الوحي كجوزيف سميث الذي ادعى النبوّة، وينبغي حينها الحكم بصحة **عقيدة الطائفة المورمونية**، فإنهم يقولون أن كتاب مورمون: **كُتِبَ لليهود والأُمَمِ بالأمر، وأيضاً بروح النبوّة والرؤيا**[2].. وأنّه:

(١) الأناجيل المنحولة ص١٦٨، على أن وصف جملة من الكتب بالمنحولة لا يعني سقوطها بالكامل، فـ(إن من الكتابات المنحولة ما ينطوي على عناصر لاهوتية وروحية تقوية جديرة بالثقة.. بيد أنها لم تجد محلا لها في مجموع الأسفار المقدسة القانونية)، يراجع: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص٣٦-٣٧.

(٢) كتاب مورمون ص٣.

سِفرٌ مقدّس مثل الكتاب المقدس. وأنّه قد: **كتب الكتاب أنبياءٌ قُدَمَاء كثيرون عن طريق النبوّة والرؤيا.. ثم اختصر تلك الكلمات النبي مورمون**[١].

ثالثاً: أنّ الدليل أخصُّ من المُدّعى، فما في رسائل بولس لغلاطية ورسالة بطرس ورؤيا يوحنا هو دعوى الوحي إلى هؤلاء بالخصوص، فلا تشمل سائر كُتّاب الإنجيل.

رابعاً: أن تعميم الدعوى إلى سائر الكتب غير مُتعقّل، لأن رسالة بولس إلى تيموثاوس التي تتضمن كون كلّ الكتاب موحىً به، قد كُتِبَت على الأرجح قبل عام ٦٨م، الذي يُقال أنّ بولس قُتِلَ فيه، وحينها لم تكن الأناجيل قد كُتِبَت أو عُرِفَت حتى يُحكَمَ بصحتها من هذا النص.

لا يقال: نصُّه يشملها ولو لم تكن قد كُتِبَت بعد، لأنه يتحدّث عن عنوان الأناجيل لا عن مصاديقها وأفرادها، فهو يثبت العنوان الحقيقي لا الخارجي، وكلّما كان مصداقاً لهذا العنوان ثبتَ صحّته.

لأنا نقول: أن النصّ لو كان عاماً فهو لا يُثبِتُ موضوعه، وقد وقع الاختلاف بين النصارى في صحة وعدم صحة عشرات الأناجيل، فإن كان هذا النص يثبت صحة كل الأناجيل التي يُدّعى وحيانيّتها، فهو خلاف ما يذهب إليه النصارى من كون بعضها مكذوباً، وإن كان يُثبِتُ بعضها فما يدرينا أن إنجيل يوحنا مثلاً الذي كُتِبَ أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني مما يشمله هذا النص؟

(١) كتاب مورمون ص٥.

فيكون النصُّ فاقداً لأيِّ دلالةٍ على شمول الوحي لكافّة الأناجيل المعتَمَدة، هذا على فرض اعتباره كما تقدم.

الدليل الثاني: نصُّ الإنجيل على رسالتهم

قد يُستدلُّ على صحة الأناجيل بأن الإنجيل نفسه قد نصّ على أن الكُتّابَ هم رُسُل المسيح، ورُسُل المسيح معصومون، فتثبُت صحّة الكتاب المقدّس.

ورد في رسائل بطرس: **بُطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ المَسِيحِ، إِلَى الْمُتَغَرِّبِينَ** مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ، الْمُخْتَارِينَ[١].

وفي رسائل بولس: **بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ المَسِيحِ بِمَشِيئَةِ الله**، وَتِيمُوثَاوُسُ الأَخُ[٢].

ويذكر الإنجيل أنبياء بعد المسيح في عهد التلاميذ، فيقول: وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ انْحَدَرَ أَنْبِيَاءُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ. وَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ أَغَابُوسُ[٣].

وفيه: **وَكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الكَنِيسَةِ هُنَاكَ أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ: بَرْنَابَا، وَسِمْعَانُ** الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ، وَلُوكِيُوسُ القَيْرَوَانِيُّ، وَمَنَايِنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ، **وَشَاوُلُ**[٤].

وفيه: وَيَهُوذَا وَسِيلاَ، إِذْ كَانَا هُمَا أَيْضًا نَبِيَّيْنِ[٥].

---

(١) بطرس الأولى١ : ١.

(٢) كولوسي١ : ١.

(٣) أعمال الرسل١١ : ٢٧و٢٨.

(٤) أعمال الرسل١٣ : ١، وشاول هو بولس.

(٥) أعمال الرسل١٥ : ٣٢.

وُيلاحظ عليه نفس ما لوحظ على الدليل الأول، من أنّه **استدلالٌ بكلماتهم أنفسهم، من الإنجيل نفسه**، والحال أن **الباحث لم يثبت عنده صدق الإنجيل بعد،** ولا ثبت عنده صدقهم ولا عصمتهم بعد، فيكون **استدلالاً بالمدّعى**، ويكون أخصّ من المدعى لاختصاصه بهذين الرسولين، فلا يشمل سائر كتّاب الإنجيل.

نعم قد يجاب بأن البقية أيضاً كانوا رسلاً، كما يقول: هلال أمين في مقدمة إنجيل مرقس: كان متّى ويوحنا رسولين، ولكن لوقا ومرقس من الأنبياء.

لكن هذا القول **مجرّد دعوى لم يقم عليها دليل.**

الدليل الثالث: أنّهم من التلاميذ أو من الأتقياء

قد يستدلُّ على عصمة كُتّاب الإنجيل بأنّهم من تلامذة المسيح، أو من تلامذة تلاميذه، وقد نصّ الإنجيل على عصمة التلاميذ، لقول عيسى عليه السلام لهم: **لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ**[1].

وفي مقدمة ترجمة ابن العسال للأناجيل الأربعة حول كُتّاب الإنجيل: **فكتبه أربعةٌ منهم بوحيٍ من الله وإلهام، فمنهم متّى ويوحنا من الاثني عشر الأصفياء، ومرقس ولوقا من السبعين الأتقياء.. فكتبوا بتأييد الروح القدس** ما شاهدوا وسمعوا من السيد المسيح[2].

ويلاحظ عليه:

أولاً: أنّه استدلالٌ بالمدعى كالأدلة السابقة، لأنّ قول المسيح بحقّهم منقولٌ

---

(١) متى١٠: ٢٠.

(٢) مقدمة ترجمة الأناجيل الأربعة لابن العسال ص٣٨.

بالإنجيل نفسه الذي لم تثبت صحّته بعد.

ثانياً: أنّه أخصُّ من المدّعى، فقد ذكر إنجيل متّى أسماء تلاميذ عيسى: وَأَمَّا أَسْمَاءُ **الاثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً** فَهِيَ هذِهِ: اَلأَوَّلُ **سِمْعَانُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ**، وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي، وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. فِيلُبُّسُ، وَبَرْثُولَمَاوُسُ. تُومَا، وَمَتَّى العَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى، وَلَبَّاوُسُ المُلَقَّبُ تَدَّاوُسَ. سِمْعَانُ القَانَوِيُّ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَهُ[1].

وليس بينهم بولس الذي كان له النصيبُ الأكبر من كتابة نصوص الإنجيل، وليس منهم لوقا ومرقس صاحبي الانجيل الثاني والثالث.

ثالثاً: أنّ الدليل **مناقضٌ لما ورد في إنجيل متّى وسواه**، من أنّ يهوذا الأسخريوطي هو الذي أسلمه، وهو من التلاميذ الإثني عشر، فكيف يكون هؤلاء مرسلون من عيسى معصومون عن الخطأ ثم يُسَلِّمُ بعضهم عيسى؟!

رابعاً: أنّه بالغض عن كلّ ما تقدّم، لا يُثبِتُ النصُّ أن روح الله يتكلم فيهم دائماً، بل **في واقعةٍ محدّدةٍ** كانت مسرحاً لأحداثٍ ذكرها الإنجيل، حيث يخاطب عيسى تلامذته قائلاً: وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ.

فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ **تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ المُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ** الَّذِي يَتَكَلَّمُ

(١) متى١٠: ٢-٤.

فِيكُمْ[١].

فهو صريحٌ في أنهم يُعطون في تلك الساعة ما يتكلمون به، ولم يُعَمِّم النصُّ هذا الحال إلى كل الأوقات كي يكون وقت كتابتهم للإنجيل مشمولاً، وإلا لَزِمَ أن يكون يهوذا الاسخريوطي ليس هو المتكلم، بل يكون الروح هو الذي أرشده لتسليم عيسى عليه السلام لأعدائه ومبغضيه!

الدليل الرابع: صدور المعجزات منهم

قد يُقال أنّ صدور المعجزات من التلاميذ وكُتّاب الأناجيل دليلٌ على عصمتهم، فيثبت صحّة ما كتبوه في الإنجيل.

ويلاحَظُ عليه:

أولاً: أن إثبات صدور المعجزات منهم **لَمَّا لم يُنقَل لنا بطريقٍ متواترٍ** يفيد العلم، فقد احتجنا في اثباته إلى الإنجيل، فيكون إثباتُ المعجزة متوقفاً على صحّة الإنجيل، وإثبات صحّة الإنجيل يتوقفُّ على صدقهم، وصدقهم لا يُعلَم إلا بإثبات المعجزات لهم. فيكون من **باب توقف الشيء على نفسه، وهو محال**، لأنّه لا يُمكن إثباتُ عصمتهم ما لم تثبُت صحّة الإنجيل، ولا يمكن إثبات صحّة الإنجيل ما لم تثبُت عصمتهم.

نعم لو نُقِلَت لنا معجزاتُهم بالتواتر لَثَبَتَ صدقهم وقبلنا دعوى عصمتهم، لكن ليس بين أيدينا دليلٌ متواترٌ يثبت هذه المعجزات.

ولو ثبت نَصٌّ متواترٌ عن عيسى عليه السلام يدلُّ على صدقهم لأقررنا بذلك،

---

(١) متى ١٠: ١٧-٢٠.

ولكن لم يصلنا مثل هذا النص، والنصارى ينكرون وجود إنجيلٍ لعيسى عليه السلام، ولم يصلنا شيء من كلماته يدل على ذلك، سوى ما في الإنجيل الذي يحتاج إلى دليلٍ يثبت صحّته.

ثانياً: أن صدور المعجزات على أيديهم لو سُلِّمَت صِحَّتُه، **لدلّ على صدقهم ونبوّتهم فعلاً بحسب اعتقادنا ان ادّعوا النبوّة، لكن الكتاب المقدّس يخالف هذا الأمر**، ويُثبِتُ إمكان **وقوع الآيات العظيمة والعجائب على يد الأنبياء الكذبة!** حيث يقول: **سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ، وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ،** حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا[1].

فما السبيل إلى تمييز هؤلاء الأنبياء وتصديقهم مع احتمال كونهم كذبةً قد أتوا بآيات عظيمة؟

إنه طريقٌ مُغلَقٌ مقفَلٌ مُظلِمٌ بحسب الإنجيل.

لقد حذّر الإنجيلُ في مواطن عدّة من هؤلاء فقال: «**اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَاب الحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ!** مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَباً، أَوْ مِنَ الحَسَكِ تِيناً؟[2].

وقال: وَيَقُومُ **أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ** وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ[3].

ثم ما السبيل إلى تمييز الأنبياء الكذبة عن غيرهم إذا كانت صورتهم أيضاً

(١) متى٢٤: ٢٤.

(٢) متى٧: ١٥و١٦.

(٣) متى٢٤: ١١.

ستتغيّر من صورة شيطانٍ إلى شبه ملاكِ نور؟!

ففي الإنجيل: **لأَنَّ مِثْلَ هؤُلاَءِ هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ**، فَعَلَةٌ مَاكِرُونَ، **مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ**. وَلاَ عَجَبَ. **لأَنَّ الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!**[1].

والنتيجة أنّه **لم تثبت عصمة هؤلاء الكُتّاب بوجهٍ من الوجوه.**

من حدد صحة هذه الكتب؟

فضلاً عن كلّ ما تقدّم، ومع ثبوت وجود الأنبياء الكذبة، ومع انتشار الأناجيل المنسوبة لعيسى عليه السلام في تلك الفترة، والتي قيل أنها عشرات الكتب، فمن الذي حدّد الصحيح منها وميّزهُ عن الباطل؟

علماً أنّ كثيراً منها قد كُتِبَ قبل الأناجيل المُعتَرَف بها، يقول لوقا في أول إنجيله: **إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا**، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ[2].

فإن لوقا يقرّ بأن هناك الكثير من الأشخاص الذين كتبوا كما كتب هو، أناجيلُ لم تعترف الكنيسةُ بها بعد ذلك، بل قَصَرَت الاعتراف بالأربعة الحالية المعروفة، وضمَّت لها أسفاراً أخرى لتصبح كما هي عليه اليوم، وقد مرّ الاعتراف

---

(١) كورنثوس الثانية١١: ١٣و١٤.

(٢) لوقا١: ١-٣.

بهذه الأناجيل بمراحل عدّة.

وقد ورد في مدخل إنجيل متّى من الترجمة اليسوعية الجديدة للكتاب المقدّس: **يبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة ١٥٠، تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلاً جداً الى الشروع في إنشاء مجموعةٍ جديدةٍ من الأسفار المقدّسة**، وأغلب الظن أنهم **جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس** واستعملوها في حياتهم الكنسيّة.. فقد كانت الوثائق البولسيّة مكتوبةً، في حين ان **التقليد الانجيليّ كان لا يزال في معظمه متناقلاً على ألسنة الحفّاظ. ليس هناك قبل أوّل القرن الثاني أيّ شهادةٍ تثبت أن هذه النصوص كانت تُعدُّ أسفاراً مقدّسة لها من الشأن ما للكتاب المقدّس**. ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدة ظهوراً واضحاً، كما يظهر شأن رسائل بولس[1].

وفيه: **ليس هناك قبل السنة ١٤٠ أيُّ شهادةٍ تثبت أنّ الناس عرفوا مجموعةً من النصوص الانجيليّة المكتوبة**.. لم يظهر الا في النصف الثاني من القرن الثاني شهاداتٌ.. بأن هناك مجموعةً من الأناجيل **وأنّ لها صفة ما يُلزِم**، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحوٍ تدريجيّ.. يمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ بمقام الأدب القانوني، وان لم تُستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين[2].

ثم أعطى آباء الكنيسة المجتمعين في القرن الرابع لأنفسهم الحق في تحديد ما

---

(١) الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى إنجيل متى ص٨.

(٢) الكتاب المقدس: الترجمة اليسوعية الجديدة: مدخل إلى إنجيل متى ص٩.

هو الوحي السماوي وما هو المنحول منه، حيث أن: **التحديد النهائي لمجموعة الأسفار السبعة والعشرين لم يتم إلا في القرن الرابع**(١). على أن: المجموعة الكاملة من ٢٧ سفراً التي تقرّها الكنيسة اليونانية.. **أول من ذكرها أثناسيوس** في رسالته الفصحية التاسعة والثلاثين من **العام ٣٨٧**(٢).

يشير المطران يوسف الدبس إلى أن تحديد الأسفار بالأسفار ال٢٧ المعروفة وتحتيم الإعتقاد بأنها وحيٌ مُنزَلٌ من الله تعالى حصل في المجمع التريدنتيني ومجمع فلورنسا ومجمع قرطاجنة ومجمع ايبونا، وهو أقدمها حيث عقد سنة ٣٩٣م(٣).

لكن **هل أعطاهم الله تعالى هذه الصلاحية فكانوا معصومين أيضاً** في تحديدهم؟ وما الدليل على ذلك؟

إن قيل: **عصمة البابا**، وقد تمّ ذلك برضاه.

قلنا: **هذا محلُّ خلافٍ بين النصارى أنفسهم، فالارثوذوكس والبروتستانت يرفضون ذلك**، وكم من مجَمَعٍ مسكونيٍّ ترفضه كثيرٌ من الكنائس.

يقول عالم اللاهوت الهولندي د. هيرمان بافينك: عندما تزايد عدد كتابات الأنبياء والرسل في ما بعد، وعندما ظهرت بعض الكتابات التي لم يُسَطِّرها أنبياءٌ ولا رسل جنباً إلى جنب معها، ولكنما زعم بعضٌ أنهم كتبوها.. عندئذ **أصبح**

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص٣٨.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ص٣٨.

(٣) تاريخ سورية الدنيوي والديني ج٣ ص٢٨٧.

لزاماً على الكنيسة أن تميّز بين الأسفار القانونية الحقيقيّة والكتابات المزيفة.. وأن تضع قائمةً بالكتب الحقيقية. وقد تم هذا قبل مولد المسيح بالنسبة الى كتب العهد القديم، **وفي القرن الرابع الميلادي بالنسبة الى العهد الجديد**[1].

لقد أقدمت الكنيسة على خطوةٍ **لم تقدّم برهاناً أو دليلاً على صحّتها**، وليس رأيُ آباء الكنيسة ملزماً للنصارى أو غيرهم ما لم يكن مستنداً إلى دليل، لعدم ثبوت عصمة أحدٍ منهم بدليلٍ مُعتبر.

ثم إن هناك من يطعنُ بهذه الكنيسة بالكامل ويزعم الوحيَ عليه في ذلك، ولو ساغَ لنا أن نصدِّقَ آباء الكنيسة دون دليلٍ، لساغَ تصديق هؤلاء دون دليلٍ أيضاً، كالطائفة المورمونية، حيث ورد في كتابهم المقدّس ذمّ الكنيسة، ففيه: وكان أني رأيت بين دول الأمم بداية كنيسة ضخمة. وقال لي الملاك: هذه بداية **كنيسة تفوق جميع الكنائس الأخرى في الرذيلة، وتبيد قدّيسي الله.** نعم وتعذّبهم وتقيّدهم وتُحَمِّلهم نيراً من حديد وتسوقهم إلى العبودية. وكان **أني نظرتُ إلى تلك الكنيسة الضخمة الفاسدة، فإذا إبليس مؤّسسها**[2].

وفيه: وقال لي ملاك الربّ: .. تُطَالِعُكَ بداية كنيسةٍ ضخمةٍ فاسدةٍ تفوق سائر الكنائس فساداً، فهم **قد سلخوا عن إنجيل الحَمَل كثيراً من النصوص الواضحة العظيمة القَدر، كذلك حذفوا كثيراً من عهود الربّ.** كلّ ذلك فعلوه **ليفسدوا طرق الرب المستقيمة** فيُعمُوا أعيُن أبناء البشر ويُقَسُّوا قلوبَهم. فأنت ترى

(١) بين العقل والإيمان ج١ ص١٦٦.

(٢) كتاب مورمون: سفر نافي الأول١٣: ٤-٦.

أن الكتاب، أي كتابُ حَمَل الله **قد فقد الكثيرَ مما هو واضحٌ ونفيسٌ بعد مروره بيدي الكنيسة الضخمة الفاسدة**.. هذا **الحذف الذي تعرّضت له أجزاءٌ كثيرةٌ من إنجيل الحمَل يُعثِرُ كثيرين جداً فيكون للشيطان عليهم نفوذٌ واسع**(١).

وفيه: كلّمني الملاك.. وقال لي: ليس في الوجود غير كنيستين: الأولى كنيسة حمَل الله، والثانية كنيسة إبليس. لذلك فالنافرون عن كنيسة حمل الله **تابعون لتلك الكنيسة الضخمة أمّ الموبقات**، وهي **زانيةُ الأرض كلّها**. وكان أني نظرت فأبصرت زانية الأرض كلها جالسة على مياهٍ كثيرة، **وكان لها سلطانٌ على كل الأرض**، وبين جميع الدول والقبائل والألسنة والشعوب(٢).

فيصفُ هؤلاء الكنيسة بهذه الأوصاف! ودليلهم في إثبات كتابهم كأدلّة الكنيسة في إثبات الكتاب المقدّس!

وقد ورد في نبوءة أشعيا التي لم تعترف بصحتها الكنيسة كلامٌ حول الفساد والكذب وإبطال رؤى الأنبياء المتقدمين، ففيها: يقول أشعيا: ومن ثم عند دنوّه يتخلى تلاميذه عن نبوءة الرسل الإثني عشر، كما عن إيمانهم.. **سيكون كثيرون من الكهنة الجائرين والرعاة الذين سيضطهدون رعاياهم**.. الروح القدس سينكفئ عن عدد كبير، ولن يكون في تلك الأيام أنبياءٌ كثرٌ **ولا أُناسٌ يقولون أشياء صحيحة**.. سوف يهملون نبوءة الأنبياء الذين تقدموني، **ورؤاي أيضاً سيبطلونها**، لينطقوا بتجشؤات قلوبهم(٣).

---

(١) كتاب مورمون: سفر نافي الأول١٣: ٢٤-٢٩.

(٢) كتاب مورمون: سفر نافي الأول١٤: ٨-١١.

(٣) الرؤى المنحولة ص٨٨-٨٩.

صفات التلاميذ وكتبة الأناجيل

فضلاً عمّا تقدّم، فإنه حتى على فرض تمامية الأدلة السابقة (وقد تبيّن أنّها ليست تامة)، فإنّها **معارَضَةٌ بصفاتِ كُتّاب الأناجيل بحسب الكتاب المقدس نفسه**، وهي **لا تستقيم مع عصمتهم بوجهٍ** من الوجوه، فإن التلاميذ هم النُّخبَةُ والصفوة، ورغم ما ورد من مديح لهم في الكتاب المقدس، إلا أن **ذَمَّهُم كان عجيباً**.

ونذكُر بعض ما مدحهم به الكتاب المقدس أولاً، فقد وصف الإثني عشر بأنّهم على كرسيّ المجد: فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، **مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا** تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ[1].

فكيف يجتمع كون الإثني عشر جالسين على كرسيّ المجد، مع كون يهوذا واحداً منهم؟ فهو مشمول بخطاب عيسى عليه السلام لهم حينما قال: (**تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا**)، ويهوذا كان واحداً من الاثني عشر حينها، وإنما قام التلاميذ لاحقاً بإضافة مِتيَاس بدلاً عنه لكي يحافظوا على العدد نفسه، أمّا النص المذكور فهو يتضمّن خطاباً من عيسى عليه السلام لأشخاص الاثني عشر الذين منهم يهوذا يبشّرهم فيه بأنّهم سيجلسون معه على كرسيّ المجد!

وللتخلُّص من هذه المعضلة ذكروا ما فعله التلامذة: فَأَقَامُوا اثْنَيْنِ: يُوسُفَ الَّذِي يُدْعَى بَارْسَابَا المُلَقَّبَ يُوسْتُسَ، وَمَتِّيَاسَ. وَصَلَّوْا قَائِلِينَ:«أَيُّهَا الرَّبُّ العَارِفُ قُلُوبَ الجَمِيعِ، **عَيِّنْ أَنْتَ مِنْ هذَيْنِ الاثْنَيْنِ أَيًّا اخْتَرْتَهُ**، لِيَأْخُذَ قُرْعَةَ هذِهِ

---

(١) متى١٩: ٢٨.

الخِدْمَةِ وَالرِّسَالَةِ الَّتِي تَعَدَّاهَا يَهُوذَا لِيَذْهَبَ إِلَى مَكَانِهِ». ثُمَّ القَوْا قُرْعَتَهُمْ، فَوَقَعَتِ القُرْعَةُ عَلَى مَتِّيَاسَ، فَحُسِبَ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ رَسُولاً[(١)].

وهذا لا ينفع لأنّ عيسى عليه السلام خاطب الاثني عشر وهم معروفون بأسمائهم وأشخاصهم.

وفضلاً عن المدح العام، ورد مدحٌ خاصٌّ لبطرس، وأنّ بيده مفاتيح ملكوت السماوات! ينقل الإنجيل قول عيسى عليه السلام له: **وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ**، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ[(٢)].

أما ذَمُّهُم في الكتاب المقدس، ففي فقرات عدّة منها:

قليلو الإيمان بل عديمو الإيمان

ذكر إنجيل متّى وصف عيسى عليه السلام لتلاميذه كما يلي: فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ:«يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ!» فَقَالَ لَهُمْ:«مَا بَالُكُمْ **خَائِفِينَ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟**»[(٣)].

وفي محلٍّ آخر: فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«**لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ** أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزًا؟»[(٤)].

---

(١) أعمال الرسل١: ٢٣-٢٦.

(٢) متى١٦: ١٩.

(٣) متى٨: ٢٥و٢٦، ووصفهم بقلة الإيمان أيضاً في إنجيل برنابا الفصل١٥١.

(٤) متى١٦: ٨.

ثم يترقّى فيصفهم بانعدام الإيمان، وأنّه ليس في قلبهم حبَّةُ خردلٍ منه!

حيث ينقل الإنجيل حواراً بين عيسى عليه السلام وتلامذته لما سألوه عن علّة عجزهم عن شفاء أحد المرضى، فيما تمكن هو من شفائه: ثُمَّ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: «لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «**لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ**. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: **لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ**، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ[1].

وفي لوقا أيضاً: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل..[2].

وقد نصّ الإنجيل على قلة إيمان بعضهم كبطرس رغم ما مدحه به، فنقل قول عيسى عليه السلام له: **يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَكْتَ؟**[3].

شكّهم جميعاً بعيسى

تحدث الإنجيل عن حالة التلاميذ ونَقَلَ قول عيسى عليه السلام لهم: حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «**كُلُّكُمْ تَشُكُّونَ فِيَّ** فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ[4].

وقال لبطرس: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكٌ **تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**[5].

(١) متى١٧: ١٩و٢٠.

(٢) لوقا١٧: ٦.

(٣) متى١٤: ٣١.

(٤) متى٢٦: ٣١.

(٥) متى٢٦: ٣٤.

قساة القلوب

ينقل الإنجيل عن عيسى عليه السلام: أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ، **وَوَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ**، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ[١].

بطرس شيطان!

في الإنجيل **ينتهرُ عيسى** عليه السلام **بطرس وهو وصيُّه** فيقول عنه أنّه شيطان! ففي إنجيل متى: فَالتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «**اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي**، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ[٢].

وفي إنجيل مرقس: فَالتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: «**اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!** لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»[٣].

وأما يهوذا الذي أسلمه فقد دخل فيه الشيطان: **فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا** الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الاثْنَيْ عَشَرَ[٤].

فكأنّ حال بطرس الثابت على الحقّ ووصي عيسى عليه السلام أسوأ من حال المنقلب على عقِبَيه بحسب الإنجيل!

بولس عدوّ الكنيسة.. يصبح مُبَشِّرَها الأول!

أما بولس أو شَاوُل، صاحب النصيب الأوفى من نصوص الإنجيل، فقد كان شديداً على المؤمنين بعيسى عليه السلام في أيامه، وقد عمد إلى أذيّة رجالهم ونسائهم

---

(١) مرقس١٦: ١٤.

(٢) متى١٦: ٢٣.

(٣) مرقس٨: ٣٣.

(٤) لوقا٢٢: ٣.

وجرّهم إلى السجون، بل كان يعمد إلى قتلهم كما يُثبت ذلك الكتاب المقدس، وفجأة، يزعم بولس أن عيسى عليه السلام ظهر عليه، ثم صار رسولاً لعيسى!

في أعمال الرسل: **وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ البُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ**(١).

وينقل الإنجيل أسطورة استبصاره قائلاً: **أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ**، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الكَهَنَةِ. وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الجَمَاعَاتِ، **حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاساً مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ**. وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ **فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ**، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلاً لَهُ: «**شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟**»

فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «**أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ**.. فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟»

فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ المَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ»(٢).

ويكمل الكتاب المقدس فيذكر حنانيا أحد التلاميذ، وما رآه في الرؤيا من أمرٍ بالذهاب إلى بولس، فاستغرب ذلك قائلاً: يَارَبُّ.. كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ.

لكن الجواب كان أنّه هذا رغم كل ما فعل من شرورٍ صار مختاراً ليحمل

---

(١) أعمال الرسل ٨: ٣.

(٢) أعمال الرسل ٩: ١-٦.

اسم الربّ! فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبْ! **لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي** أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ[1].

وفي نصٍّ آخر يقول له المسيح: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَلكِنْ قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ، **لأَنْتَخِبَكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا** بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ[2].

غريبةٌ هي قصّة بولس هذه، وهو الذي يصف أفعاله فيقول: فَأَنَا **ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُوراً كَثِيرَةً مُضَادَّةً لاسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ**. وَفَعَلْتُ ذلِكَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ، **فَحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ القِدِّيسِينَ**، آخِذاً السُّلْطَانَ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الكَهَنَةِ. **وَلَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ القَيْتُ قُرْعَةً بِذلِكَ**. وَفِي كُلِّ المَجَامِعِ كُنْتُ أُعَاقِبُهُمْ مِرَارًا كَثِيرَةً، وَأَضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ[3].

كلمات بولس صريحةٌ في اتّباعه نهج الافتراء عندما كان يضطهد المؤمنين، فيقول: أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً **وَمُفْتَرِياً**[4].

وفي الكلمة الأخيرة ما **يستفزُّ العاقل، فما الذي يضمن مع اعترافه بكونه مفترياً أن يكون كذلك في كل ما نَسَبَه لعيسى** عليه السلام **؟!**

ثمّ لماذا يأخذ النصارى ببعض كلمات بولس التي يمتدح بها نفسه ولا

---

(١) أعمال الرسل٩: ١٥.

(٢) أعمال الرسل٢٦: ١٥و١٦.

(٣) أعمال الرسل٢٦: ٩-١١.

(٤) تيموثاوس الأولى١: ١٣.

يأخذون ببعضها الآخر التي يصرّح بها أنه ليس أهلاً لأن يُدعى رسولاً؟!

يقول بولس: **أَنَا الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً لأَنْ أُدْعَى رَسُولاً، لأَنِّي اضْطَهَدْتُ كَنِيسَةَ اللهِ**[١].

رغم ذلك **مالت كفّة بولس عند النصارى**، فكان له الحصّة الكبرى من الإنجيل، يقول جيمس د.طابور: صار إعلان (قيامة المسيح) الركن الاساسيّ في العقيدة المسيحية الحديثة الظهور، **وصارت صيغة بولص من القصة.. هي الصيغة المنتصرة إلى حدٍّ بعيد**[٢].

يعترف علماء النصارى بأن بولس عدوَّ الكنيسة صار مبشَّر المسيحيّة الأوّل**!** يقول القس بسام المدني: **شاول الطرسوسي عدوّ الكنيسة يصبح بولس الرسول**[٣].. كان شاول يعمل كلَّ شيءٍ للقضاء على الكنيسة المسيحية في القدس وخارجها[٤].. **بولس يعدُّ مبشر المسيحية الأعظم،** لأنّه عمل أكثر من جميع الرسل الآخرين على تأسيس الكنيسة[٥].

مسيحيّة بولس لا مسيحية المسيح

لكلّ ما تقدّم، يذهب عددٌ من المؤرخين إلى أن المسيحية المعاصرة هي

---

(١) كورنثوس الأولى١٥: ٩.

(٢) سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة ص٢٧٩.

(٣) الكنيسة في التاريخ ص١٢.

(٤) الكنيسة في التاريخ ص١٣.

(٥) الكنيسة في التاريخ ص١٨.

مسيحيّة بولس لا مسيحيّة المسيح، يقول أستاذ تاريخ الأديان في معهد (ليوبايك) بلندن: هيم ماكبي: **رسائل بولس في الواقع ليست إلا النصوص الأولى للعهد الجديد ما دام أنها كتبت بين سنة ٥٠ و٦٠ للميلاد، بينما لم تُكتَب أناجيل (العهد الجديد) التي وصلت إلينا إلا بين ٧٠ و١١٠ للميلاد**، أي أنّ مؤلفي هذه الأناجيل تأثروا برسائل بولس التي كُتِبَت قبلهم وتشرّبوا بأفكاره وتأويلاته لأعمال عيسى[١].

ويقول: **السيد المسيح.. لم يعتبر نفسه أبداً كائناً إلهياً. ولو أنّه علم بما قاله الناس عنه بعد موته لاعتبر ذلك وثنيّة وخرقاً لأوّل وصيةٍ من وصاياه.. لم يكن أتباع كنيسة القدس يؤمنون بأن عيسى ابن الله أو أنّه كائنٌ إلهي**.. لقد أظهروا تحفُّظاً شديداً على بولس حين علموا بأنه يبشّر بدينٍ جديد، وحاولوا التحاور معه في البداية، ولكنهم لم يلبثوا أن تولّوا عنه وانتبذوه وأنكروه.. **إن بولس لا عيسى مؤسس هذه المسيحية**، إن الاسطورة الأساسية في هذا الدين الجديد تقول بموت كائنٍ إلهيٍّ للتكفير عن خطايا البشر.. ولقد استقى بولس بعض ذلك من المصادر الهيلينية وافترى هذا الدين[٢].. نُصِرُّ على أن بولس هو الذي اخترع هذه الأسطورة المسيحية[٣].. بولس هو الذي افترى القربان المقدّس، وهو الذي أرساه تصوُّراً أساسياً في الكنيسة وعنصراً لا بد منه[٤].

---

(١) بولس وتحريف المسيحية ص١٥.

(٢) بولس وتحريف المسيحية ص٢٩.

(٣) بولس وتحريف المسيحية ص٣٠.

(٤) بولس وتحريف المسيحية ص٥٠.

ليخلص إلى أن: **الاسطورة التي اخترعها بولس تلقّت كامل تتويجها في الأناجيل** التي كُتِبَت تحت تأثير بولس ولمصلحة كنيسته.. بذلك انتشرت اسطورة بولس[١].

ويذهب جيمس د.طابور إلى القول بأن: **هناك (مسيحتان) منفصلتان تماماً ومتميّزتان متجسّدتان في العهد الجديد،** والأولى هي معروفةٌ تماماً، وأصبحت صيغة الإيمان المسيحي التي عرفت من قبل بلايين الناس في الألفي عام الماضيين، **وهذه المسيحية كان بولص الرسول هو المُقتَرِحُ الأساسيُّ لها والمؤيِّد. أما المسيحية الثانية فقد نُسِيَت،** ومع نهاية القرن الأول تهمّشت بشكلٍ فعليّ، وقُمِعَت من قبل المسيحية الأخرى[٢].

ويقول: ورد ذكر بولص وتسميته على أنه **مصنِّفُ ثلاثة عشر سفراً من الاسفار السبعة والعشرين** المشكّل منها العهد الجديد، فسفر أعمال الرسل كله تقريباً جاء كدفاعٍ عن المقام المركزيّ لبولص، على أنّه الرسول (الثالث عشر)، وكان إنجيل مرقص قد كُتِبَ في حوالي العام ٧٠م أي بعد موت بولص، وهو بشكلٍ رئيسيٍّ سيرةٌ للرسالة التي بشّر بها بولص.. وكان كلٌّ من متّى ولوقا قد استخدما رواية مرقص كمصدرٍ أساسيٍّ لهما.. ويعكس إنجيل يوحنا على الأقل من الجانب اللاهوتي جوهر فهم بولص ليسوع[٣].

---

(١) بولس وتحريف المسيحية ص١٠٢.

(٢) سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة ص٣١٤.

(٣) سلالة يسوع: أسرة يسوع الحاكمة ص٣٢٨.

وكان أن وَرَدَ في مروياتنا عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام ما يطابق هذا المعنى، حيث وُصِفَ بولس بأنّه: **بُولسُ الَّذِي نَصَّرَ النَّصَارَى**[١].

وقد عَدَّ إنجيل برنابا في مطلعه بولس من الذين ضَلُّوا وبشّروا بتعليمٍ شديد الكفر داعين المسيح ابن الله، ففيه: **الآيات التي اتّخَذَها الشيطان ذريعةً لتضليل كثيرين بدعوى التقوى. مبشِّرين بتعليمٍ شديد الكفر.** داعين المسيح ابن الله.. الذين **ضلّ في عدادهم أيضاً بولس** الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى[٢]..

فإن قيل: **كيف يكون بولس هو الذي نصّر النصارى وقد ذكرتم أن التثليث لم يكن العقيدة المنتشرة في الفترة الأولى؟**

نقول: **كونه بَذَرَ بذرتها وتَبِعَهُ عليها قومٌ، أوصل الأكثر الى الاعتقاد بها لاحقا، يجعله مَن نَصَّرَ النصارى.**

يقول القس فهيم عزيز: كانت **أول مجموعة عرَفَتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس الرّسول**، فهي أوّل ما جُمِعَ من كلّ كتب العهد الجديد[٣].. أما المجموعة الثانية فهي مجموعة الأناجيل الأربعة، وقد ظهرت هذه

---

(١) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال ص٢١٦.

(٢) مطلع إنجيل برنابا الآيات٢الى٧، ويحتمل الدكتور خليل سعادة أن يكون ما في إنجيل برنابا مأخوذاً من إنجيل أسبق: يسمى بالإنجيل الأغنسطي طُمست رسومه، وعفت آثاره، **يبتدئ بمقدمة تندد بالقديس بولس، وينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد** (مقدمة إنجيل برنابا ص٢٣).

(٣) مدخل إلى العهد الجديد ص١٤٨.

المجموعة متأخرةً بعض الوقت عن مجموعة كتابات الرسول بولس[١].

الخلاف بين بطرس وبولس

يتحدّث بولس في رسائله عن قدومه الى اورشليم، والخلاف الذي حصل بينه وبين بطرس، رأس الكنيسة عند الكاثوليك، ويصف بطرس بأنّه كان (مَلوماً) وأنّه كان وبرنابا مُرائياً! وأنّه حادَ عن استقامة الإنجيل.

يقول بولس: وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، **لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً.. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي اليَهُودِ** أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ **بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ!** لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ **لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ**[٢]..

وقد حار كُتّابُ الإنجيل في تفسير هذه النصوص بحسب مذاهبهم، فمن كان يعتبر بطرس رأس الكنيسة المعصوم لم يجد بُدّاً من الدفاع عنه، وتوجيه فعله، كما نُقِلَ عن القديس ذهبيّ الفم حول بطرس: إنّه **فعل هذا عامداً ليعطي بولس فرصة أن يعلن رأيه بوضوح ويكون هذا درساً للجميع، وكأنّه يأخذ الدرس معهم**[٣].

وقال المطران يوسف الدبس: قد رأى بعض المفسّرين أنّ كِيفَا الذي وَنَّبَهُ بولس هو غير بطرس المسمى كِيفا أو الصفا، ورأى آخرون أن **الخلاف بينهما كان**

---

(١) مدخل إلى العهد الجديد ص١٤٩.

(٢) غلاطية٢: ١١و١٣-١٤.

(٣) كما نقله القمص أنطونيوس فكري في شرح الآية المذكورة من كتابه: شرح الكتاب المقدس: العهد الجديد.

ظاهريّاً ليُثْبِتَا للأُمَمِ محافظتهما على ما سَنَّهُ مجمع أورشليم، على أنّه وإن حسبنا تونيب بولس لبطرس على ظاهره وعلى اطلاقه، **فلا يمسّ رياسته بشيء، ولا يظهر منه أنّ بطرس أَثِمَ بذلك**، بل إن بولس لأنّه شريكُه في التبشير وفي المحاماة عن الايمان نَبَّهَهُ إلى أنّ تَصَرُّفَهُ في ذلك يُفضِي إلى تأويلاتٍ سيّئةٍ من جانب الأمم(١).

أما من لا يؤمن بموقفه، فقد رأى في موقف بطرس **تَعَرُّضاً للحقِّ الإلهيِّ يستحقّ أن يواجهه بولس**، فذهب ناشد حنا إلى صحّة موقف بولس لأنّ **الحقّ الإلهيّ قد تعرض للخطر من موقف بطرس!**

يقول في شرحه للآيات: من المؤسف أنّه اتخذ موقفاً استدعى أن يقاومه الرسول بولس مواجهةً لأنه كان مَلوماً. **فبولس الرجل الرقيق جداً والمُحِبّ جداً يقاوم الرسول بطرس! نعم عندما يتعرض الحقّ الإلهيّ للخطر يصير بولس كأسدٍ في الدفاع عنه.**

يقول وليم ماكدونالد: أمَّا بالنسبة لردّ بولس، السادس والأخير، على الذين هاجموا رسوليَّته، فقد أخبر كيف أنَّه **كان من الضروريّ له أن يوبِّخ الرسول بطرس** الذي كان يُعتَبر عند غالبيَّة اليهود المسيحيين رئيساً للرسل. (يدحض هذا المقطع بشكل قاطع اعتبار بطرس قائد الكنيسة المعصوم من الخطأ).

ويقول الدكتور هنري أ. أيرونسايد: فبادىء ذي بدء، **ننذهل إذ نجد بولس وبطرس وكلاهما رجلان موحىً لهما من الله**، وكلاهما مُفَوَّضَان من الرب يسوع

(١) تاريخ سورية الدنيوي والديني ج٣ ص٣٥١.

المسيح ليذهبوا إلى العالم ويعلنوا إنجيله، **وكلاهما رُسُلٌ، ننذهل إذ نجدهما الآن يختلفان بحِدَّةٍ أحدهما عن الآخر**. وهذا سيفترض بالتأكيد أن **الرسول بطرس الذي هو على ضلال، ليس الصخرة التي تُبنى عليها الكنيسة. فيا لها من صخرةٍ متزعزعةٍ إن كان كذلك**، فها هنا نفس الرجل الذي أعطاه الآب ذلك الإعلان الرائع بأنّ المسيح هو ابن الله الحي، فالمفارقة هي أنّه يسلك في أنطاكية بطريقةٍ تثير الشك بإنجيل نعمة الله. **إن كان بطرس هو أول بابا فهو بابا غير معصومٍ وعرضة للخطأ.**

على أن نِسَخَ الانجيل اختلفت في ترجمة بعض الكلمات، فبدل اللوم عبرت ب(الخطأ)، وبدل (الرياء) عبّرت ب(النفاق).

ففي الترجمة السهلة: وَلَكِنْ عِندَما جاءَ بُطرُسُ إلَى أنْطاكِيَةَ، وَاجَهْتُهُ مُباشَرَةً **لِأنَّهُ كانَ مُخطِئاً.**

وفي ترجمة الشريف: لَكِنْ لَمَّا جَاءَ بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، عَارَضْتُهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ، **لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى خَطَأٍ.. وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي هَذَا النِّفَاقِ الْآخَرُونَ** مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ. **وَحَتَّى بَرْنَابَا نَفْسُهُ انْقَادَ إِلَى نِفَاقِهِمْ.**

وفي ترجمة المعنى الصحيح لإنجيل المسيح: ولمّا قَدِمَ صَخرٌ إلى مَدينةِ أنطاكيةَ، **واجَهتُهُ أمامَ المَلإِ في أمرٍ أتاهُ كانَ فيهِ على خَطإٍ جَسيمٍ.. وانساقَ مَعَهُ في هذا النِّفاقِ آخَرونَ** مِن المؤمِنينَ اليَهودِ الموجودينَ هُناكَ، بل **إنّ بَرنابا نَفسَهُ انقادَ إلى نِفاقِهِم.**

وفي الطبعة الهندية: **ثم زاغ معه ما بقي من اليهود حتى انقاد بارناباس ايضا في مراآتهم.**

لذا يقول الدكتور هنري أ. أيرونسايد: "الرياء" كلمةٌ مناسبةٌ نوعاً ما. إني **أتساءل عن السبب الذي لم يُتَرجِم فيه المترجمون الكلمة اليونانية الأصليّة كما هي** كما اعتادوا أن يفعلوا في أماكن أخرى في الكتاب المقدس. لعلّهم لم يُفَضِّلوا استخدام الكلمة الأخرى المرتبطة بشخص مثل برنابا. **إن الكلمة هي "النفاق"**: "لقد صار اليهود الآخرون منافقين مثله، وذلك على قدر ما كان برنابا **يسايرهم في نفاقهم**. أعتقد ان بطرس كان ليقول: "إننا نقوم بذلك لمجد الله"، ولكن لم يكن الحال هكذا أبداً، **لقد كان نفاقاً صريحاً وبكل معنى الكلمة في نظر الله**.

بولس إذاً كان (مفترياً)، وبطرس (منافقاً)، وينبغي لنا أن نُصَدِّقَهُما فيما نقلا في الكتاب المقدّس!

من شهد لكُتّاب الإنجيل؟

هذه شهاداتُ الإنجيل بحقِّ كَتَبَتِه، ثم يأتي القدّيس يوحنا الدمشقيّ متجاوزاً كلَّ أدبٍ مسيئاً لرسالة رسول الإنسانية محمدٍ ﷺ، حين يقول: سخافاتٌ أخرى عديدة مستحقّة الضحك قد أُخبِرَ بها في هذا التصنيف المكتوب الذي يتبجَّح (محمدٌ) بأنّه قد نزل عليه من الله، أمّا نحن فنقول: من ذا الذي يشهد بأنّ الله أعطاه كتاباً، أو من أعلَنَ من الأنبياء أن سيأتي نبيٌّ كهذا؟[1].

نقول للدمشقيِّ ومن يسير على مِنهاجه، ما لكم لم تقرؤوا قول الإنجيل: أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَا أَخِي، دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِكَ، **وَأَنْتَ**

(١) الهرطقة المئة ص٥٢.

لاَ تَنْظُرُ الخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلاً الخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ[١].

من الذي شهد بصحة الإنجيل؟! إذا كنتم تعتقدون أن عيسى عليه السلام صاحبُ المعجزات والكرامات التي تقتضي تصديقه قد قُتِلَ دون أن يترك أي أثرٍ لنا، **فما الدليل على صحة الأناجيل التي بين أيديكم؟!**

تقولون: أنّها وحيٌ سماوي.

نقول: **من الذي يشهد بأن الله أعطاهم هذه الكتب؟ ومَن مِنَ الأنبياء أعلَنَ أن الأناجيل ستُكتَبُ على يد هؤلاء الحواريين؟** وكيف يُعقَلُ أن يكتبها الحواريون وهم بحسب الإنجيل نفسه شياطين وضعاف الإيمان وو..

ثمرة البحث

والخلاصة: أنه **لم يُعرَف من هم كُتَّابُ كلّ الأناجيل** والأسفار في العهد الجديد، ولم يثبُت أنّ ما وَصَلَنَا هو ما كَتَبُوه، ومَن عُرِفَ منهم **لم تثبُت عصمته**، بل ثبت (بحسب الكتاب المقدس) أنّ أشهرهم إما (منافقٌ) أو (مفترٍ)!.

لا يقال: قد تابوا بعد ذلك.

كما عن المطران يوسف الدبس: قد **تبدّلت حالة الرسل بعد حلول الروح القدس عليهم**، وبعد أن كانوا أميين جبناء قلقين أصبحوا حكماء شجعاء ثابتين[٢].

---

(١) لوقا٦: ٤٢.

(٢) تاريخ سورية الدنيوي والديني ج٣ ص٣٤٠.

لأننا نقول: إنّ صفة النفاق في بطرس[١] **قد ثبتت بعد عيسى عليه السلام وبعد حلول الروح القدس**[٢] **بفترةٍ طويلةٍ عندما اختلف مع بولس وكان كلاهما قد أصبحا رسلاً معروفين** ولذا لا يصحّ الأخذ عنه.

على أن حلول الروح القدس على شخصٍ (بحسب الإنجيل) لا يعني التطهير المطلق، لأنّه قد حلَّ على قوم كثيرين لم يقل أحد بطهارتهم المطلقة، ومن نصوصه في ذلك : فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُورِ **حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ.** فَانْدَهَشَ الْمؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ، لأَنَّ **مَوْهِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الأُمَمِ أَيْضاً**[٣].

أمّا صفة الافتراء في بولس فقد ثبتت في أوّل حياته ولم يُعلَم أنّه تخلّى عنها.

فإن اعتَرَفَ إنسانٌ على نفسه بالكذب والافتراء ثُمَّ زَعَمَ أنّه امتنع عن الكذب **فهل يُصَدَّقُ في دعواه؟** إن هذه الدعوى **من أبرز مصاديق احتياج الدعوى إلى بيّنة،** وهنا يَستدلُّ القوم بالدعوى نفسها.

ونحن معذورون في عدم تصديق مَن لم يكن معصوماً من أول حياته، لذا ذهبنا إلى اشتراط العصمة في النبي والإمام منذ بدء حياته.. وإن خالَفَتنَا في ذلك سائر مذاهب المسلمين، فإنّهم يشتركون في البطلان مع النصارى.

---

(١) بحسب الإنجيل دوماً وإلا فنحن ننزّهه عن ذلك، للزوم تنزُّه الأنبياء وأوصيائهم عن كل ما يشينهم ويحط من قدرهم وكرامتهم، ولزوم اتّصافهم بالعصمة عقلاً.

(٢) قيل: أنه حلّ عليهم في اليوم العاشر من صعود المخلص: تاريخ سورية الدنيوي والديني ج٣ ص٣٤٦.

(٣) أعمال الرسل١٠: ٤٤-٤٥.

إن قيل: لا نحتاج لثبوت عصمتهم، بل يكفي ثبوتُ وثاقتهم، لأن الثقة يُقبَلُ قوله.

قلنا: صفاتهم في الإنجيل تجعلهم لا يتمتعون حتى بخِصلة الوثاقة، هذا أولاً.

وثانياً: أنّه على فرض ثبوت وثاقتهم، يكون الإنجيلُ ثابتاً من باب خبر الثِّقة، الذي يُصَدَّقُ منه ما لم تقم القرائنُ على بُطلانه، بخلاف الوحي الذي يكون نفس الاعتقاد بوَحيَانِيَّتِه قرينةً على صِدقه مطلقاً.

ولا يصحُّ الاعتمادُ على خَبَر الثِّقةِ في أمّهات المسائل الاعتقاديّة ما لم يُفِد القطع واليقين، أو يحتَفَّ بقرائن تُؤكد صحّته، لأنّه دون ذلك لا يفيد إلا الظنّ، والظنُّ لا يغني عن الحقِّ شيئاً.

والمُخبِرُ وإن كان ثقةً إلا أنّه يُحتملُ في حقِّه الكذب ولو نادراً، والخطأ والسهو والنسيان، وهذه الأمور وإن كانت مدفوعة بأصالة الصحّة وعدم الخطأ وأمثالها من القواعد، إلا أنّ خطورة ما يُستدلُّ بها عليه تبعَثُ على التحرّي والتدقيق فيها، بخلاف ما ثبت كونه وحياً سماوياً مقطوع الصحّة.

والخلاصة أنّه مع عدم ثبوت عصمة كُتّاب الأناجيل، لا يكون لدى النصارى دليلٌ قطعيٌّ على الثالوث، ولا بُدَّ مِنَ البحث عن طريقٍ آخر لإثبات الإعلان الإلهيّ.

المرحلة الثانية: دلالة الإنجيل على الثالوث

تبيّن في المرحلة الأولى عدم إمكان الاستدلال على الثالوث بالكتاب

المقدّس.

ولو تنزّلنا وقلنا بصحّته وأنّه من عند الله تعالى، وأقررنا بإمكان الاستدلال به، فإن إثباتَهُ للثالوث يحتاج في المرحلة الثانية إلى مقدمتين:

الأولى: دلالته على الثالوث (المقتضي في اللفظ): بأن يتضمّن الكتاب المقدس أدلّةً واضحةً صريحةً على الثالوث، أو على ألوهيّة عيسى والروح القدس.

الثانية: عدم وجود المانع (القرينة التي تصرفه عن الظاهر): بأن لا يكون هناك مانعٌ من العمل بمثل هذه الأدلة، والمانع قد يكون قرائن عقلية أو نقلية تُلزِمُ بحمل النصوص على خلاف ظاهرها.

وقد بيّنا في كتابنا (الثالوث والكتب السماوية) عدم تَضَمُّنِ الكتاب المقدّس أي أدلة صريحةٍ غير قابلة للتأويل على الثالوث، فتسقط المقدّمة الأولى.

وعلى فرض التَنَزُّل والقول بتماميتها، بيّنا في الكتاب المذكور القرائن التي توضح المراد من الأدلة التي استُدِلَّ بها على الثالوث، وأنّ الجمع بينها وبين أدلة التوحيد، وبين سائر نصوص الإنجيل، **ينفي إمكانية الاستدلال بها على الثالوث، ويُحَتِّمُ حملها على ما لا يُنافي التوحيد.**

يضاف إلى ذلك القرائنُ العقليُّة القطعيّة على عدم إمكان القول بالثالوث، وقد تقدّم بعضها في الفصلين السابقين ويأتي بعضها في الفصل القادم إن شاء الله.

ثمرة هذا الفصل

أن أهم طرق إثبات الإنجيل لم تصمد أمام النقاش، **فيبقى الإنجيل في دائرة**

الشك على أقل التقادير، لعدم نسبته إلى عيسى عليه السلام، وعدم ثبوت عصمة كُتّابه بل **ثبوت عدم عصمتهم، وعدم تماميّة أي طريق آخر للاعتماد عليه.**

يُضاف إلى ذلك أنه على فرض صحته يخلو من أي دلالةٍ صريحةٍ على الثالوث، ولا بُدَّ من حمل ما يُتَصَوَّرُ منه ذلك على المتشابهات التي تُرَدُّ إلى المُحكَمات، **فلا بُدَّ من الالتزام بالتوحيد الخالص.**

أما المسلمون فيكفيهم للحكم بعدم صحة الكتاب المقدس أنّه قد نسب لله ولداً، فزعم أن الله تعالى قد ولد عيسى عليه السلام، وأنه أبوه ووالده، أياً كان المراد من الولادة، سيَّما أنّه قد قُصِدَ بها ما يتضمّن مساواته لله تعالى في كلّ صفات الكمال والألوهيّة والربوبيّة والأزليّة وسواها!

ولسنا نروم الغوص في بحث صحة الكتاب المقدّس أو بطلانه في الجملة، فقد تكفّلت به أبحاث عدّة سوى ما تقدّم، يضاف إليها **على سبيل الإشارة ما يستدعي من الباحث التأمُّلَ في بعض مطالبه**، فهو تارة ينزّه الله تعالى عن كلّ تشبيهٍ بخلقه وتجسيدٍ وتجسيمٍ كما تقدّم، وتارة أخرى ينسب له المشي في الجنة[1]، وينسب له تعالى التَجَسُّد كإنسانٍ صارع يعقوب عليه السلام فلم يقدر عليه حتى ضرب فخذه! فصار يعقوبُ أقدَرَ من الله تعالى! ولم يُطلِق يعقوبُ اللهَ حتى باركه! فنزلت بركةُ الله على يعقوبَ بقهره له تعالى! بعد أن نظر لله (وجهاً لوجه)![2]، وهو رَبٌّ يُسيء

---

(١) التكوين٣: ٨.

(٢) التكوين٣٢: ٢٤-٣٠.

لبعض أهمّ أنبيائه كموسى عليه السلام[١].

ولأنبياء هذا الكتاب المقدّس خِصالٌ غريبة، فهم خائنون لأمانة الله[٢]، وهُم أهلُ لَعِبٍ ودَفٍّ ونايٍ وعودٍ ورقص[٣]، يقتلون أقاربهم على الظنِّ بالباطل[٤]، وينشرون الناس بالمناشير[٥].

وقد يكون كلُّ ذلك في سياقٍ طبيعيٍّ بحسب الكتاب المقدّس حيث جعل نَسَبَهم غير شريف[٦]، وآباؤهم قد ولدوا من الفاحشة[٧]، فصارت أعمالهم نفسها تتضمن الفاحشة[٨]، وتجعلهم موضع لعنة الكتاب المقدس[٩].

وتنسِبُ لهم ما لا يليق بالأنبياء كما في قصة لوط عليه السلام وبناته[١٠]، وقصة داوود وامرأة اوريا الحثي[١١]، حتى أن أنبياء الكتاب المقدس يسكَرون ويتعرّون

---

(١) العدد١١: ١١.

(٢) التثنية٣٢: ٤٨-٥١.

(٣) صموئيل الأول١٠: ٥-٦، وصموئيل الثاني٦: ٥و١٤و١٦ وأخبار الأيام الأول١٣: ٨ والخروج١٥: ٢٠.

(٤) الملوك الأول٢: ٢٠-٢٥.

(٥) أخبار الأيام الأول٢٠: ٣.

(٦) الخروج٦: ٢٠ مع اللاويين١٨: ١٢.

(٧) التكوين٣٨: ١٣-٢٦ بضميمة أخبار الأيام الأول ٢ : ١٨-٢٢ و متى١: ٢-١٦.

(٨) التكوين٢٠: ٢و١١و١٢.

(٩) التثنية٢٧: ٢٢.

(١٠) التكوين١٩: ٣٠-٣٦.

(١١) صموئيل الثاني١١: ٢-٢٧.

في قصص مُشينة[١]، كيف لا وربُّ الكتاب المقدّس هو الذي يأمر بشرب الخمر حتى يترنّحوا ويتجنّنوا ويسكروا ويتقيّؤوا![٢] وفي الوقت نفسه يذمّ الخمر وشاربيه وينهى عنه ويمدح تاركيه![٣].

هذا الكتاب نفسه هو الذي يعدّ المصلوب المُعَلّقَ ملعوناً من الله تارة[٤]، ويعدّه هو الله تارة أخرى أو ابناً له![٥].

ومهما قيل ويقال في تفسير هذه الآيات والجمع بينها، وقبول العقل لها، وتأويل بعضها، فإنّ الباب يبقى مفتوحاً على مصراعيه لبحث صحة هذه الكتب.

وبحثُ صِحَّتِها قد طُرِقَت أبوابه حتى فُتحت، **وضُرِبَت جُدرانه حتى هُدمت، وقُصِفَت قلاعُه حتى انهارت.**

وقد تصدّت لذلك كُتُبٌ عديدة لجُملَةٍ من أهل العلم، فتعرّضت لمواطن وشواهد تحريف التوراة والإنجيل، ولعقيدة الثالوث والتَجَسُّد وغيرها من عقائد النصارى، وبرّأت ساحة الإسلام والقرآن والنبيّ ﷺ من تهم النصارى، منها على سبيل المثال لمن أراد الاستزادة مُنصِفَاً: كتاب **التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح** للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكتاب **الانتصار**: بحوث في التوراة والانجيل للشيخ حبيب آل ابراهيم، وكتاب **الرد على النصارى** للشيخ محمد بن

---

(١) التكوين٩: ٢٠-٢٥ وأشعياء٢٨: ٧.

(٢) أرمياء٢٥: ١٥-١٦و٢٧.

(٣) الأمثال٢٠: ١، والأمثال٢٣: ٢٠: وأفسس٥: ١٨، ولوقا١: ١٥.

(٤) التثنية٢١: ٢٢-٢٣.

(٥) حيث يزعم النصارى دلالة الكتاب المقدس على ألوهيته ويعتقدون بذلك.

عبد الله آل عيثان، وكتاب **ثمرات لبّ الألباب** في إبطال شُبَه أهل الكتاب للشيخ علي آل عبد الجبار، وعِدَّة كُتُبٍ للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي منها **الهدى إلى دين المصطفى والرحلة المدرسية** والمدرسة السيارة **والتوحيد والتثليث**، وكتاب **نفحات الإعجاز** للسيد أبو القاسم الخوئي، وكتاب **أين الإنجيل** للسيد جعفر مرتضى العاملي، وكتاب **القرآن والعهدان** للشيخ حاتم اسماعيل، وكتاب **شبهات مسيحية حول القرآن الكريم** للشيخ محمد صنقور، وغيرها من الكتب.

فصل٦: هل يناقض الثالوث العقل؟

الله تعالى قادرٌ على كلّ شيء، هي عقيدةٌ قطعيةٌ لدى المؤمنين بالله تعالى مع تَنَوُّعِ أديانهم، ترجع إلى جذورٍ عقليّةٍ ونقليّة، فالإلهُ الحيُّ العالِمُ **لا بدّ أن يكون قادراً، ولا بدّ أن تكون قدرته غير محدودةٍ** وإلا لزِم منه الضعف والحاجة وغير ذلك.

دعمت الكتب المنسوبة للسماء هذا القول وصرّحت به، ففي العهد القديم: **الله القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**[1]، وفي العهد الجديد: **لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى الله**[2].

أما القرآن الكريم، فقد ذُكِرَت فيه ألفاظٌ تدلّ على كونه تعالى على كل شيء قدير ٣٥ مرة، ومنها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3].

وههنا سؤالان في غاية الأهمية:

١. هل يمكن أن يعمل الله المتناقضات؟

٢. هل يمكن أن تجتمع في الله المتناقضات؟

١. هل يمكن أن يعمل الله المتناقضات؟

قد يتوهّم الإنسانُ إمكان أن يعملَ اللهُ المتناقضات، لأنّ **الجمع بين المتناقضات إنما يكون غيرَ مقدورٍ بالنسبة للإنسان لمكان العَجزِ عنده**، فالإنسانُ

---

(١) التكوين٤٨: ٣.

(٢) لوقا١: ٣٧.

(٣) البقرة٢٠.

مفتقرٌ في أصل وجوده لله تعالى، ومحتاجٌ في بقائه له عزّ وجل، فهو يتمكّن من أن يأتي بما أقدَرَهُ الله تعالى عليه حصراً، وليس من ذلك الجمع بين المتناقضين.

أما الله تعالى، فبما أنه (على كل شيءٍ قدير)، فهو إذاً **قادرٌ على الجمع بين المتناقضين.**

ويلاحَظُ على هذا التَوَهُّم **عجزَ أصحابه عن التمييز بين أمرين:**

أوّلُهما هو **المُمكِنُ في نفسه،** أي الذي يكونُ قابلاً للتحقق في نفسه.

وثانيهما هو **المُمتَنِعُ في نفسه،** أي الذي لا يمكن في نفسه أن يتحقق. بغَضِّ النظر عن قدرة الفاعل على الفعل فيهما.

ولا ريبَ في أنّ الله تعالى قادرٌ على **كلِّ شيءٍ ممكِنٍ في نفسه،** أمّا ما لا يكونُ ممكِناً في نفسه فإنّه **غير قابل للتحقُّق رأساً، فلا يوصَف بعدم القدرة عليه لعدم إمكان تحققه.**

رغم ذلك وقع بعض المتوهمين في هذه الشبهة وقالوا بإمكان الجمع بين المتناقضين في القدرة الإلهيّة، فابن عربّي مثلاً يعتقد بأن كل ما حكم العقل باستحالته هو واقعٌ فعلاً في أرض الحقيقة! حتى اجتماع الضدين، قال: وأهل هذه الأرض أعرَفُ الناس بالله، **وكلُّ ما أحاله العقل بدليله عندنا وجدناه في هذه الأرض ممكناً قد وقع، وإن الله على كل شيء قدير،** فعَلِمنَا أن **العقول قاصرة وأن الله قادرٌ على جمع الضدين**[1].

لكن موقفَ عموم النصارى والمسلمين كان مخالفاً لهذا الوهم.

(١) الفتوحات المكية (أربع أجزاء) ج١ ص١٣٠.

أما عند النصارى، فقد قال القديس توما الأكويني: **إنّ الاجماع منعقدٌ على أن الله قادرٌ على كل شيءٍ**[١].. **إنّ المعنى الأحقّ في القول أنّ الله يقدر على جميع الاشياء أنّه يقدر على جميع المُمكِنات**، وبهذا الاعتبار يُقال له قادرٌ على كل شيء.. إنما يوصَفُ الله بالقدرة على كل شيءٍ لأنّه يقدر على جميع الممكنات بالإطلاق.. إنما ينافي حقيقة الممكن المطلق المقدور لله ما يتضمّن في نفسه الوجود واللاوجود معاً، **لأنّ هذا غير مقدور لله، لا لنقصان القدرة الإلهية بل لامتناع أن يكون له حقيقة المفعول والممكن**[٢].

وبما أن كلمات رسل السماء لم تصل كلّها لسَمع القديس توما، فإنّه نَسَبَ لله تعالى عدم القدرة على الممتنع بقوله (**هذا غير مقدور لله**) وإن كان يعتقد أن عدم القدرة راجعٌ لامتناع الشيء في نفسه.

ولعلّه لو سمع حديث عيسى بن مريم عليه السلام **لنَزَّهَ لسانه عن نسبة عدم القدرة لله تعالى حتى بهذا المعنى**، فقد روينا عن إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: جَاءَ إِبْلِيسُ إِلَى عِيسَى عليه السلام فَقَالَ: أَ لَيْسَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تُحْيِي المَوْتَى؟

قَالَ عِيسَى: بَلَى.

قَالَ إِبْلِيسُ: فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ فَوْقِ الحَائِطِ.

فَقَالَ عِيسَى: وَيْلَكَ، إِنَّ العَبْدَ لَا يُجَرِّبُ رَبَّهُ.

وَقَالَ إِبْلِيسُ: يَا عِيسَى: هَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ عَلَى أَنْ يُدْخِلَ الأَرْضَ فِي بَيْضَةٍ

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٣٢.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٣٣.

وَالبَيْضَةُ كَهَيْئَتِهَا؟

فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِعَجْزٍ، وَالَّذِي قُلْتَ لَا يَكُونُ**[١].

فما سأله إبليس **مستحيلٌ في نفسه، دون أن يوصَفَ الله تعالى بالعجز.**

وجواب عيسى عليه السلام لن يكون مغايراً لجواب أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام، فعَنْ الإمام الصادق عليه السلام قَالَ: قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: هَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا فِي بَيْضَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُصَغِّرَ الدُّنْيَا أَوْ يُكَبِّرَ البَيْضَةَ؟

قَالَ: **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُنْسَبُ إِلَى العَجْزِ، وَالَّذِي سَأَلْتَنِي لَا يَكُونُ**[٢].

ولعلّ الأكوينيّ عاد وتَنَبَّه إلى بعض هذا المعنى، دون أن يتمكّن من صياغته بما يخلو من نفي قدرة الله تعالى، فقال: فاذاً **كلّ ما ليس يتضمن تناقضاً فهو يندرج تحت تلك الممكنات التي بالنظر إليها يُقال لله: قادرٌ على كل شيء**، وأما ما يتضمن تناقضاً فلا يندرج تحت قدرة الله على كل شيء، لامتناع أن يكون له حقيقة الممكن، **فلأن يقال: انه لا يمكن فعله أولى من أن يقال ان الله لا يقدر أن يفعله،** وليس هذا منافياً لقول الملاك (ليست كلمةٌ مستحيلةً لدى الله) لأنّ ما يتضمن تناقضاً لا يمكن أن يكون كلمةً لأنه لا يمكن لعقلٍ أن يتصوره[٣].

فقدّ عد القولَ الثاني الذي لا يتضمّن نسبة العجز لله تعالى أولى من الأول، وهو كذلك، إلا أن الأوّل لا يصح وقد استعمله بنفسه في الله تعالى مراراً، فقال:

(١) قصص الأنبياء عليهم السلام (للراوندي) ص٢٦٩، وبحار الأنوار ج١٤ ص٢٧١.

(٢) التوحيد للصدوق ص١٣٠.

(٣) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٣٤.

ان ما يتضمّن تناقضاً ليس مقدوراً لله.. ان قولنا سقراط جالسٌ وغير جالسٍ معاً يتضمن تناقضاً، وكذلك قولنا سقراط جلس ولم يجلس معاً[١].

وليس الامر مقصوراً عليه، فهذا مقدار معرفتهم، وسار عليه سواه، يقول جون كلايد تارنر عن الله تعالى أنّه: **كليّ القدرة. إن الله كليُّ القدرة يملك كل القوى.. وبالطبع هذا لا يعني أن الله يستطيع أن يعمل أشياء تضادّ طبيعته، فقد أعلن بولس أن الله لا يستطيع أن يكذب.. كما أنّه لا يعني أن الله يستطيع أن يعمل أشياء تناقض بعضها بعضاً. لأن هذا يعني إنكار طبيعته**[٢].

والغرض من نقل هذه الكلمات هو التأكيد على **عدم قبول المتناقضات في كلّ مجالٍ، حتى فيما يُنسِبُ لله تعالى من أفعال**، فلو نَسَبَ أحدهم لله تعالى فِعلَين متناقضين لَزِمَ عدم تصديق ذلك، لأن **المتناقضين لا يجتمعان حتى في فعل الله تعالى لاستحالة ذلك في نفسه.**

٢. هل يمكن أن تجتمع في الله المتناقضات؟

إذا كان الإنسان على يقينٍ أن الجمع بين المتناقضات غير ممكن فيما يراه في حياته، ثم تيقّن أن الجمع بين المتناقضات غير ممكن حتى في أفعال الله تعالى وهو القادر القاهر القوي العليم، **فهل يا ترى يمكن أن تجتمع المتناقضات في الذات الإلهية المقدسة؟!**

أليس القول بالتناقض في أفعال الله (والعياذ بالله) أهون من القول

(١) الخلاصة اللاهوتية ج١ ص٣٣٦.

(٢) هذه عقائدنا ص٢٧.

بالتناقض في ذاته تعالى؟! فإذا كان الأول مرفوضاً كيف يكون الثاني مقبولاً؟!

إذا كنا لا نقبلُ كون عيسى عليه السلام أو بطرس موجوداً وغير موجودٍ في الوقت والظرف عينه، لاستلزامه الجمع بين المتناقضين، **هل يمكن أن نقبل اتّصافَ الله تعالى بصفتين متناقضتين؟ كأن يكون واحداً ومُتَعَدِّدَاً؟ أو بسيطاً ومُرِكَّبَاً؟** أي غير مُرَكَّبٍ ومُرَكَّب! أو يكون موجوداً في المكان وغير موجودٍ فيه! إن هذا يعني **سقوط أسس الأدلة العقلية، فلا يبقى حجرٌ على حجرٍ في المنظومة الفكريّة البشرية.**

قد يُقال: دلّت النصوص الدينية المُتَّفَقُ على صحّتها على اتّصاف الله بالمتناقضات، من ذلك **وصفه بالرحمة ووصفه بشدة العقاب**، وأمثال ذلك.

والجواب: أن **الرحمة والعقاب من صفات الفعل لا صفات الذات**، فترجع إلى سؤال الجمع بين المتناقضات في عمل الله، ومن الواضح أن **مَصَبَّ رحمة الله مختلفٌ عن مَصَبِّ عِقابه**، فما عدا الرحمة العامة، قد يخص الله بعض عباده برحمةٍ خاصّةٍ لطاعتهم له، وقد يعاقبهم لعصيانهم له، فلا يجتمع العفو مع العقاب على فعلٍ واحدٍ من جهةٍ واحدة، فلا اجتماع للمتناقضين، وهكذا.

إذا تبيّن هذا نتساءل: **هل تتضمّن عقيدة النصارى في الثالوث جمعاً بين النقيضين كي تكون غير ممكنة في نفسها أم لا؟**

يتضح ذلك بالبيان التالي:

١. الله تعالى واحدٌ.

٢. الله تعالى بسيطٌ (غير مركب).

٣. الآب والابن والروح القدس هم الله، ويصح أن نقول: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، ويصحُّ أن نطلق على كلّ واحدٍ منهم أنّه الله.

بالنظرة البدويّة يبدو التناقُض جليّاً، فكيف يكون الله كلَّ واحدٍ منهم، وكيف يكون الله ثلاثتهم؟ ويكون الله واحداً؟

محاولةُ دفع التناقض كانت بالتمييز بين الجوهر والأقانيم (الأشخاص) وفق مقدمتين:

١. أن الله تعالى واحدٌ في جوهره.

٢. أن الله تعالى متعدِّدٌ في أقانيمه.

فهل يُدفَعُ التناقض العقليُّ بذلك؟

نعم يُدفع التناقض العقلي بذلك، **على فرض الالتزام بمؤدّى هاتين المقدّمتين، وهو تعدُّد الله تعالى**، فيخرج النصارى بذلك عن الوحدانيّة حقيقةً ويدخلون في باب الشرك بالله تعالى.

لكنّ النصارى يرفضون ذلك، ويقولون لسنا مشركين بالله تعالى، ولا تَعَارُضَ في كلامنا!

نقول: **لو قال مشركٌ:**

١. أنا أؤمن بأن الله واحدٌ في الجوهر.

٢. وأؤمن بأن أقانيمه أو أشخاصه أو مصاديقه ثلاثة.

٣. وأن كل واحدٍ من الثلاثة بسيطٌ غير مركب.

لقلنا له: **لا تَنَاقُضَ في كلامك، لكنّ كلامك شركٌ!** وأنت غير مؤمن بالله

الواحد الأحد الذي نؤمن به.

لكن النصارى **يأخذون من قول الموحدين أنّهم موحدون، ويأخذون من قول المشرك وجود الأقانيم الثلاثة، ثم يزعمون إمكان الجمع بين كل ذلك**، وهذا في حقيقته **جمعٌ بين المتناقضين**.

فإنه يلزم منه:

١. إثبات الوحدانية التي تعني أن لا إله إلا الله.

٢. إثبات الثالوث الذي يعني أن عيسى والروح القدس شركاء مع الله.

وهو جمعٌ بين المتناقضين.

ثم يقولون: نحن **لا نزعم أنهم شركاء لله، لأنهم هم الله.**

فنقول: إذا الله متعدِّدٌ؟! إنّ هذا شِركٌ.

فيقولون: كلا، يكفي الوحدة في الجوهر لنفي التعدُّد**!**

هو **خلطٌ بين المفاهيم للتخلُّص من إشكال الجمع بين المتناقضين**، ومِن استلزام هذا القول للشرك بالله تعالى.

وللتَخَلُّص من هذا الإشكال، لجأ علماء النصارى إلى جوابٍ خلاصته القول بأن **الثالوث أمرٌ فوق العقل ولا يناقضه!** وقد تبيَنت المناقضة جليّة.

وفيما يلي كلماتهم في دعواهم.

١. القول بأنه فوق العقل وغير مناقض له

اختلفت كلمات علماء النصارى في توجيه القول بالثالوث والوحدانيّة معاً،

فذهب قسمٌ منهم إلى أنه ليس ضد العقل بل فوقّه، رغم ذلك حاولوا الجمع بين القولين بالاختلاف في الجهة، الذي مآله الى القول بالشرك! حيث يصبح لله ولعيسى وللروح القدس كلُّ صفات الألوهيّة الكاملة، فيكون **شِركاً حقيقياً تحت ستار التوحيد في الجوهر**.

وهنا بعض كلماتهم التي يحاولون عبرها التخلص من إشكال التناقض بكون هذه العقيدة فوق العقل، فيقعون في إشكال الشرك بالله تعالى.

الايمان ليس ضد العقل، بل فوقه!

يقول القس ابراهيم القمص عازر تاوضروس: كيف يمكن للمحدود أن يدرك اللامحدود؟ وهذا **لا يعني أن الأمور الإيمانية هي ضد العقل، فهذا ليس صحيحاً**، لأن **الأمور الإيمانية ليست ضد العقل، ولكنّها فوق العقل**، وهنا يأتي الإيمان مكمِّلاً لدور العقل المحدود.. **فلا تَعَارُضَ إذن بين العقل والإيمان فكلاهما يُكمِّلُ الآخر**.. وهنا يظهر واضحاً أننا **لا نلغي العقل أو نُهَمِّش دوره، فهو مطلوبٌ** ولكنّه **ليس هو الذي نقيس به صحة الإيمانيات** أو نحاول فهمها به فقط[1].

يذهب القسّ إذاً إلى عدم التعارض بين العقل والإيمان، ويلتزم بعدم إلغاء دور العقل، إلا أنّ الأمور الإيمانية لا تُقاسُ بالعقل فقط كما يقول.

وههنا **مغالطةٌ فيها خَلطٌ بين أمرين**، ما يحكمُ العقل باستحالته، وبين ما لا يحكم العقل باستحالته.

---

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٢٦-٢٧.

ويلاحظ على هذا الكلام:

أولاً: إن كون الأمور الإيمانية كلُّها لا تُقاس بالعقل **صحيحٌ بمعنى أن العقل لا يدرك الأمور الإيمانية كلها**، إنما تدل عليها الشرائع، التي دلّ العقل على صحتها، فيكون **المرجع الأول في قبولها هو العقل** ولو لم يعرف وجه الحكمة فيها، وفي هذه الموارد يصحُّ القول أن الأمور الإيمانية فوق العقل بهذا المعنى.

ثانياً: أنّه **لا يمكن الجمع بين الإيمان بالمستحيلات وبحكم العقل معاً**، لأنّ حُكم العقل هو امتناع وقوعها كالجمع بين النقيضين مثلاً، فلا يجتمع الإيمان بها مع حكم العقل باستحالتها، **ولا بدّ أن يكون حكمُ العقل مُقَدَّمَاً**، فإنها مناقضةٌ للعقل وليست فوقه.

وإشكالنا في هذه الصورة، حيث **يحكم العقل باستحالة الثالوث** كما تقدّم، فلا يمكن المصير إلى الإيمان به، وإلا كان **تعطيلاً لدور العقل فيما من شأنه أن يكون حاكماً فيه**.

لكن القسّ عازر تاوضروس يحاول نفي التناقض بين الوحدانية والثالوث، فيقول: **لا يوجد أدنى تعارضٍ بين الوحدانية والثالوث**، ومن يظن أو يعتقد أن هناك تعارضاً بين الوحدانية والثالوث فهو مُخطئ تماماً، فلا تعارض أبداً، بل هناك تكاملٌ.. بل نستطيع أن نقول العكس، وهو أن **عدم الإيمان بالثالوث هو إنقاصٌ لكمال الله!** وهو أمرٌ لا يمكن أن نقبله[1].

ويقول: نقول انه **لا تعارض على الإطلاق، بل الثالوث هو كمال الله، هو**

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٥٥.

قمّة التوحيد، ولا قيام لله الحقيقي بدون الثالوث. إذن لا تعارض بين الوحدانية والثالوث[(١)].

نقول: تقدّم أن **نفي التعارض غير ممكن إلا بتعدُّد الآلهة**، أي التعدد في الذات الإلهية، وهو **نفسه تعدُّد الأقانيم**، فمن أصرّ على نفي التناقض إنما كان مآل كلامه إلى **عبودية الآب والابن والروح القدس، وهو شركٌ بالله تعالى**، وقد تقدّم منا أن **المشرك القائل بالثالوث لا يناقض نفسه**، لكن **الموحد القائل بالثالوث يناقض نفسه**.

والقسّ هنا يؤكد على التوحيد وعلى التثليث معاً، بل يزعم أنّ عدم الإيمان بالثالوث فيه نقصٌ لكمال الله تعالى، وكل هذا راجعٌ إلى عدم التمييز بين صفات الذات وصفات الفعل كما تقدم.

أما على ماذا تستند محاولة القسّ في رفع التناقض؟

إنها ترجع إلى أن التناقُضَ هو تناقُضٌ بَدويٌّ، ومع التأمُّل فيه يظهر ارتفاعه تماماً، لاختلاف جهة الوصف بين الواحد والثلاثة، فيقول: إذا وُصف الإنسان مثلاً بأنه واحدٌ وثلاثة، فإن هذا الوصف يبدو **لأوّل وهلةٍ متعارضاً مع الحقيقة المعروفة لدينا**، لأنه لا يمكن أن يكون شخصٌ ما واحداً وثلاثة. لكن إذا تبيّن لنا أنّه يقصد بهذا الوصف أن الإنسان **واحدٌ من جهة المظهر، وثلاثةٌ من جهة الجوهر**، فإن الشكّ في صحة هذا الوصف يزول من أمامنا، لأننا نعلم أن الإنسان واحدٌ في مظهره، وفي الوقت نفسه هو في جوهره مُكَوَّنٌ من ثلاثة عناصر

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٦٦.

متكاملة: هي الجسد والنفس والروح. وعلى هذا القياس، مع مراعاة الفارق الذي لا حدَّ له بين الوحدانية الإلهيّة والوحدانيّة البشريّة، لأن الأولى غير مركّبة وغير محدودة، أما الثانية فمركبة ومحدودة، نقول: **ان الله واحدٌ في جوهره ومثلثٌ في أقانيمه**، إذاً الله واحدٌ من جهة، وجامعٌ أو شاملٌ من جهةٍ أخرى، **دون أن يكون هناك أيُّ تعارضٍ أو تناقضٍ في جوهره**[1].

إذاً يرفع القسُّ التناقضَ باختلاف الجهة، فجهة الوحدة هي الجوهر، وجهة الكثرة هي الأقانيم، أي الأشخاص، **فيرجع إلى الشرك بالله تعالى**.

فلا خيار أمام النصارى إن تمسكوا بالثالوث **إلا القول بالتناقض أو الشرك**، ولا يكفي التمسُّك بعدم إمكان قياس الوحدانيّة الإلهيّة على البشريّة، بعد فرض التثليث البشريّ غير قابل للنُطقِ إلا على فرض القول بالتركيب، فلو لم نَقُل بالتركيب كان الكلام متعارضاً فعلاً.. وهو ما يُثبِتُ التعارض عند القول بالتثليث.. فلا بُدَّ إما من القول بالتركيب أو نفي التوحيد.

الثالوث فوق العقل ولا يناقضه

يقول عوض سمعان: أمام القول بأن وحدانيّة الله هي وحدانيةٌ جامعةٌ مانعة، **لا يجدُ العقل مجالاً للاعتراض.. لأن الله عجيبٌ في ذاته، ولا يمكن الإحاطة به إطلاقاً**. ومع كل، فإنه وإن كان **يسمو فوق إدراك العقل إلا أنه ليس ضده**. وهناك فرقٌ كبير بين الأمور التي تسمو فوق العقل وتلك التي لا تتفق معه، فالأولى هي التي تتفق معه في أساسها لكن لسُمُّوها لا يستطيع الإحاطة بكنهها.

(١) مدخل الي حقيقة الثالوث ص٦٧.

أما الثانية فإنها لا تتفق معه إطلاقا، لا في أساسها أو في كنهها.. إذا قلنا إن الله يحب الخطيئة فلا يكون ذلك أسمى من إدراك العقل بل يكون ضده[(١)].

ويقول سمعان: الكتاب المقدس يحوي إعلاناتٍ لا يستطيع العقل أن يحكم فيها، هي الاعلانات الخاصة بذات الله. ولكن شكراً له، لأنّه **وإن كان العقل لا يستطيع أن يحكم فيها إلا أنه لا يستطيع أن ينقضها لأنها ليست ضدّه بل أسمى من إدراكه**.. لأن هذه **لا يمكن للعقل أن يضعها موضع الفحص والبحث**[(٢)].

إذا لم يكن للعقل أن يضعها في موقع البحث مطلقاً كونها خاصة بذات الله، يلزم أن يكون بالإمكان **الالتزام بأن الله بسيطٌ ومركّبٌ** في الوقت نفسه، لو كان قد نزل إعلانٌ سماويٌّ بذلك**!** وكما لزم أن نحكم بامتناع حبّ الله للخطيئة، لأن هذا ينافي كماله عزّ وجل، كذلك يلزم الحكم بامتناع الجمع بين التثليث مع التوحيد للمنافاة بينهما.

إن ما يمكن قبول كونه فوق العقل هو **ما لا يقرُّ العقل بامتناعه في نفسه،** ثم لا يجد سبيلاً لإدراكه، فيمكن للإعلان السماوي أن يبيّنه ويرشد العقلَ إليه كحال معظم التشريعات السماوية.

الثالوث ليس مناقضاً للعقل ولا يلزم منه اجتماع النقيضين

يقول القمص سرجيوس: نقول نحن المسيحيين: أن الله واحدٌ بالنظر إلى ذاته، **وثلاثةٌ بالنظر إلى أُقانيمه،** التي هي كلمة الله وروحه.. واننا نقول جميعاً

(١) الله في المسيحية ص١١٩.

(٢) الله في المسيحية ص٣٦٣.

بذاتٍ واحدةٍ إلهيةٍ، لا تعدُّدَ في الذات، وانما التعدُّدُ في الأقانيم، فهذا القول ليس مناقضاً للعقل، ولا يلزم عليه اجتماع النقيض، ولا ينسبُ لله التركيب، ولم يَقُل أحدٌ من المسيحيين أن الله مركب، فهو مُنَزَّهٌ عن التركيب وعن الجسم والعرض[١].

فتخلَّصَ من التناقض باختلاف الجهة، وهو ما يلزم منه الشرك لتعدُّد الأقانيم.

ثم يقول: **فالتثليث ليس فيه ما هو مستحيلٌ ولا ما هو مضادٌ للعقل،** لأننا لا نقول: ان الله ثلاثة جواهر بل ثلاثة أقانيم في جوهرٍ واحد. ففيه وحدةٌ وتعدُّد: وحدةٌ في الجوهر وتعددٌ في الأقانيم، والاقنوم غير الجوهر. **ولو كان كلامنا ان الثلاثة أقانيم هي اقنومٌ واحدٌ لكان ذلك محالاً ومُضاداً للعقل والبديهة.** ولو قلنا ان الله ثلاثة جواهر وهذه الجواهر الثلاثة هم جوهرٌ واحدٌ لكان ذلك محالاً ومضاداً للعقل. ولكننا **نقول ان الله ثلاثةٌ باعتبار، وواحدٌ باعتبارٍ آخر. فنحن متّفقون مع جميع الموحدين في العالم، الله ذاتٌ واحدةٌ، جوهرٌ واحدٌ، ومنفردون بالاعتقاد أنه ثلاثة أقانيم،** وتصورنا ان الاقنومية ليست عين الذاتية.

يقول المعترضون: انه لا يوجد في كلّ الخليقة مثالٌ لهذا التعبير، لأنّ كل ذاتٍ في الملائكة والناس هي أقنومٌ، وكل أقنومٍ هو ذاتٌ ممتازٌ عن غيره، فكيف يمكن أن يكون الله ثلاثة أقانيم ولا يكون ثلاثة ذوات؟

الجواب على هذا بأن ليس لله مثيلٌ في الخلق، وقد قرّر علماء الاسلام

(١) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٥٢.

أنفسهم ان الذات الالهية مغائرة لسائر الذوات.. فانّه لو كانت الذات الالهية محدودةً كالبشر والملائكة **لأمكن للعقل البشريّ أن يعلِّلَ عنها أو يحكم باستحالة تعدُّد الأقنوميّة فيها، ولكن بما أنّ عقولنا لم تُخلَق لتحكم ولتدرك الجوهر الالهيّ والاقانيم الالهيّة، فلا حق لها أن تحكم باستحالة وجود ثلاثة أقانيم في الله**(١).

أقول: معنى كلامه وإن كان في ظاهره نفي التناقض، إلا أنه يستبطن التسليم بأنّ ما التزموا به تناقضٌ واضحٌ لو كان الحديث عن المخلوق. ولكن بما أنّه حديث عن الخالق غير المحدود فلا يكون تناقضاً!

وهذه **مغالطةٌ واضحة،** ولها لوازم فاسدة، ويناقضها ما تقدّم من عدم إمكان اجتماع المتناقضين في الله تعالى.

أمّا أنّها مغالطة: فلأنّ العقل الذي يقرُّ بعدم إدراك الذات الالهية، **لا يُقرُّ بأنّه ليس له أن يحكم عليها بالأحكام العقلية القطعية، التي منها عدم اجتماع المتناقضين.**

مثلاً: لو لم يكن للعقل أن يحكم على الذات الالهية مطلقاً لأنها غير قابلةٍ للادراك، لما أمكن له ان يحكم أو يدرك بأنها موجودةٌ، ولا بأنها كاملةٌ، ولا بأنّها منزّهةٌ عن النقائص، وهذه الأحكام كلها لا تُنافي عدم إمكان الإحاطة بالذات الإلهية.

والتسليم بأن العقل يوصل لله تعالى ويدرك أنه قادرٌ حكيمٌ عالم، يفتح لنا باب الأحكام العقلية القطعية بمقدار إدراكنا.

---

(١) ردّ القمص سرجيوس على الشيخ العدوي ص٦٢-٦٣.

مثلاً: **يقول العقل: الله عادلٌ**، والعدل يقتضي استحالة ان يعاقب الله المؤمنين والمحسنين ويكرم العاصين.

لكن لازم كلامهم استحالة الحكم بذلك، لأنّ العدل صفةٌ من صفات الله، وهذه الصفات لا يقدر العقل على الحكم باستحالة شيء فيها.

ويحكم العقلاً مثلاً باستحالة أن يخلق الإلهُ إلهاً آخر لامتناع ذلك، بينما لازم كلامهم ان ليس للعقل الحقُّ في الحكم باستحالة خلق الإله لإله الآخر.

ولما كان اللازم فاسداً تبعه الملزوم في الفساد.

فما المانع على مبناهم أن يقول قائل: الله عادلٌ، ومع كونه عادلاً له أن يعاقب المطيع ويثيب العاصي؟ وهذا ممكنٌ لأن الذات الالهية غير محدودةٍ ولا يمكن للعقل أن يحكم عليها.

لا يقال: إن هذا لازمُ كلامهم، لكنهم لا يلتزمون به.

لأننا نقول: عدم التزامهم به هو التناقض بعينه، **فمنعهم عن الحكم باستحالة اجتماع المتناقضين في الذات الإلهية، مع قولهم بالتوحيد والتثليث تناقضٌ بَيِّن.**

فإما أن تكون أحكام العقل القطعيّة مقبولةً أو غير مقبولة، بعيداً عن الإحاطة بالذات الإلهية المقدسة.

فإن كانت مقبولة بطل التثليث للزوم التناقض منه، وإن لم تكن مقبولة لم يمكن نفي الظلم عن الله تعالى ولا أمكن التعرُّف عليه تعالى بالعقل ووصفه بصفات الكمال.

وكان للمحلد حينها أن يحتجّ علينا بقوله: دلالة عقلكم على وجود إلهٍ يعجز العقل عن إدراكه ليست حجة ولا هي مقبولة، لأنكم لا تقبلون تحكيم العقل في معرفة الله، فلا نقبل تحكيمه في معرفة وجوده ولا في اتصافه بالعدل ونفي الظلم عنه.

ولا يبقى حينها للنصراني حجةٌ على الملحد.

لقد غاب عن القساوسة والرهبان والآباء أن حجج الله تعالى تتعدَّدُ ولكنّها لا تختلف، وقد روينا عن إمامنا الصادق عليه السلام قوله: إِنَّ لله عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام، **وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُول**[1].

ومن المحال أن تخالف الحجةُ الظاهرةُ حجّةَ الله الباطنة، فلا يُعقَل تَفَوُّه الأنبياء والرسل بالثالوث لمنافاته التوحيد، ومِثل هذه المنافاة يدركها العقل جَليّاً، لكن التعمية عليها بحجّة أن الذات الإلهية فوق الإدراك هو مصادرةٌ وتعطيلٌ لحكم العقل فيما من شأنه إدراكه.

وقد نبّه الإمامُ المعصومُ من هَدم العقل، فتنهدم بذلك الحجة الباطنة، فلا يبقى ميزانٌ للتمييز بين أنبياء الله وبين من يصفهم الإنجيل بالأنبياء الكذبة، يقول عليه السلام: مَنْ سَلَّطَ ثَلَاثاً عَلَى ثَلَاثٍ **فَكَأَنَّمَا أَعَانَ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ**: مَنْ **أَظْلَمَ نُورَ تَفَكُّرِهِ** بِطُولِ أَمَلِهِ، وَمَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ، وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ

(١) الكافي ج١ ص١٦.

نَفْسِهِ، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ، **وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ**[١].

لا تناقض بين كونهم واحداً في ثلاثة!

يقول الاب فاضل سيداروس: **يعثر العقل حقيقةً أمام الوحي المسيحي من وحدانية الله المطلقة** التي لا تقبل على الإطلاق تعدُّد الآلهة، وممّا تؤمن به المسيحية من تمايز الأقانيم الإلهيّة الثلاثة الذي يقرّ بتعدد وجوه الله.. **يبدو لأوّل وهلةٍ أن هاتين الحقيقتين متعارضتان متناقضتان مخالفتان لمنطق العقل**: فإما أن يكون الله واحداً، وإما أن يكون ثلاثة، ولا يمكن قبول أن يكون واحداً وثلاثة في آنٍ واحد. فكيف يمكن التوفيق بين وحدانية الله / التمايز في الله؟[٢].

ثم يقول: إن المنطق الأرسطوطالي قد يقرّ بالتباين بين حقيقتي الوحدانية/ التمايز. وأما المنطق الجدلي *Dialectique* فيدمجهما، ولنضرب مثلاً بشريّاً سيساعدنا على فهم جدلية الوحدانية / التمايز الإلهية. إن الرجل والمرأة شخصان مختلفان مستقلان متمايزان تماماً، وهما في الوقت نفسه واحد!

فهما واحدٌ في اثنين واثنين في واحد، ولا تناقض بين كونهما اثنين وواحداً معاً، فالجدليّة تسمح بما يبدو لأوّل وهلة متعارضاً أو متناقضاً، فإنها تجمع جمعاً ائتلافياً يحترم كل الاحترام الازدواج الكامل (هما اثنان) والوحدة الكاملة (هما واحد) من دون أن يتلاشى أحد العنصرين في العنصر الآخر..

وبالتالي يمكن التساؤل: ألا يكون هذا الوضع البشريُّ هو (على صورة الله

---

(١) الكافي ج١ ص١٧.

(٢) سر الثالوث الاحد ص١١١.

كمثاله)؟ ألا يعبِّرُ الوضع البشريُّ هذا عن حقيقة الله؟ **أليس الآب والابن والروح القدس هم واحدٌ في ثلاثةٍ وثلاثةٌ في واحد، بدون أيِّ تعارضٍ أو تناقض، وبدون أيّ تلاشي أقنومٍ في الآخرَين، ولا أي امتصاص أقنومٍ للآخرين**.. فإنّ تمايز الأقانيم لا يهدم وحدانية الله، وإنّ وحدانية الله لا تهدم تمايز الأقانيم(١).

أقول: إن مثل هذه الطروحات **تُبَسِّطُ الخلاف العَقَديّ العميق وتُسَخِّفُه بشكلٍ غير منطقيٍّ على الإطلاق**، فإنّ التعدُّد بين سمير الرجل وسميرة الأنثى هو تعدُّدٌ حقيقيٌّ واقعيٌّ خارجيٌّ يدل على **وجودين مختلفين منفصلين تماماً**.

وأما الوحدة بينهما فهي وحدةٌ في (الطبيعة البشرية)، لا في حقيقة الوجود الخارجي.

وعليه فعندما ننقل الكلام نفسه للثالوث، فإن أردنا أن نقول أنّ هناك ثلاثة أقانيم لكلٍّ منها وجوده الخاص، وإن كانت طبيعةُ وجودهم واحدة، عنى ذلك وجود ثلاثة أقانيم يتصف كلٌّ منها بصفات الإله!

فلا يخلو الأمر من أن تكون آلهةً ثلاثة! أو أجزاءً ثلاثة لإلهٍ واحد! وكلاهما لا يقول به المسيحي!

لذا يعثر العقل فعلاً في قولهم الذي لا يمكن تبريره بالمنطق والعقل على الإطلاق.

وبعبارة أخرى: إن أردنا تحليل قولهم: الآب والابن والروح القدس هم واحدٌ في ثلاثة وثلاثةٌ في واحد: فإن المقصود بالواحد هو وحدة الطبيعة،

---

(١) سر الثالوث الاحد ص١١٢.

والمقصود بالثلاثة التعدُّد والتمايز في الأقنوم أو الشخص.

وإذا حصل التعدّد والتمايز في الأقنوم دل ذلك **إما على تعدد الآلهة أو على تركيب الإله الواحد، ومع عدم الالتزام بأي منهما يقع التعارض والتناقض دون شك.**

ومع الإلتزام بأي منهما يلزم الخروج عن حقيقة التوحيد.

لا يعني هذا المناقضة للعقل!!

يقول القسّ منسَّى يوحنا: أمَّا تعليم التَّثليث، **فلا يدخل تحت حُكم المسائل المُناقِضَة للعقل** لأنَّه ما هو التَّناقض فيه؟ هل نقول كما يتصوّر الغير أنَّ الثلاثة واحدٌ والواحد ثلاثة؟ إن قُلنا ذلك، صحّ رفض التَّثليث. **ولكنّا نقول إنَّ الله جوهرٌ واحدٌ في ثلاثة أقانيم. ففيه وحدةٌ وتعدُّدٌ.** وحدةٌ في الجوهر وتعدُّدٌ في الأقانيم. فلو قُلنا إنَّ الله جوهرٌ في ثلاث جواهر، أو أقنومٌ في ثلاثة أقانيم، لصار قولنا مرفوضاً. ولكنّا نقول عنه إنَّه **واحدٌ باعتبارٍ وثلاثةٌ باعتبارٍ آخر**، واحدٌ في الجوهر وثلاثةٌ في الأقانيم[1].

ههنا مغالطةٌ واضحة، فإن التناقض ليس في قولهم أنّه أقنومٌ في ثلاثة أقانيم أو جوهرٌ في ثلاثة جواهر، بل في قولهم أنّه ثلاثة أقانيم وأنّه إلهٌ واحدٌ وأنّه غير مركب.

بيان ذلك:

أن الإله **إما أن يكون واحداً أو أن يكون متعدّداً.**

---

(١) شمس البِر ص١٢٢.

وإن كان واحداً **فإما أن يكون بسيطاً وإما أن يكون مركباً**.

هم يقولون: الإلهُ واحدٌ، إذا يسقط القول بالتعدّد.

ويقولون بسيطٌ، فيسقط القول بالتركيب.

وفي الوقت نفسه: يقولون أنّه **أقانيمُ ثلاثة، بمعنى أشخاص ثلاثة، فيرجع القول بالتعدد**. وهو يناقض القول بالتوحيد، ويناقضُ الالتزام بالوحدانية.

فَهُم **كنتيجةٍ** يقولون أنّه **واحدٌ من جهةٍ واحدةٍ ومتعدّدٌ** كذلك. فيقع التناقض من جديد.

لا تناقض بين الوحدانية والثالوث

يقول الدكتور القس عماد شحادة: **لا تتناقض عقيدة وحدانية الله مع عقيدة الثالوث**، إذ أن وجود الأقانيم الثلاثة هو في الجوهر الواحد، أي أن لكلٍّ من الأقانيم الثلاثة الطبيعة الإلهية الواحدة نفسها[١].

وهذا كما تقدم عنه، اعترافٌ بأن الوحدة للطبيعة فقط وأن التعدُّد في الأقانيم، ما يرجع إلى الشرك بالله، ولا يقرّون به فيعود التناقض.

ويقول القمص زكريا بطرس: بدأ الربّ يعلن عن ذاته بأنّه واحدٌ في ثالوثه الأوحد، ويكشف لنا عن هذا السرّ العظيم الذي كان خَفيّاً عن البشريّة.. **ان هذه العقيدة لا تتعارض مع العقل بل تُشبِعُه**[٢].

(١) الآب والإبن والروح القدس ص٧٤.

(٢) الله واحد في الثالوث الأقدس ص٢.

الثالوث ليس ضدّ العقل

يقول الدكتور القس لبيب ميخائيل: ونجيب أنّ **وحدانية الله في ثالوثٍ ليست شيئاً ضد العقل**، فإنّ العقل يُسَلِّمُ بالوحدانيّة الجامعة في كثيرٍ من الأشياء المحيطة به دون أن يُبدي على ذلك احتجاجاً أو تَمَرُّدَاً.

- فاليوم المكوّن من ٢٤ ساعة هو يومٌ واحد، لكنّ هذا اليوم الواحد يجمع بين المساء والصباح «وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْماً وَاحِداً» (تك ١ : ٥). والعقل يقبل هذه الوحدانية الجامعة للمساء والصباح بلا اعتراض.

- ولكي يستطيع الإنسان أن يحصل على حجم مكعّبٍ واحد، فلا بد أن يعرف طوله وعرضه وارتفاعه، ومع أن الطول قياسٌ قائمٌ بذاته، والعرض قياسٌ قائمٌ بذاته، والارتفاع قياسٌ قائمٌ بذاته، لكن هذه الأبعاد تُكَوِّنُ الحجم الكليّ للمكعب الواحد، ولا يمكن معرفة حجم المكعّب بغير معرفتها، **والعقل يقبل هذه الوحدانيّة الجامعة في المكعّب الواحد بلا اعتراض**[١].

ثم ينقل نموذجاً لبعض قساوستهم يشبّه به الثالوث بالشمس وحرارتها ونورها.

أقول: هذه الأمثال كلّها لا تخرج عن التركيب، فإن اليوم (مركّبٌ) من أجزاء هي ساعاته، وساعاته من دقائق وهكذا، والمكعّب أو أي وجود آخر غير بسيط مركّبٌ من أجزائه، يحتاج إليها وليس له وجود دونها، **والله تعالى منزّهٌ عن التركيب وعن الأجزاء باتّفاق المسلمين والنصارى**، وهذه مغالطةٌ واضحةٌ من

(١) هل المسيح هو الله!؟ ص٢١-٢٢.

القسّ ميخائيل، ولا يرتفع التناقض بقوله هذا، لأنّه:

إمّا أن يَدُلَّ على أنّ الله تعالى مُرَكّبٌ، وهم قائلون بكونه غير مُرَكَبٍ فيقع التناقض.

وإما أن يدلّ على أنّه تعالى غير مركّب، فيسقط الاستدلال رأساً بما عبّر عنه (الوحدانية الجامعة) لأنّ العقل إنّما يقبل هذا المعنى في المركّب حصراً، أما في البسيط فإنّه يحكم باستحالتها، **لذا يكون التثليث مع التوحيد مستحيلاً في نفسه.**

٢. إثبات أنه ضد العقل

تَبَيَّنَ أن **الجمع بين عقيدة التوحيد والتثليث يؤول إلى التناقض** (فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد) **وإلى الشرك**، من جهة لزوم تعدُّد الآلهة، مع القول بوحدة الجوهر.

ويتّضحُ التناقض مع الإلتزام بأن الثلاثة هم إلهٌ واحد، وليس كلٌّ منهم إلهاً! دون أن يلزم من ذلك تركيب ولا تعدُّد! وهو ما لا يقبله العقل البشري.

بعدما تبيّن ذلك، فإنّه لم يكن أمام عددٍ من علماء النصارى طريقٌ سوى التسليم بأن (**الثالوث صليب العقل**)! وأن العقل صار (ضحية الثالوث)، وأنّ علينا أن **نُصَدِّقَ بالمستحيلات لو دلَّ عليها الدليلُ الإلهي!** ويصبح **التناقض مقبولاً** في هذه الصورة! وغير ذلك مما **لا يمكن لعاقلٍ أن يوافق عليه** ما لم تكن قد **ترسّخت في ذهنه شُبهَةٌ مَهُولةٌ قطعت الطريق على حكم العقل القطعيّ بامتناع اجتماع المتناقضين حتى في الذات الإلهية المقدسة**، يسوغُ معها حينئذ الاعتقاد بأنّ الله تعالى موجودٌ وغير موجود!

ويلزم من هذا الكثيرُ من اللوازم الفاسدة التي تضرب في الصميم كلَّ حِراكٍ علميٍّ وفِكريٍّ وعقليٍّ للبشريّة.

ومن نماذج كلماتهم في ذلك:

الثالوث صليب العقل!

يقول الشمّاس اسبيرو جبّور: **الثالوث هو الإلهُ الواحد، يسوع الرب الواحد هو الإلهُ والإنسانُ معاً. إنهما عقيدتان تصلبان حتّى عقل الملائكة!**[1].

ويقول: **التوحيد التثليثيّ، والتجسُّد الإلهيّ، صليبان كبيران لرجال الفكر**[2].

وكما أطلق كلمته بكل بساطة، نجيبه بأننا نجد أنفسنا مضطرين لردِّ هذه العقيدة، **حفاظاً على عقولنا من الصَّلب، ومَنعاً لها من أن يُضحَّى بها على مذبح الكهنة والقساوسة.**

لم يُنعِمِ الله تعالى علينا بالعقول كي نهديها لهم لقمةً سائغةً وندعهم متحكِّمين بنا وبمصيرنا وبعقولنا بلا حُجَّةٍ ولا بيّنة!

أما لماذا يكون الثالوث صليب العقل؟ لأنّه يعني أن الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد! وعقلُ البشر صغاراً وكباراً لا يُقرّ بذلك!

كم يكون هذا الأمر مصداقاً للآية الشريفة؟ هذا متروك لفطنة القارئ

---

(١) سر التدبير الإلهي التجسد ص٢٢.

(٢) سر التدبير الإلهي التجسد ص٢٤.

الكريم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ الله قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ **لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾[1].

يحاول جبّور أن يخفف الوطأ بنِسبَة الصدمة للعقل اليوناني خصوصاً! **وكأنّ قاعدة: (الواحد لا يساوي) ثلاثة هي قاعدةٌ منطقيةٌ يونانيةٌ حصراً!** وليست قاعدةً عقليةً بشريةً **لا يمكن نقضها بحالٍ من الأحوال**، ويحاول أن يهوّل على النصارى الذين قد لا يقنعهم القول بالثالوث، ليقول لهم أن إنكار مفردةٍ غيبيةٍ لا يقبلها العقل سيؤدي بكم إلى الخروج عن الدين!

يقول جبّور: الدين يقوم على الإيمان بأمور غيبيّة.. **إمّا أن يقبل المرء الوحيَ اليهودي - المسيحي ككلّ، وإما أن يرفضه ككلّ. التجزئة مستحيلةٌ.** هناك العهد القديم توطئةٌ للعهد الجديد. مَن قَبِلَهُما قَبِلَ ما فيهما من أمورٍ تفوق العقل.. **ما هي الصّدمة التي نالها العقل اليوناني؟ لم يستطع أن يفهم كيف أن الله واحد = ثلاثة**[2].

مسكينٌ أنت أيُّها العقل لمّا وضعوك على الصليب!

لعلّ بولس عدو المسيحية الأول الذي صار مبشّرها الأول هو أوّل من فتح باب القول بالثالوث، ثم تبلورت عقيدةً على يد جملةٍ من آباء الكنيسة الأوائل، عقيدةٌ غاصت في البحث عن الذات الإلهية المقدسة، فأورثت التيه والضلال والحِيرة، وخرجت بنتيجةٍ غارقةٍ في التناقض المقيت.

إن ملابسات ما جرى بين النصارى في القرون الأولى للمسيحية،

---

(١) البقرة١٧٠.

(٢) سر التدبير الإلهي التجسد ص٢٩.

والخلافات العقديّة الحادة، والمجامع المسكونيّة المتضاربة، والمراسلات بين الآباء، والمواقف من مختلف الأطراف، والتي تعرّضت لها كُتُبٌ عدّة منها كتاب الشماس جبّور هذا تكشف جانباً من **الضياع الذي أصاب القوم** حينما غاصوا في الذات الإلهية المقدسة، **وتوضِحُ جليّاً أثر الصبغة البشرية**، حيث كانت بصماتها واضحةً في تحديد معالم العقيدة الكنسيّة.

أما الاختلافات المذهبيّة بينهم والتي تعدّدت خلفيّاتها فكانت أوضح نموذجٍ عن تبلوُرِ عقيدة الثالوث بحسب الخلفيّات الفكريّة المسبقة عند هذه الفرقة أو تلك.

ليس صحيحاً أنّ العقل اليونانيّ هو الذي عجز عن فهم كيف يكون الواحد ثلاثة ١=٣ كما يقول جبّور.

إنما هو العقلُ البشريّ، **وليس حكمه هو التوقّف والعجز عن الفهم، إنما الحكم بالاستحالة قطعاً، لذا علّقوه على صليبهم!**

ومن قال بذلك لا نَعجَب أن يقول: **الآب إلهٌ قائمٌ بذاته، والابن إلهٌ قائم بذاته، والروح القدس إلهٌ قائمٌ بذاته. ولكنّهم ليسوا ٣ آلهة بل إلهاً واحداً غير منقسم!** القول بعدم ألوهيّة الابن والروح يُزيلُ التثليث. والقول بأن الثلاثة ٣ آلهة منقسمين سقوطٌ في الوثنية. **فكيف يمكن إذاً التعبير عن الواحد في ثلاثة، عن ١ = ٣ ؟** .. وفي هذا لا نقول إلهاً أولاً وإلهاً ثانياً وإلهاً ثالثاً. **فدائماً في الثالوث، الواحد = ٣**. ليس العدد كما في الحساب، فالله غير قابل للزيادة[1].

(١) سر التدبير الإلهي التجسد ص٢٠٤.

ولا عجب أن يقول حينها: في سر التثليث حيث كنّا أمام **واحد=ثلاثة، دون زوال الوحدة أو الثالوثية؟**[١].

فليتأمّل القارئ الكريم كلامهم، وليرى انطباق حديث خامس الأئمة المعصومين عند المسلمين الشيعة عليهم، الإمام محمد الباقر عليه السلام حين يقول: إِنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى قَوْمٌ **تَرَكُوا عِلْمَ مَا وُكِّلُوا بِهِ،** وَ**طَلَبُوا عِلْمَ مَا كُفُوهُ، حَتَّى انْتَهَى كَلَامُهُمْ إِلَى الله فَتَحَيَّرُوا،** حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُدْعَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ، وَيُدْعَى مِنْ خَلْفِهِ فَيُجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: حَتَّى **تَاهُوا فِي الأَرْض**[٢].

هل يريد النصارى أن يعرفوا ما الذي أوصل آباء الكنيسة وكبار القساوسة إلى صلب العقل؟!

لعلّهم لم يسمعوا كلمات النور من منبعها الصافي بعدما تلاعب بها هؤلاء القساوسة، وها نحن ننقلها من النبع الصافي، العترة الطاهرة لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله، حيث بيّنوا الأمر جلياً فقالوا فيما روي عنهم:

١. عن أبي عبد الله عليه السلام: **إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي الله، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي الله لَا يَزِيدُ إِلَّا تَيْهاً،** إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾ وَلَا يُوصَفُ بِمِقْدَارٍ[٣].

---

(١) سر التدبير الإلهي التجسد ص٢١٥.

(٢) الكافي ج١ ص٩٢.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق ص٥٠٣.

٢. وعنه عليه السلام: يَا مُفَضَّلُ، **مَنْ فَكَّرَ فِي اللهِ كَيْفَ كَانَ هَلَكَ**[١].

٣. وعن أبي جعفر عليه السلام: تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ **وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللهِ**[٢].

٤. عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللهِ**، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ **فَانْظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ**[٣].

٥. عن أبي عَبْدِ الله عليه السلام: **مَنْ نَظَرَ فِي اللهِ كَيْفَ هُوَ هَلَكَ**[٤].

٦. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ أَلحدَ**[٥].

٧. وعنه عليه السلام: **مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ تَزَنْدَقَ**[٦].

٨. وعنه عليه السلام: اتَّقُوا اللهَ أَنْ تُمَثِّلُوا بِالرَّبِّ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ.. **أَوْ تُعْمِلُوا فِيهِ الفِكْرَ**[٧].

٩. وعن أبي عبد الله عليه السلام: إِيَّاكُمْ وَالكَلَامَ فِي اللهِ، تَكَلَّمُوا فِي عَظَمَتِهِ وَلَا تَكَلَّمُوا فِيهِ، **فَإِنَّ الكَلَامَ فِي اللهِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَيْهاً**[٨].

١٠. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي الله

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق ص٤٦٠.

(٢) الكافي ج١ ص٩٢.

(٣) الكافي ج١ ص٩٣.

(٤) الكافي ج١ ص٩٣.

(٥) عيون الحكم ص٤٤٩.

(٦) عيون الحكم ص٤٥٦.

(٧) روضة الواعظين ص٣٧.

(٨) التوحيد للشيخ الصدوق ص٤٥٧.

فَإِنَّ الكَلَامَ فِي الله لَا يَزْدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحَيُّراً(١).

فليتأمّل متأملٌ بهذه الكلمات، وليقارن بينها وبين ما وقع فيه علماء النصارى، وليستمع لكلمةٍ تدخلُ إلى صميم القلب دون استئذان: ﴿**فَذَلِكُمُ الله رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلا الضَّلالُ** فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾(٢).

العقل ضحيّة الثالوث!

يقول القسّ منسَّى يوحنا: إنَّ الاعتقاد بسِرّ الثّالُوث الأقدس هو أعظم إكرامٍ تستطيع الخليقة أن تُقدِّمه لله، وذلك لأنَّ الإقرار بأنَّ الله أعظم من أن يُدرَك بالعقل البشريّ هو أعظمُ إكرامٍ له. ولعمري أيُّ سِرٍّ أغمض من سِرّ الثّالُوث؟ فباعترافنا إذاً بهذا السِّر نُكرِّم الله، لأنَّنا **حينئذ نُضَحِّي له أعظم شيء فينا وهو العقل**، وليس هذا فقط، بل إنَّنا نُضحِّيه عن نوعٍ غريب، إذ **أنَّنا نعترف بسِرٍّ لا معرفة لنا به البتَّة ويستحيل على عُقُولنا القاصِرة إدراكه أو معرفته، ولكن الله قد أوحاه لنا ونحن اعتقدنا به دون أن نضعه تحت حُكم العقل، وهذا يجعل ضحيّتنا كاملةً**، لأنَّنا نعتقد بما يسمو عقولنا، ويعلو فوق فهمنا البشريّ(٣).

ومرّة أخرى يضحي القساوسة بعقولهم وعقول أتباعهم أمام سرِّ الثالوث الذي يُقِرُّون بعدم إدراكه أو معرفته! فكيف يطلبون منّا أن نتّبعهم دون أن نضعه تحت حكم العقل! حتى يصبح العقل ضحيّة كاملة؟!

(١) الكافي ج١ ص٩٢.

(٢) يونس٣٢.

(٣) شمس البر ص١١٥.

هل يقبل القس يوحنا أن يضحي بنفسه وماله مقابل شيءٍ لا يفهمه؟! إن مِن أبجديات الفكر البشريّ أن يعرف الإنسان ما يقدم عليه، وينبغي أن يكون إقدامه في مسائله الهامّة **مبنيّاً على أدلةٍ قطعيةٍ لا تقبل النقاش، لا على ما يخالف القواعد المنطقيّة والعقليّة القطعيّة.**

إن في كلماته مغالطةٌ بيّنة، فإن المسلمين أيضاً يعتقدون أن الله أعظم من أن يُدرَك بالعقل البشري، لكنهم **لا يستهينون بعقولهم إلى حد الاعتقاد بالتناقض في الذات الإلهية، أن يكون الله واحداً والواحد ثلاثة!**

نعم يشترك المسلمون معهم في أنّ معرفة حقيقة الذات الإلهيّة مما يسمو فوق العقول ويعلو الأفهامَ البشريّة القاصرة، لكنّهم لا يقرّون بإمكان اجتماع التناقض في الذات الإلهية المقدسة، فلا يمكن أن يجتمع التوحيد حقيقةً مع التثليث.

إن في هذا **تضيحةٌ صريحةٌ بالعقل كما قال، والعقلُ هو الميزان في الثواب والعقاب، فكيف يطلُبُ الله تعالى منا أن نضحي بعقولنا؟!**

إن هذا الطلب مُجحِفٌ بالفطرة البشرية، ومخالِفٌ لتعاليم الكتاب المقدّس حيث أكّد على أهمية العقل بقوله: **فَالعَقْلُ يَحْفَظُكَ، وَالفَهْمُ يَنْصُرُكَ**[1].

فأيُّ حفظٍ هذا بعد التضحية بالعقل؟!

معرفة الله لا يصدقها عقل!

يخلط توماس ف. تورانس بين أمرين: الأول هو عدم معرفة الذات الإلهيّة المقدسة، والثاني هو إمكانّية هذه المعرفة بطريقةٍ لا يصدّقها العقل! وذلك عبر

(١) الأمثال ٢: ١٠-١١.

الثالوث والتجسد!

يقول: الله هو الذي يُعرّفنا ذاته بذاته. وإذا تحدّثنا بصورةٍ أكثر تدقيقاً (كما أشار ق.إيريناؤس): نستطيع أن نقول أنّ الله فقط هو الذي يعرف ذاته، وبالتالي **فلا يمكن معرفة الله إلا من خلال الله فقط**، وبما أنّ الله وحده كائنٌ داخل سرمديّته ولا نهائيّته الذاتيّة، فإنّه هو وحده الذي يستطيع أن يعرف ذاته بطريقةٍ تتفق تماماً مع من هو الله.. لذلك **فإذا أردنا حقاً** أن نعرف الله فهذا يتأتى فقط من خلال **المشاركة - بشكل لا يصدِّقُه عقل-** في المعرفة التي يملكها الله عن ذاته. أي أنّنا نستطيع معرفة الله فقط إذا أدخَلَنا هو في شركة معه في العلاقات الداخليّة له كآبٍ وابنٍ وروحٍ قدس، وهذه المشاركة في المعرفة التي لله عن نفسه صارت ممكنة من خلال تجسد ابن الله وبواسطة روح الآب والابن[1].

المشاركة التي يتحدثون عنها إنّما تكون بشكل لا يصدِّقُه عقل، ونحن **عملاً بما يُمليه عقلنا**، والذي أقرّه التوراة والإنجيل كما تقدّم في الفصل الأول، نجد أنفسنا **مضطرين لردّ هذه العقيدة التي لم يقم عليها دليلٌ** من عقلٍ ولا نقل.

تعطيل قواعد المنطق

لقد سبق الاب صفرونيوس المعاصر لنبي الإسلام محمدٍ ﷺ القساوسةَ المعاصرين فيما ذهبوا إليه كما تبيّن من كلماتهم، حيث التزم **بعجز قواعد المنطق حتى في مثل اكتشاف التناقض** عند الحديث عن حكمة الله، فكيف بالثالوث وهو سرّ الأسرار!

---

(١) الإيمان بالثالوث ص٧٦.

يقول: **ومعرفة قواعد المنطق لازمةٌ لفحص الحُجة والدليل، ولاكتشاف التناقض، أو الباطل في كلام الناس**.. ولكن قواعد المنطق مهما كانت **تعجز أمام عمل الله**.. إن قواعد معرفة الصواب من الخطأ - رغم ضرورتها - فهي **خاصةٌ بنا نحن البشر، ولا يمكن أن تُستخدَمَ كأداةٍ لفحص حكمة الله، لأنّ حكمة الله أعظم**[١].

وههنا أغلق الاب صفرونيوس الباب أمام المنطق حتى في مثل اكتشاف التناقض، وفتحه واسعاً أمام الإعلانات الإلهية، حتى لو كانت متناقضةً بحسب العقل، وما ذاك إلا لإثبات صحّة الثالوث والتجسُّد المُناقِضَين للعقل!

وعليه: كيف نميّز صحة هذا الإعلان الإلهيِّ من سقمه؟ مع كثرة الأنبياء الكذبة بحسب الكتاب المقدس؟

ألا يُحتملُ أن يكون الإعلان الثالوثيُّ من إعلانات الأنبياء الكذبة؟ ألا ينبغي أن نميِّز الحق من الباطل قبل أن نتبعه؟

لعل الاب صفرونيوس وإن سمع بدعوة النبي ﷺ إلى الإسلام وهو المعاصر له، إلا أنه لم يسمع أو يعمل بالآية الشريفة: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُولَئِكَ هُمْ **أُولُو الالبَابِ**﴾[٢].

فأيُّ حُسنٍ فيما يؤدي إلى تعطيل قواعد المناطق والالتزام بالمتناقضات؟

ولو كان العقل هنا وقواعد المنطق معطّلة كيف أمكن الاستدلال على

(١) فرح الخليقة الجديدة ص١٥.

(٢) الزمر١٨.

التوحيد رأساً؟ أليس الاستدلال بأفعال عيسى عليه السلام الإعجازيّة على نبوّته إنما يُقبَل بالعقل؟ فإن كان العقل مُعَطَّلاً هنا كيف نستدل به؟

ههنا صار المسيح عثرَة لهؤلاء النصارى، وقد قال يوماً: **وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ**(١).

كيف لا تكون هذه عثرةٌ في المسيح، والأب صفرونيوس يقرّ بأن ما ذهبوا إليه إنما أوصلهم إلى حمل (كلّ تناقض الفكر)! يقول: ندرك أسرار المحبة، لا أسرار جوهر الله، لأننا **لا نقدر أن ندرك أسرار جوهر الله**، بل ندرك فقط ما تعلنه لنا المحبّة عن جوهر الله، ومن يدرك أسرار المحبة ويمارس المحبة يتعثّر، أما من يحاول بالفضول وبشموخ الفكر أن يدخل هذا الهيكل المقدس، **فإنه سريعاً ما يخرج حاملاً معه كل تناقض الفكر وعجزه**(٢).

عطف في العبارة الأخيرة عجز الفكر على تناقضه، ونحن نقرّ بالعجز دون التناقض، لأنه **لا يمكنُ أن يكون الإله متناقضاً بحسب العقل إذ سيدعو العقلُ حينها إلى عدم الإيمان به**، لأن المنع من اجتماع المتناقضين من أهم ركائز العقل، فإن سقطت سقط معها كلُّ استدلالٍ عقليّ.

العقلُ يركعُ خارجاً!

يحاول القس إيدن ويلسون توزر الجمع بين ما تقدّم من تعطيل العقل، وبين اعتماد الدين على العلم والعقل والدراسة للكتاب المقدس، حيث يواجه

(١) متى١١: ٦.

(٢) فرح الخليقة الجديدة ص٢٨.

النصارى في ذلك معضلةً عويصة، فيحاول التأكيد أنّه لا بدّ من التحقُّق من (سلامة النصّ) أوّلاً، وبعد ذلك **على العقل أن يركع بخشوعٍ خارج دائرة الإيمان!** وليس له الحقُّ في أن يحكُم على (الكلمة) بأنها **معقولةٌ أو غير معقولة!**

كيف يجتمع ذلك مع العلم والمنطق والعقل؟! كيف يجتمع مع نصائح الإنجيل المتعددة بلزوم الأخذ بالحليب العقلي؟! ألا يخشى مِن أن يصيبه الصّرع لقول الكتاب المقدس: **شَعْبٌ لاَ يَعْقِلُ يُصْرَعُ**[(١)]؟

يقول القس إيدن ويلسون توزر: فهل معنى ذلك أننا نحكم على الدرس أو العلم بأنّه عديم القيمة في مجال الإعلان الديني؟ كلا وحاشا، فالدارس يلعب دوراً هاماً في حدودٍ متيقنة التعيين. وواجبه أن يضمن سلامة النص، وأن يدقّق جهد طاقته في الالتزام بالكلمة كما أُعطِيَت أصلاً. وله أن يقرن الكتاب بالكتاب حتى يعرف المعنى الحقيقي للنص. **وهنا تنتهي سلطته.** فلا يجب عليه أبداً أن يأخذ مكان الحكم على ما هو مكتوب، **ولا يجب عليه أن يجرؤ على وضع معنى الكلمة في قفص الاتهام أمام عقله. ولا يجب عليه أن يجرؤ على امتداح الكلمة او الحكم عليها بأنها معقولةٌ أو غير معقولةٍ أو أنها علميّةٌ أو غير علمية**.. إن عقيدة التثليث حقٌّ للقلب، وروح الإنسان فقط هي التي تستطيع أن تدخل إلى داخل الحجاب، إلى قدس الأقداس.. فالمحبة والإيمان يدخلان إلى سر اللاهوت، **أما العقل فليركع بخشوعٍ خارجاً**[(٢)].

إن اختلال الموازين في سُلَّم البحث عن المعرفة أودى بهم إلى إنكار الحاجة

---

(١) هوشع ٤: ١٤.

(٢) معرفة القدوس ص١٩.

للبرهان، وإلى **لزوم الإيمان بالمستحيل!** قال القس توزر: إن القلب يعترف بما يعلنه الله دون ما حاجةٍ إلى برهانٍ آخر. بل ان البحث عن برهانٍ تسليمٌ بالشك، **والعثور على برهانٍ يجعل الإيمان غير ضروريّ**. وكلُّ إنسانٍ أوتي بموهبة الإيمان يعرف حكمة تلك الكلمات الجريئة التي نطق بها أحد آباء الكنيسة الأولين: "أنا أؤمن أن المسيح مات عنّي لأن هذه الحقيقة بعيدة التصديق، **وأنا أؤمن أنه قام من الأموات لأن هذا مستحيل**"(١).

لقد عَدَّ العثور على برهانٍ منافياً لكمال الإيمان، وامتدح حكمة الإيمان بالمستحيلات! وكلمة أحد آباء الكنيسة وإن أخطأت في كون القيام من الموت مستحيلاً، فإنّه ممكنٌ في نفسه بلا شبهة، لذا صار بالإمكان قبوله وتصديقه، إلا أنها **أورثتهم ثلمَةً لا تُسَدُّ في أسِّ العقيدة الكنسيّة**، حينما صار الإيمان بالثالوث مع التوحيد أصلَ الدين، مع كونه **مستحيلاً واقعاً!**

نعم لعقولهم أن تركع هنا لأنّهم اختاروا لها ذلك، **ولكن ليس لهم أن يُلزموا عقول الآخرين بذلك**، إنّ رأس مال الإنسان في هذه الدنيا هو العقل، **أفَيَزهَدُ بأثمن ما أعطاه الله تعالى تقليداً لآباء الكنيسة؟!** فيُصَدِّق بالمستحيلات؟!

لقد حاول الآباء والقساوسة **إخمادَ جذوة الفكر كلّما رامت الخروج عن حياضهم التي حدّوها باجتهاداتهم**، تحت ذريعة قصور الإنسان وجهله لأبسط مظاهر الطبيعة، فقال القس توزر: ولقد أنكر فكرة الإله المثلّث الأقانيم أولئك الذين يرفضون كلّ نظرية لا يستطيعون تعليلها. فهم إذ يحاولون فهم العليِّ بنظرتهم الباردة الجسدية **يخلصون إلى القول بأنه يستحيل أن يكون الله واحداً**

(١) معرفة القدوس ص١٩.

وثلاثة في آن واحد، وينسون أن حياتهم كلها يحيط بها الغموض، وقد فاتهم أن **أيّة محاولةٍ صادقةٍ لتفسير أبسط الظواهر الطبيعية تكمن في غموضٍ وإبهامٍ** وليست أيسر من فهمها من سر الثالوث الأقدس[1].. ولقد أنكر البعض أن الكتاب المقدس يُعَلِّمُ أنّ الله ثلاثة أقانيم **زاعمين أنّ فكرة التثليث في واحدٍ هي تناقضٌ في الكلمات، ولكننا ما دمنا عاجزين عن تَفَهُّمِ سقوط ورقة شجرٍ على الطريق، أو فقس بيضة عصفورٍ في عشه، فلماذا يكون التثليث عقدةً بالنسبة لنا؟**[2].

ولعمري أيُّ أبٍ وقِسٍّ هذا الذي **يراوغ مع أبنائه؟!** هل يستغلُّ الآباء والقساوسةُ تصديقَ الأتباعِ لهم **ليبذروا فيهم بذرة التسليم بالجهل ومخالفة المنطق؟!**

ألا يرون أن المُنصِفَ يتمكّن من التمييز بين أمرين:

أولهما: المظاهر الطبيعية التي لا يتمكن من تفسيرها ومعرفة قواعدها، لكنّه لا يرى فيها مناقضةً للعقل ولا جمعاً بين المتناقضات، وهو ما يلمِسُهُ الإنسان في جَسَدِهِ وروحه وسائر مخلوقات الله تعالى، فكلٌّ منا يقرُّ بضحالة علمه أمام علم الله عزّ وجل: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلا قَلِيلاً**﴾[3].

ثانيهما: المسائل التي **يحكم العقل باستحالتها،** كوجود القس توزر وعدم وجوده في نفس الوقت وبنفس المعنى**!** وكالجمع بين التوحيد والتثليث**!**

(١) معرفة القدوس ص١٧.

(٢) معرفة القدوس ص١٨.

(٣) الإسراء٨٥

لسنا نطمَعُ في إيمان غير المُنصِف، فقد قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ **يَسْمَعُونَ كَلامَ الله ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[١].

الجمع بين المتناقضات الظاهرة!

يقول الاب فاضل سيداروس: **إنّ الجمع بين الشيء ونقيضه** (النور / الظلام) يسمِّيه الفلاسفة واللاهوتيون (المفارقة *Paradoxe*)، وما يبدو متناقضاً في الإنسان، **يتجاوزه الله إذ يجمع بين المتناقضات الظاهرة**. فالله هو النور والظلام، وهو البعيد القريب، وهو المتعالي المتواضع.. **وهو – في ما نحن بصدده – أحدٌ وثلاثة، بدون تناقضٍ** بين الواحد والثلاثة[٢].

ههنا محطّ الرحال لو أراد النصارى تجاوُزَ ما وقعوا فيه: فإنّ هناك فرقاً كبيراً بين ما (يبدو متناقضاً في الإنسان) وبين ما هو (متناقضٌ حقيقةً في الإنسان).

وهناك فرقٌ بين (المتناقضات الظاهرة) و(المتناقضات الحقيقيّة الواقعيّة).

والخلطُ بين هذين الأمرين يوقعُ النصارى فيما وقعوا فيه، فإنّ المسائل التي قد يُقالُ بتناقضها على قسمين:

القسم الأول: هو ما يبدو للوهلة الأولى أو بحسب الظهور البدويِّ متناقضاً.

ولكنّك بعد التدقيق فيه والفحص والتأمل ترى أنك قد توهّمتَ تناقُضَهُ،

---

(١) البقرة٧٥.

(٢) سر الثالوث الاحد ص٢١-٢٢.

وتحكُم عليه بأنّه ليس متناقضاً.

فقولنا مثلاً: الله قريبٌ بعيدٌ، أو: **قريبٌ في بُعدِه بعيدٌ في قربه**[١]، يظهر منه للوهلة الأولى أنه متناقضٌ، لأنّ **جهة القرب والبُعد إن كانت واحدةً فلا يمكن أن يكون قريباً وبعيداً في الوقت عينه من نفسه الجهة واللحاظ.**

لكنّا إذا تأمّلنا نجد أن لا محلّ للتناقض بوجهٍ من الوجوه، فإن **للقُربِ جهةً وللبعد جهةٌ أخرى.**

وكلاهما ليسا مادّيين لأنّ الله تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان وعن الجسميّة، فهو عزّ وجلّ أقرب إلينا من أنفسِنا من جهة كونه القادر على كلّ شيء والمحيط بكل شيء والعالم بكل شيء.

وهذا القربُ حالَ بُعدِهِ عن مشابَهَةِ المخلوقات ومجانستها، فلا يكون قربه أو بُعدُهُ عنهم مادياً ليلزم التناقض.

القسم الثاني: هو ما يكون متناقضاً حقيقةً حتى بعد إمعان النظر والتدقيق فيه، فإن التناقض يستقرُّ ويزدادُ وضوحاً كلما بحثت فيه.

فلو قلت أنّ الواحد هو ثلاثة، يظهر للوهلة الأولى أنه متناقض.

وههنا احتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول: أن يُراد بالواحد وبالثلاثة لحاظاتٌ مختلفة، فلا تناقُض.

الاحتمال الثاني: أن يُراد بالواحد والثلاثة معانٍ مختلفة فيكون أحد المعنيين مجازياً والآخر حقيقياً، ويرتفع التناقض حينها.

---

(١) كما عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الكافي ج١ ص٨٦.

الاحتمال الثالث: أن يُراد بالواحد وبالثلاثة المعاني الحقيقية، فيكون التناقض ثابتاً لا مفرّ منه أبداً.

أما الاحتمال الأول، وهو إرادة اللحاظات المختلفة، فقد قال به علماؤهم، فأفضى إلى توحيد الجوهر **وتثليث الأقانيم أي الأشخاص**، وكان في **حقيقته شركاً بالله تعالى**.

ومع القول بالتوحيد يَضُمُّ هذا الاحتمال إلى جانب الشرك بالله التناقض المُستَقِرّ، لأنّه يؤول إلى الاحتمال الثالث بمعنىً من المعاني.

أما الاحتمال الثاني، فلو قَبِلَهُ النصارى **وحَمَلوا التثليث على المجاز مثلاً بأن قالوا أن الثالوث هو نوع إشارةٍ إلى صفاتٍ من صفات الله تعالى**، كما يشترك المسلمون والمسيحيون في وصف الله تعالى بصفات الكمال، **لو قبلوا ذلك لصار الخلافُ لفظياً**..

ولانتفى التناقضُ رأساً، فالله واحدٌ حقيقةً، وأما الثالوث فهو لفظٌ مجازيٌّ لا يُراد منه أنّه ثلاثةٌ حقيقة.

إذ كيف يمكن أن يكون الواحدُ حقيقةً ثلاثة حقيقة؟! هذا **ما لا يمكن للعقل أن يقبله ولو دلت عليه آلاف الأدلة النقلية**.

ومع تَمَسُّك النصارى بالمعنى الحقيقيّ للواحد والثلاثة، وعدم قبولهم حمل أحد المعنيين على المجاز، يصبح **الواحدُ مساوياً للثلاثة! ويُضَحَّى بالعقل على مذبح الثالوث!**

وههنا يصدق المثل القائل: أن النصارى أُكِلُوا يوم أُكِلَ الثور الأبيض![1].

حين سقط العقل وحصلت التضحية به، اضطروا الى الالتزام بالتناقض الصريح الذي لا مهرب منه ولا مفرّ.

فإن قيل: إن التناقض الصريح بهذا الشكل ممكنٌ في الذات الإلهية حصراً لأنها عَصِيَّةٌ على الإدراك.

قلنا: لن نؤمن معكم بإلهٍ تجتمع فيه المتناقضات لأن هذا خلاف الكمال، **وخلاف العقل الذي نراه حجةً على الشرائع بغير ما ترون.**

تناقضاتٌ ظاهريةٌ تجتمع بحسب الخبرة الروحية

يقرّ كوستي بندلي بأن في العقيدة المسيحية تناقضاتٍ لا حصر لها بحسب الظاهر، ويقرّ بأن الجمع بينها لا يمكن أن يتمّ على المستوى العقلي! إنما على المستوى الروحي حصراً! وكأنّه يقول للإنسان: عليك أن تضع عقلك جانباً

(١) **أي أنّهم لما ضحوا بالعقل وتنازلوا عن التثبُّت من صحة النقل طريقاً ومعنى، وصل بهم الحال إلى الالتزام بالمتناقضات.** والمثال المعروف هو: (إِنَّمَا أُكِلْتَ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ)، وقصته: زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ في أَجَمَةٍ ثَلاثَةُ أَثْوَار- أَبيَضُ وأَسوَدُ وأَحمَرُ- ومعهم فيها أَسَدٌ، فكانَ لا يَقْدِرُ عليهنَ لاجتِمَاعِهِنَّ عليهِ، فقالَ يَوْماً للأَسوَدِ والأَحمَرِ: إِنَّ لَوْني على لَونِكُما ولَوْنُ الأَبيَضِ غَريبٌ بَيْنَنا، فلو تَرَكْتُماني آكُلُهُ خَلَتْ لَكُما الأَجَمَةُ وصَفَتْ. فَقالا: كُلْهُ، فأَكَلَهُ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّام قالَ للأَحمَرِ: لَوْني لَوْنُكَ فَدَعْنِي آكُلُ الأَسوَدَ، فقالَ لهُ: شَأْنَكَ بِهِ، فَأَكَلَهُ، ثُمَّ انفَرَدَ بالأَحمَرِ فقالَ لَهُ: إِنِّي آكِلُكَ لا مَحَالَةَ، فقالَ: دَعْنِي أُنَادِي ثَلاثَةَ أَصوَاتٍ، فقالَ: افْعَلْ، فَنَادَى: إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبيَضُ؛ قالها ثَلاثاً، ثُمَّ أَكَلَهُ. يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْلِمُ أَنصَارَهُ لعَدُوٍّ حَتَّى إذا فَرَغَ منهم أَنحَى عليهِ (الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، ج٧، ص: ١٦٣).

وتلتزم بالتناقضات غير المحدودة، بل **تؤمن بها حتى تؤمن بها!** إن الطريق الطبيعيّ لأيّ مسألةٍ هو قيامُ الدليل عليها، لكن هنا يصبح قيام الدليل متوقفاً على التصديق، والتصديقُ متوقفٌ على قيام الدليل!

يقول بندلي: العقائد المسيحية تحوي - **حسب الظاهر - تناقضاتٍ لا حصر لها**. فمثلاً نقول بأنّ الله واحدٌ وإنه في الوقت ذاته مثلث الأقانيم.. ونقر بأن المسيح إلهٌ وإنسانٌ في آن.. كل هذه التناقضات - ظاهرياً - تعبّرُ مجتمعة عن الحقيقة، **ولكن الجمع بينها لا يتم على المستوى العقليّ، بل على مستوى الخبرة الروحية**، وهذا هو معنى السر في المسيحية[١].

لقد كان بندلي صريحاً بخلاف بعض علماء النصارى الذين أتعبوا أنفسهم وأتعبوا الناس معهم في محاولة شرح الثالوث بحسب العقل، وههنا يتبين أن **ليس للعقل سبيلٌ إلى ذلك، إنما على المؤمن التسليم دون أن يتعقّل!** ولو رأى ذلك جمعاً بين المتناقضات!

التناقض في ما سوى المادة!

للأب توماش شبيدلك اليسوعي محاولةٌ للتخلّص من إشكال التناقض في عقيدة التثليث، تبتني على التمييز بين المادة وما وراء المادة، فيقرّ بأنه لا يمكن أن يكون الواحدُ ثلاثةً إلا مع القول بالتجزئة، ولكنّ هذا مقصورٌ على عالم المادة ولا يشمل ما وراءها، وعليه **يمكن قبول التناقض في الذات الإلهية المقدسة!**

يقول: يواصل المشكّكون قولهم (كيف يمكن للواحد أن يكون ثلاثة)

(١) مدخل الي العقيدة المسيحية ص١٨.

بدون تجزئة؟! وهذا بالطبع **هو الصواب عينه بالنسبة للأشياء المادية**. أما بالنسبة للأشخاص الذين يحيون الإيمان، يؤمنون إيماناً قوياً بأنّ ثلاثة أشخاصٍ يشكّلون شخصيّة واحدة، وهذا هو الغنى الحقيقي الذي يزرعه الإيمان في نفوس المؤمنين[١].

فهو يعترف بأن الإشكال في محله تماماً بالنسبة للأشياء المادية، لكنه يزعم أنه لا ينطبق على مسألة التوحيد.

والجواب: أنّ القول **بالتعدُّد والتوحيد معاً يلازم التجزئة، سواءٌ كان ذلك أمراً مادّياً أم غير مادّي بحكم العقل**، وما ذكره هو دعوى يخالفها الوجدان والمنطق، فكما لم نقبل اتّصاف الشيء بالبساطة والتركيب في آنٍ واحدٍ ومن جهةٍ واحدةٍ في الماديات، كذلك لا نقبلها فيما وراء المادّة، لأنّ العقل يرى في ذلك تناقضاً.

فهل يمكن اتّصاف الملك وهو كائنٌ غير مادّي بالنسبة إلينا[٢] **بالوجود وعدم الوجود معاً؟!** إنّه جمعٌ بين المتناقضات فيما وراء المادة ولا سبيل للقول به،

---

(١) وهذا القيد (بالنسبة إلينا) ناظرُ إلى ما ذهب إليه جمعٌ من علماء النصارى من أن :الملاك مجرّدٌ عن الجسم وعن المادة بالنسبة إلينا، وأما بالنسبة إلى الله فهو جسميٌّ وماديّ (نقله القديس توما الأكويني عن الدمشقي في الخلاصة اللاهوتية ج٢ ص٩)، لكنّ الأكويني ذهب إلى أنّها ليست مادية وليس فيها شيء من الطبيعة الجسمية، وفسّر وصفها بالجسمية بالنسبة إلى الله من جهة أنّها الواسطة بين الله والمخلوقات الجسمية، فتظهر لله تعالى أنّها الطرف الآخر الجسمي لكونها واسطة!! (الخلاصة اللاهوتية ج٢ ص١٠).

(٢) كما في كتاب: نحن في الثالوث ص٢٣.

والثالوث نظيره.

لا ينبغي تحكيم العقل!

يقول الأرخن أ. حلمي القمص يعقوب: من أكثر الأخطاء التي يسقط فيها منكرو ألوهيّة المسيح ما يلي:.. **تحكيمُ العقل وطرح الإيمان خارجاً**، وإذ يريدون أن يُخضِعُوا الحقائق الإيمانية للفحوصات والمقاييس العقلية، **وإذ يظهر ضعفُ العقل ومحدوديّته**، فيلجأون للتبريرات التي تطرحهم بعيداً عن حظيرة الإيمان[1].

ليخلص إلى قوله: حاولت مدرسة أنطاكية إخضاع الحقائق الإيمانية للمنطق البشري الأرسطاليسي، ولذلك خرج من هذه المدرسة أشهر هراطقة القرون الخمسة الأولى[2].

حقائق الإيمان إذاً بما فيها الثالوث لا تخضع للمنطق البشري! ولا يصح فيها تحكيم العقل! مع أن الإيمان بها موقوفٌ على المنطق البشري والعقل!

لا استثناء في خضوع العقل!

يقول الدكتور القس عماد شحادة: في الدراسة اللاهوتيّة **يجب أن يخضع العقلُ للإعلان الإلهي** كما جاء في الكتاب المقدّس. **فعندما يكون هناك تناقضٌ بين الاستنتاج البشري والإعلان يخضع الإنسانُ للإعلان، ليس هناك أي استثناء في هذا**[3].

---

(١) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص١٩٥.

(٢) أسئلة حول ألوهية المسيح: الكتاب الثالث ج١ ص١٩٦.

(٣) الآب والإبن والروح القدس ص٨١.

فهو يذهب إلى أنه ليس هناك أيّ استثناءٍ في لزوم خضوع الإنسان وعقله للإعلان الإلهيّ حتى لو كان في ذلك تناقضٌ!!

إن التناقض في حقيقة الأمر يكشف عن أحد أمرين:

إما عدم صحة الإعلان الإلهي، أو عدم صحة فَهمِ الإعلان الإلهي.

أما ما ذهبوا إليه من لزوم الخضوع لهذا الإعلان حتى لو تَضَمَّن تناقضاً، فهو **منافٍ لحكم الكتاب المقدس من لزوم اتباع العقل** كما تقدم، وقد حثّهم الكتاب المقدس على التعقّل والفطنة لبلوغ الآخرة: **لَوْ عَقَلُوا لَفَطِنُوا بِهذِهِ وَتَأَمَّلُوا آخِرَتَهُمْ**[1].

٣. النتيجة: الثالوث مناقضٌ للعقل مقبولٌ!

نَخلُصُ ممّا تقدّم إلى **حالةِ ضَياعٍ عند النصارى في عقيدة الثالوث**:

فإنّهم يقولون بوحدة الجوهر وتعدد الأقانيم أي الأشخاص، **ومعناه تعدُّد الآلهة، ولا يقولون به!**

وفسروا ذلك تارةً **بأنّه فوق العقل!** وتارة بأنه **ضدّ العقل ولكنه مقبول!**

وأما قولهم بأنها فوق العقل فباطلٌ لما تقدم، حيث ثبت التناقض بيّناً جليّاً.

وأما قولهم بأنها **ضد العقل فصحيح**، ولكن **لا يمكن الموافقة على أي عقيدةٍ ضد العقل** لسقوطها عن الحجية رأساً، لأسبقيّة حكم العقل القطعي على أي حكم آخر.

(١) التثنية ٣٢: ٢٨-٢٩.

٣. مناظرة هشام بن الحكم مع جاثليق النصارى

جَرَت مناظرةٌ بين هشام بن الحكم تلميذ الإمام المعصوم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وكبير أساقفة النصارى بُرَيهَة، أوقَفَ فيها هشامُ بريهةَ على مواطن التناقض في الثالوث، فمع كون الآب والابن واحداً لِمَ صار الآبُ أباً والابنُ ابناً؟ ومع اختلافهما فالإلهُ أحدُهما لا كلاهما، وقد كان بُرَيهةُ منصِفاً طالباً للحق، وقد تَبَيَّنَ ذلك بعد المناظرة الشيّقة التي جمعته بهشام:

عَنْ هِشَامِ بْنِ الحَكَمِ عَنْ جَاثِلِيقٍ[1] مِنْ جَثَالِقَةِ النَّصَارَى يُقَالُ لَهُ بُرَيْهَةُ، قَدْ مَكَثَ جَاثِلِيقَ النَّصْرَانِيَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً، وَكَانَ يَطْلُبُ الإِسْلَامَ، وَيَطْلُبُ مَنْ يَحْتَجُّ عَلَيْهِ مِمَّنْ يَقْرَأُ كُتُبَهُ وَيَعْرِفُ المَسِيحَ بِصِفَاتِهِ وَدَلَائِلِهِ وَآيَاتِهِ.

قَالَ: وَعُرِفَ بِذَلِكَ حَتَّى اشْتَهَرَ فِي النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ وَالمَجُوسِ حَتَّى افْتَخَرَتْ بِهِ النَّصَارَى وَقَالَتْ: لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا بُرَيْهَةُ لَأَجْزَأَنَا، وَكَانَ طَالِباً لِلْحَقِّ وَالإِسْلَامِ مَعَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ مَعَهُ امْرَأَةٌ تَخْدُمُهُ طَالَ مَكْثُهَا مَعَهُ، وَكَانَ يُسِرُّ إِلَيْهَا ضَعْفَ النَّصْرَانِيَّةِ وَضَعْفَ حُجَّتِهَا.

قَالَ: فَعرِفَتْ ذَلِكَ مِنْهُ، فَضَرَبَ بُرَيْهَةُ الأَمْرَ ظَهْراً لِبَطْنٍ، **وَأَقْبَلَ يَسْأَلُ فِرَقَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُخْتَلِفِينَ فِي الإِسْلَامِ**: مَنْ أَعْلَمُكُمْ؟

وَ أَقْبَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَنْ صُلَحَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَأَهْلِ الحِجَى مِنْهُمْ، وَكَانَ يَسْتَقْرِئُ فِرْقَةً فِرْقَةً لَا يَجِدُ عِنْدَ القَوْمِ شَيْئاً.

(١) كلمة أصلها يوناني كانت تطلق على كبير الأساقفة، وهي رتبة أدنى من البطريرك وأعلى من المطران.

وَقَالَ: **لَوْ كَانَتْ أَئِمَّتُكُمْ أَئِمَّةً عَلَى الحَقِّ لَكَانَ عِنْدَكُمْ بَعْضُ الحَقِّ، فَوُصِفَتْ لَهُ الشِّيعَةُ**، وَوُصِفَ لَهُ هِشَامُ بْنُ الحَكَمِ.

فَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَقَالَ لِي هِشَامٌ: بَيْنَمَا أَنَا عَلَى دُكَّانِي عَلَى بَابِ الكَرْخِ جَالِسٌ وَعِنْدِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ عَلَيَّ القُرْآنَ، فَإِذَا أَنَا بِفَوْجِ النَّصَارَى مَعَهُ مَا بَيْنَ القِسِّيسِينَ إِلَى غَيْرِهِمْ نَحْوٌ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ عَلَيْهِمُ السَّوَادُ وَالبَرَانِسُ، وَالجَاثِلِيقُ الأَكْبَرُ فِيهِمْ بُرَيْهَةُ، حَتَّى نَزَلُوا حَوْلَ دُكَّانِي، وَجُعِلَ لِبُرَيْهَةَ كُرْسِيٌّ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَقَامَتِ الأَسَاقِفَةُ وَالرَّهَابِنَةُ عَلَى عِصِيِّهِمْ وَعَلَى رُءُوسِهِمْ بَرَانِسُهُمْ.

فَقَالَ بُرَيْهَةُ: مَا بَقِيَ مِنَ المُسْلِمِينَ أَحَدٌ مِمَّنْ يُذْكَرُ بِالعِلْمِ بِالكَلَامِ إِلَّا وَقَدْ نَاظَرْتُهُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ فَمَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، **وَقَدْ جِئْتُ أُنَاظِرُكَ فِي الإِسْلَامِ**.

قَالَ: فَضَحِكَ هِشَامٌ.

فَقَالَ: يَا بُرَيْهَةُ، **إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مِنِّي آيَاتٍ كَآيَاتِ المَسِيحِ، فَلَيْسَ أَنَا بِالمَسِيحِ وَلَا مِثْلِهِ وَلَا أُدَانِيهِ، ذَاكَ رُوحٌ طَيِّبَةٌ خَمِيصَةٌ(١) مُرْتَفِعَةٌ، آيَاتُهُ ظَاهِرَةٌ، وَعَلَامَاتُهُ قَائِمَةٌ**.

قَالَ بُرَيْهَةُ: فَأَعْجَبَنِي الكَلَامُ وَالوَصْفُ.

قَالَ هِشَامٌ: إِنْ أَرَدْتَ الحِجَاجَ فَهَاهُنَا.

قَالَ بُرَيْهَةُ: نَعَمْ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ مَا نِسْبَةُ نَبِيِّكُمْ هَذَا مِنَ المَسِيحِ نِسْبَةَ الأَبْدَانِ؟

قَالَ هِشَامٌ: ابْنُ عَمِّ جَدِّهِ لِأُمِّهِ، لِأَنَّهُ مِنْ وُلْدِ إِسْحَاقَ وَمُحَمَّدٌ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: وَكَيْفَ تَنْسُبُهُ إِلَى أَبِيهِ؟

---

(١) أي خالية منزّهة من الرذائل النفسية والكدورات المادية.

قَالَ هِشَامٌ: إِنْ أَرَدْتَ نَسَبَهُ عِنْدَكُمْ أَخْبَرْتُكَ، وَإِنْ أَرَدْتَ نَسَبَهُ عِنْدَنَا أَخْبَرْتُكَ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: أُرِيدُ نَسَبَهُ عِنْدَنَا، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ إِذَا نَسَبَهُ نِسْبَتَنَا أَغْلِبُهُ، قُلْتُ: فَانْسُبْهُ بِالنِّسْبَةِ الَّتِي نَنْسُبُهُ بِهَا.

قَالَ هِشَامٌ: نَعَمْ، **تَقُولُونَ إِنَّهُ قَدِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ، فَأَيُّهُمَا الأَبُ وَأَيُّهُمَا الِابْنُ؟**

قَالَ بُرَيْهَةُ: الَّذِي نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ الِابْنُ.

قَالَ هِشَامٌ: الَّذِي نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ الأَبُ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: الِابْنُ رَسُولُ الأَبِ.

قَالَ هِشَامٌ: **إِنَّ الأَبَ أَحْكَمُ مِنَ الِابْنِ، لِأَنَّ الخَلْقَ خَلْقُ الأَبِ.**

قَالَ بُرَيْهَةُ: **إِنَّ الخَلْقَ خَلْقُ الأَبِ وَخَلْقُ الِابْنِ.**

قَالَ هِشَامٌ: **مَا مَنَعَهُمَا أَنْ يَنْزِلَا جَمِيعاً كَمَا خلقَا إِذَا اشْتَرَكَا؟**

قَالَ بُرَيْهَةُ: **كَيْفَ يَشْتَرِكَانِ وَهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ؟ إِنَّمَا يَفْتَرِقَانِ بِالاسْمِ.**

قَالَ هِشَامٌ: إِنَّمَا يَجْتَمِعَانِ بِالاسْمِ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: جُهِلَ هَذَا الكَلَامُ.

قَالَ هِشَامٌ: عُرِفَ هَذَا الكَلَامُ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: إِنَّ الِابْنَ مُتَّصِلٌ بِالأَبِ.

قَالَ هِشَامٌ: إِنَّ الِابْنَ مُنْفَصِلٌ مِنَ الأَبِ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: **هَذَا خِلَافُ مَا يَعْقِلُهُ النَّاسُ.**

قَالَ هِشَامٌ: **إِنْ كَانَ مَا يَعْقِلُهُ النَّاسُ شَاهِداً لَنَا وَعَلَيْنَا فَقَدْ غَلَبْتُكَ، لِأَنَّ الأَبَ كَانَ وَلَمْ يَكُنِ الِابْنُ، فَتَقُولُ هَكَذَا يَا بُرَيْهَةُ؟**

قَالَ **مَا أَقُولُ هَكَذَا.**

قَالَ: فَلِمَ اسْتَشْهَدْتَ قَوْماً لَا تَقْبَلُ شَهَادَتَهُمْ لِنَفْسِكَ؟

قَالَ بُرَيْهَةُ: إِنَّ الأَبَ اسْمٌ وَالِابْنَ اسْمٌ يَقْدِرُ بِهِ القَدِيمُ[1].

قَالَ هِشَامٌ: **الِاسْمَانِ قَدِيمَانِ كَقِدَمِ الأَبِ وَالِابْنِ؟**

قَالَ بُرَيْهَةُ: لَا، وَلَكِنَّ **الأَسْمَاءَ مُحْدَثَةٌ.**

قَالَ: فَقَدْ جَعَلْتَ الأَبَ ابْناً، وَالِابْنَ أَباً، إِنْ كَانَ الِابْنُ أَحْدَثَ هَذِهِ الأَسْمَاءَ دُونَ الأَبِ فَهُوَ الأَبُ، وَإِنْ كَانَ الأَبُ أَحْدَثَ هَذِهِ الأَسْمَاءَ دُونَ الِابْنِ فَهُوَ الأَبُ، وَالِابْنُ أَبٌ، وَلَيْسَ هَاهُنَا ابْنٌ[2].

قَالَ بُرَيْهَةُ: **إِنَّ الِابْنَ اسْمٌ لِلرُّوحِ حِينَ نَزَلَتْ إِلَى الأَرْضِ.**

قَالَ هِشَامٌ: **فَحِينَ لَمْ تَنْزِلْ إِلَى الأَرْضِ فَاسْمُهَا مَا هُوَ؟**

قَالَ بُرَيْهَةُ: فَاسْمُهَا ابْنٌ نَزَلَتْ أَوْ لَمْ تَنْزِلْ.

قَالَ هِشَامٌ: فَقَبْلَ النُّزُولِ **هَذِهِ الرُّوحُ كُلُّهَا وَاحِدَةٌ وَاسْمُهَا اثْنَانِ؟**

قَالَ بُرَيْهَةُ: **هِيَ كُلُّهَا وَاحِدَةٌ رُوحٌ وَاحِدَةٌ.**

قَالَ: قَدْ رَضِيتَ **أَنْ تَجْعَلَ بَعْضَهَا ابْناً وَبَعْضَهَا أَباً؟**

---

(١) كأنّه أراد منه القول المتقدّم في مطاوي الكتاب بأنّ الأقانيم هي صفات.

(٢) فبريهة ذهب إلى أنّهما شيء واحد، والمُحدِثُ للأشياء واحدٌ، فحقَّ أن يكون الابنُ الآب.

قَالَ بُرَيْهَةُ: لَا لِأَنَّ اسْمَ الأَبِ وَاسْمَ الِابْنِ وَاحِدٌ.

قَالَ هِشَامٌ: فَالابْنُ أَبُو الأَبِ؟ وَالأَبُ أَبُو الِابْنِ؟ وَالِابْنُ وَاحِدٌ؟

قَالَتِ الأَسَاقِفَةُ بِلِسَانِهَا لِبُرَيْهَةَ: **مَا مَرَّ بِكَ مِثْلُ ذَا قَطُّ، تَقُومُ؟**

فَتَحَيَّرَ بُرَيْهَةُ وَذَهَبَ لِيَقُومَ، فَتَعَلَّقَ بِهِ هِشَامٌ قَالَ: **مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسْلَامِ أَفِي قَلْبِكَ حَزَازَةٌ؟** فَقُلْهَا، وَإِلَّا سَأَلْتُكَ عَنِ النَّصْرَانِيَّةِ **مَسْأَلَةً وَاحِدَةً تَبِيتُ عَلَيْهَا لَيْلَكَ هَذَا فَتُصْبِحُ وَلَيْسَ لَكَ هِمَّةٌ غَيْرِي.**

قَالَتِ الأَسَاقِفَةُ: لَا تُرِدْ هَذِهِ المَسْأَلَةَ لَعَلَّهَا تُشَكِّكُكَ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: قُلْهَا يَا أَبَا الحَكَمِ.

قَالَ هِشَامٌ: **أَ فَرَأَيْتَكَ الِابْنُ يَعْلَمُ مَا عِنْدَ الأَبِ؟**

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَ فَرَأَيْتَكَ الأَبُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا عِنْدَ الِابْنِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَ فَرَأَيْتَكَ تُخْبِرُ عَنِ الِابْنِ، أَ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ كُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الأَبُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَ فَرَأَيْتَكَ تُخْبِرُ عَنِ الأَبِ، أَ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الِابْنُ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ هِشَامٌ: **فَكَيْفَ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ابْنَ صَاحِبِهِ وَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ؟** وَكَيْفَ يَظْلِمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ؟

قَالَ بُرَيْهَةُ: لَيْسَ مِنْهُمَا ظُلْمٌ.

قَالَ هِشَامٌ: **مِنَ الحَقِّ بَيْنَهُمَا أَنْ يَكُونَ الِابْنُ أَبَ الأَبِ، وَالأَبُ ابْنَ الِابْنِ**، بِتْ عَلَيْهَا يَا بُرَيْهَةُ.

وَ افْتَرَقَ النَّصَارَى وَهُمْ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَا يَكُونُوا رَأَوْا هِشَاماً وَلَا أَصْحَابَهُ.

قَالَ: فَرَجَعَ بُرَيْهَةُ مُغْتَمّاً مُهْتَمّاً حَتَّى صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ الَّتِي تَخْدُمُهُ: مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمّاً مُغْتَمّاً؟

فَحَكَى لَهَا الكَلَامَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هِشَامٍ، فَقَالَتْ لِبُرَيْهَةَ: وَيْحَكَ أَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عَلَى حَقٍّ أَوْ عَلَى بَاطِلٍ؟

فَقَالَ بُرَيْهَةُ: بَلْ عَلَى الحَقِّ.

فَقَالَتْ لَهُ: **أَيْنَمَا وَجَدْتَ الحَقَّ فَمِلْ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَاللَّجَاجَةَ، فَإِنَّ اللَّجَاجَةَ شَكٌّ، وَالشَّكُّ شُؤْمٌ وَأَهْلُهُ فِي النَّارِ.**

قَالَ: فَصَوَّبَ قَوْلَهَا وَعَزَمَ عَلَى الغُدُوِّ عَلَى هِشَامٍ، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا هِشَامُ **أَ لَكَ مَنْ تَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِ وَتَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ** وَتَدِينُ بِطَاعَتِهِ؟

قَالَ هِشَامٌ: نَعَمْ يَا بُرَيْهَةُ.

قَالَ: وَمَا صِفَتُهُ؟

قَالَ هِشَامٌ: فِي نَسَبِهِ أَوْ فِي دِينِهِ؟

قَالَ: فِيهِمَا جَمِيعاً صِفَةِ نَسَبِهِ وَصِفَةِ دِينِهِ.

قَالَ هِشَامٌ: أَمَّا النَّسَبُ خَيْرُ الأَنْسَابِ: **رَأْسُ العَرَبِ وَصَفْوَةُ قُرَيْشٍ وَفَاضِلُ**

بَنِي هَاشِمٍ، كُلُّ مَنْ نَازَعَهُ فِي نَسَبِهِ وَجَدَهُ أَفْضَلَ مِنْهُ، لِأَنَّ قُرَيْشاً أَفْضَلُ العَرَبِ، وَبَنِي هَاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ، وَأَفْضَلُ بَنِي هَاشِمٍ خَاصُّهُمْ وَدَيِّنُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ، وَكَذَلِكَ وُلْدُ السَّيِّدِ أَفْضَلُ مِنْ وُلْدِ غَيْرِهِ، وَهَذَا مِنْ وُلْدِ السَّيِّدِ.

قَالَ: فَصِفْ دِينَهُ.

قَالَ هِشَامٌ: شَرَائِعَهُ أَوْ صِفَةَ بَدَنِهِ وَطَهَارَتِهِ؟

قَالَ: صِفَةَ بَدَنِهِ وَطَهَارَتِهِ.

قَالَ هِشَامٌ: **مَعْصُومٌ فَلَا يَعْصِي، وَسَخِيٌّ فَلَا يَبْخَلُ، شُجَاعٌ فَلَا يَجْبُنُ، وَمَا اسْتُودِعَ مِنَ العِلْمِ فَلَا يَجْهَلُ، حَافِظٌ لِلدِّينِ، قَائِمٌ بِمَا فُرِضَ عَلَيْهِ مِنْ عِتْرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَجَامِعُ عِلْمِ الأَنْبِيَاءِ، يَحْلُمُ عِنْدَ الغَضَبِ، وَيُنْصِفُ عِنْدَ الظُّلْمِ، وَيُعِينُ عِنْدَ الرِّضَا، وَيُنْصِفُ مِنَ الوَلِيِّ وَالعَدُوِّ، وَلَا يَسْأَلُ شَطَطاً فِي عَدُوِّهِ**، وَلَا يَمْنَعُ إِفَادَةَ وَلِيِّهِ، يَعْمَلُ بِالكِتَابِ، وَيُحَدِّثُ بِالأُعْجُوبَاتِ، مِنْ أَهْلِ الطَّهَارَاتِ، يَحْكِي قَوْلَ الأَئِمَّةِ الأَصْفِيَاءِ، لَمْ تُنْقَضْ لَهُ حَجَّةٌ، وَلَمْ يَجْهَلْ مَسْأَلَةً، يُفْتِي فِي كُلِّ سُنَّةٍ، وَيَجْلُو كُلَّ مُدْلَهِمَّةٍ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: **وَصَفْتَ المَسِيحَ فِي صِفَاتِهِ وَأَثْبَتَّهُ بِحُجَجِهِ وَآيَاتِهِ، إِلَّا أَنَّ الشَّخْصَ بَائِنٌ عَنْ شَخْصِهِ، وَالوَصْفَ قَائِمٌ بِوَصْفِهِ، فَإِنْ يَصْدُقِ الوَصْفُ نُؤْمِنْ بِالشَّخْصِ**.

قَالَ هِشَامٌ: إِنْ تُؤْمِنْ تَرْشُدْ، وَإِنْ تَتَّبِعِ الحَقَّ لَا تُؤَنَّبْ.

ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ: يَا بُرَيْهَةُ، مَا مِنْ حُجَّةٍ أَقَامَهَا اللهُ عَلَى أَوَّلِ خَلْقِهِ إِلَّا أَقَامَهَا عَلَى وَسَطِ خَلْقِهِ وَآخِرِ خَلْقِهِ، فَلَا تَبْطُلُ الحُجَجُ وَلَا تَذْهَبُ المِلَلُ وَلَا تَذْهَبُ السُّنَنُ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: مَا أَشْبَهَ هَذَا بِالحَقِّ وَأَقْرَبَهُ مِنَ الصِّدْقِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الحُكَمَاءِ

يُقِيمُونَ مِنَ الحُجَّةِ مَا يَنْفُونَ بِهِ الشُّبْهَةَ.

قَالَ هِشَامٌ: نَعَمْ.

فَارْتَحَلَا حَتَّى أَتَيَا المَدِينَةَ وَالمَرْأَةُ مَعَهُمَا وَهُمَا يُرِيدَانِ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام فَلَقِيَا مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام فَحَكَى لَهُ هِشَامٌ الحِكَايَةَ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَر عليه السلام: يَا بُرَيْهَةُ كَيْفَ عِلْمُكَ بِكِتَابِكَ؟

قَالَ: أَنَا بِهِ عَالِمٌ.

قَالَ: كَيْفَ ثِقَتُكَ بِتَأْوِيلِهِ؟

قَالَ: مَا أَوْثَقَنِي بِعِلْمِي فِيهِ.

قَالَ: فَابْتَدَأَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام بِقِرَاءَةِ الإِنْجِيلِ.

قَالَ بُرَيْهَةُ: وَالمَسِيحُ **لَقَدْ كَانَ يَقْرَأُ هَكَذَا، وَمَا قَرَأَ هَذِهِ القِرَاءَةَ إِلَّا المَسِيحُ**، ثُمَّ قَالَ بُرَيْهَةُ: **إِيَّاكَ كُنْتُ أَطْلُبُ مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ مِثْلَكَ.**

قَالَ: **فَآمَنَ وَحَسُنَ إِيمَانُهُ**، وَآمَنَتِ المَرْأَةُ وَحَسُنَ إِيمَانُهَا.

قَالَ: فَدَخَلَ هِشَامٌ وَبُرَيْهَةُ وَالمَرْأَةُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام وَحَكَى هِشَامٌ الحِكَايَةَ وَالكَلَامَ الَّذِي جَرَى بَيْنَ مُوسَى عليه السلام وَبُرَيْهَةَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فَقَالَ بُرَيْهَةُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَنَّى لَكُمُ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَكُتُبُ الأَنْبِيَاءِ؟

قَالَ: **هِيَ عِنْدَنَا وِرَاثَةً مِنْ عِنْدِهِمْ نَقْرَؤُهَا كَمَا قَرَءُوهَا** وَنَقُولُهَا كَمَا قَالُوهَا، **إِنَّ الله لَا يَجْعَلُ حُجَّةً فِي أَرْضِهِ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي.**

فَلَزِمَ بُرَيْهَةُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام حَتَّى مَاتَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام، ثُمَّ لَزِمَ مُوسَى بْنَ

جَعْفَرٍ عليه السلام حَتَّى مَاتَ فِي زَمَانِهِ فَغَسَّلَهُ بِيَدِهِ وَكَفَّنَهُ بِيَدِهِ وَلَحَدَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ: هَذَا حَوَارِيٌّ مِنْ حَوَارِيِّي المَسِيحِ يَعْرِفُ حَقَّ الله عَلَيْهِ، قَالَ: فَتَمَنَّى أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ(١).

مناظَرَةٌ بديعةٌ، ومن الظريف فيها أسلوب هشام بن الحكم **حين استنطق بريهة فأقرَّه على حجيَة العقل**، حينما احتج على كلام هشام بكونه (خلاف ما يعقله الناس)، فأثبتَ بهذا ومن حيث لا يشعر حجيّة العقل.

ثم حاجَّهُ هشامُ مُبَيِّناً فساد قوله، إذ **لو كان الخلقُ خلقَ الأب كان الأبُ أحكمَ من الابن** وثبت التفاوت.

ولو كان الخلقُ خلقهما، فَلِمَ افترقا بنزول أحدهما إلى الأرض دون الآخر؟

فهل هما اثنان يشتركان بالاسم؟ أم واحدٌ له اسمان؟

ولّما كانت الأسماءُ محدَثة، فإن اسمي (الآب والابن) محدَثان، فمن هو المُحدِثُ لهما: **إن أحدثهما الأب ثبت تفوُّقه على الابن**، وإن كان الابن أحدثهما، **فهو أحقُّ وأليَقُ بأن يُقال أنه الآب، أو أن يقال عنهما الآب.**

ولّما عجز بريهةُ عن إيجاد وجهٍ في إطلاق الآب على الآب، والابن على الإبن، دون أن يستلزم ذلك تفوّق الآب على الابن، ألزمه هشام بلازم كلامه، من كون الابن أباً والاب ابناً، فيلزم كون كلّ منهما أباً للآخر وابناً له، ويؤول إلى **اجتماع المتناقضين.**

ولّما كانا متساويين وقد صار الأب أباً دون فرقٍ، صار ظالماً للابن، وصار

(١) التوحيد للصدوق ص٢٧٠-٢٧٥.

الابنُ ظالماً للاب اذ صار ابناً له دون أن يكون أباً له.

كلّ هذا الاستدلال **يُلَخَّصُ في جملتين:**

١. **إما أن يكون الأب متفوِّقاً عن الابن، فيلزم كونه الإله الواحد دون الابن.**

٢. **وإما أن يكونا متساويين، فلم صار الأول أباً والثاني ابناً؟ هذا خلافُ العدل وخلاف التساوي.**

وعلى التقديرين يثبت بطلان التثليث، لأنه على التقدير الأول الإله واحدٌ وعيسى عليه السلام دونه، وعلى التقدير الثاني يلزم بطلان هذا التوحيد لجَمعه بين المتناقضين، ومخالفته للحكمة والعدل.

ويتأكّد إشكال هشام ويتعزَّز بكلام علماء النصارى، حيث صرّحوا أنه لولا الآب لما وُجِدَ الابن، دون العكس، وأنّ **الآب علَّةُ وجود الابن**، وفي هذا دليلٌ قاطعٌ على ترجيح القول الأول بتفوّق الآب على الابن وبطلان الثالوث، وإن حاولوا الجمع بين القولين المتناقضين!

نستذكر هنا قول القديس الدمشقيِّ المتقدّم في الفصل الثالث حين قال: **المسجود لهم ثلاثة: الآب آبٌ واحدٌ، وهو لا مبدأ له أي لا علّة له، لأنّه ليس من أحد. والابن ابنٌ واحدٌ وهو ليس بلا مبدأ أي بلا علة، وهو من الآب**.. الابن لا بدء له، لأنه صانع الأزمان وهو ليس تحت الزمان.. واعلم أننا **لا نقول بأن الآب من أحد، بل نقول انه أبو ابنه، ولا نقول إن الإبن علّةٌ أو آبٌ، بل نقول إنه من الآب وإنه ابن الآب.** ونقول أيضاً إن الروح القدس من الآب ونُسَمِّيه روحَ

الآب[1].

عَثَرَ الدمشقيُّ كبُرَيهة وسائر علماء النصارى، لكنّ بريهة أنصف نفسه وأنزل عقله عن الصليب، لكن الآخرين جعلوا أحدهما علّة الآخر ثم قالوا بأنهما متساويين، والحال أن **المعلوَل محتاجٌ إلى علّته مفتقرٌ إليها**، والعلّة غنيّةٌ عن المعلول متفضِّلةٌ عليه.

ولما رأى بريهةُ كبير الأساقفة التناقض، وثبت عنده حجيّة العقل وبطلان ما يعارضه، مال مع الدليل على يد تلميذ العترة الطاهرة، حَمَلَةِ إرث الأنبياء عليهم السلام.

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٧٢.

عودٌ على بدء: ثمرة الكتاب

شَعْبٌ لاَ يَعْقِلُ يُصْرَعُ[1]: عبارةٌ من الكتاب المقدّس، بها كان بدء الكلام وبها ختامه.

لقد أورث الاعتمادُ على العقل في باب التوحيد **رَفضَاً للقول بتعدُّد الآلهة**، اشتركَ في ذلك المسلمون والنصارى، فقال الشماس الإكليريكي د. سامح حلمي: **العقل يرفض وجود أكثر من إلهٍ.. يمكننا منطقياً وعقلياً رفض القول بوجود أكثر من إلهٍ واحد**[2].

وقد ثبت بحكم العقل أيضاً **توحيد الله لا في العدد ولا في الجنس والنوع، بل بتنزيهه عن مشابهة خلقه وعن الانقسام والضعف والجهل** وما سواها.

لكنّ **عقيدة النصارى لم تقل بتوحيد العدد، بل قالت بتثليث العدد**، فخالفت البديهيات والمُسَلّمات، ودخلت في **المحظورات العقلية**.

لذا وجدنا أن **العقل يرفض وجود أقانيم أو أشخاصٍ أو تعيُّناتٍ في الذات الإلهية**، ولذا **يمكننا منطقياً وعقلياً رفض القول بالثالوث**.

فبعدما ثبت أن للعقل دوره المحوريّ، وفرضنا أنه قد جاءنا إعلان سماويٌّ بأن هناك أكثر من إله، أو بأنّه إلهٌ واحدٌ له ثلاثة أقانيم، لم يخل الأمر من أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن يكون هذا **الإعلان غيرَ قطعيٍّ**، فلا يعارِضُ الدليلَ

---

(١) هوشع ٤: ١٤.

(٢) إيماننا المسيحي صادق وأكيد ص٤٢.

القطعيَّ العقليّ، فيسقط الإعلان السماوي، ولذا لو جاءنا كتابٌ يُحتمل كونه من عند الله يتضمن إعلاناً بأن هناك إلهان، لعلمنا بأنه ليس من عند الله.

الاحتمال الثاني: أن **نقطع بصحة هذا الإعلان**، فحينها لا بدّ من **تأويله لأنّه يتعارض مع دليلٍ عقليٍّ قطعيّ**.

ودليلنا العقليُّ القطعيُّ الذي دلّنا على لزوم وجود إلهٍ واحد، دلّنا بنفسه على لزوم أن لا يكون لهذا الإله (أقانيم) أو (أشخاص) أو (تعيّنات) متعددة.

فالنصارى بين خيارين:

أوّلهما: أن يكون الكتاب المقدّس:

أ. **ظنيَّ الصدور والدلالة على الثالوث.**

ب. أو ظنيّ الصدور.

ت. أو ظنيّ الدلالة على الثالوث.

وفي هذه الصور الثلاث **لا يعارِضُ الكتابُ المقدّس حكمَ العقل القطعيّ من لزوم القول بالوحدانية المطلقة**، فتسقط عقيدة الثالوث.

ثانيهما: أن يكون الكتابُ المقدّس قطعيَّ الصدور، **وقطعي الدلالة على الثالوث**، ويتفرّع عنها صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون تأويل هذه الدلالة ممكناً، برفع اليد عن دلالتها الحقيقية وحملها على معنىً مجازيّ، كما بيّنا ذلك في كتاب (الثالوث والكتب السماوية) وأقمنا الشواهد على لزوم ذلك، على فرض التسليم بقطعية الدلالة، وهو أوّل الكلام.

والوجه في ذلك أن **القطع بالشيء ونقيضه غير ممكن**، فينكشف بالقرينة العقلية الدالة على التوحيد المطلق أن ما كان قطعيّ الدلالة بَدواً ليس كذلك حقيقةً لامتناع التعارض بين القطعيّين.

الصورة الثانية: أن يكون التأويلُ غير ممكن، فيقع التعارض بين حكم العقل وبين الكتاب المقدّس، فيما من شأن العقل الحكم فيه، والأولويةُ لِحُكمِ العقل القطعيّ، لأنّه يلزم من إسقاطه إسقاط كلِّ حجّةٍ وبرهانٍ عقليّين، ولا يمتاز حينها الإنسان عن سائر المخلوقات غير المُدرِكة، بل يصير أسوأ منها.

وبهذا يسقط الكتاب المقدس والثالوث معاً، ويكشف ذلك عن عدم كونه قطعياً من الأساس، أو على عدم كون دلالته قطعية.

ولئن لمس القارئ الكريم في طيّات الكتاب **نوعاً من توبيخٍ لعقيدةٍ باطلة**، فإنما كان ذلك عملاً بما أرشد إليه الكتاب المقدّس من أنّ طريق الحكمة أحياناً يكون بالعصا والتوبيخ حين قال: **اَلْعَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً، وَالصَّبِيُّ الْمُطْلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ**[1].

ومع أن القارئ غير المسيحي قد يجد بعض ما نقلنا من معتقداتٍ طُرفةً لا تستحق عناء الوقوف عندها، أو في بعض شواهدها ما يثير الضحك أو التعجُّب**!** فإنّا قد تعاملنا معها بجدية تامّة لأنّ هناك شريحةً كبيرة تؤمن بهذا المعتقد وتُقَدِّمُ عليه الأدلة والبراهين.

ونحن وإن كنّا نرى الحقّ المطلق في التوحيد المطلق لله تعالى، إلا أنّ مقتضى

---

(١) الأمثال٢٩: ١٥.

الحوار بالتي هي أحسن أن ننطلق من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] كما فعلنا، لنُثبِتَ بعد ذلك أن الهُدى في التوحيد المطلق، وأنّ ما سواه ضلالٌ مبين.

وبما أن الثالوث هو أهم عقيدةٍ نصرانية، تبتني عليها الديانة كلّها، وبما أنهم يرونها عقيدةً سماويةً وإن كانت غير قابلة للإدراك، ولاختلاف كلمات علماء النصارى في بيانها، فقد استرسلنا في نقل كلماتهم وفي توضيحها وبيان أدلتهم عليها، وأجبنا بإجاباتٍ مختلفة من حيث الصيغة والأسلوب، وإن تشابهت في المضمون لزيادة الإيضاح وإتمام الحجة.

فإن قيل بعد كلّ هذا: **إنكم تثيرون الفتنة وتفتحون أبواباً مغلقةً بين الأديان لا تُعرَفُ عواقبها.**

قلنا: لنا في الجواب على هذا الكلام وجوه:

الوجه الأول: أنه **ما عرضناه هو بحثٌ علميٌّ محض**، نناقش فيه بالعقل والمنطق مسائل عقائدية بكلّ هدوءٍ ورويّة، سالكين **منهج العقلاء** في عرض الأدلة ومناقشتها للوصول إلى الحق.

ومن لا يرتضي هذا البحث **كمن يحجُرُ على الفكر والمنطق والعقل**، فيخالف بذلك العقل نفسه والكتب السماوية كلّها، وليس ديننا دين الظلم، وقد أوصى نبينا محمد بن عبد الله ﷺ وصيّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

(١) سبأ ٢٤.

وَائْتِنِي مَظْلُوماً، وَلَا تَأْتِنِي ظَالِماً[١].

الوجه الثاني: لو صدرت منّا إساءةٌ غير مقصودة، إو فهم بعض الناس بيانَ الحقّ على أنّه إساءة، فإنّا نعتمد على أن يقابلنا هؤلاء إن كانوا نصارى **بالهدوء والمحبة**، حتّى لو كان فِعلُنَا شرّاً برأيهم، فإنهم قد نسبوا لعيسى عليه السلام قوله: لا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً[٢].

بل نسبوا له أنّه قال: **أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ**، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، **وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ**[٣].

وقد روي عنه عليه السلام قوله: أَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، وَاعْفُوا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ، وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْكُمْ[٤].

فإنّ غَرَضَنا هو البحث عن الحقّ فقط، **وإن فُهِمَ كلامُنا أنّه عداوةٌ نلنا محبّة النصارى**، وإن فُهِمَ أنّه بغضٌ نلنا إحسانهم، وإن فُهِمَ أنّه إساءةٌ ربحنا صلاة

---

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام ص٦١٠، هذا وفي بلدتنا أنصار بيوتات من النصارى من أسرة (الحداد) يعيشون فيها منذ ما يزيد عن قرنين من الزمن، دون أن يتعرّض لهم أحدٌ أو يظلمهم، وهكذا في سائر قرى جبل عامل. ولهم مقبرة خاصة كانت في طرف البلدة ولا تزال إلى يومنا هذا، حتى أنّ أهل القرية قد تكفّلوا دفن أحد الأموات منهم فيها لعدم وجود من يقوم بذلك من النصارى أثناء الحرب الأهلية، وكان صوت القرآن الكريم يصدح في البلدة كما هو الحال عند دفن المسلمين، ولاقى هذا ثناء الخوريّ الذي حضر عند الدفن، ولعلّهم قاموا بذلك بناء على الرأي الفقهي القائل بجواز غسل وتكفين ودفن المسلم لهم ذاتاً لا تشريعاً.

(٢) متى٥: ٣٩.

(٣) لوقا٦: ٢٧-٢٨.

(٤) تحف العقول ص٥٠٣.

النصارى لأجلنا، وقد قال القديس يوحنا ذهبي الفم: عندما نُهانُ ويُبصَقُ علينا، عندما نتعرّضُ لكلِّ مذلّة، عندما نُحتَقَرُ ويُزدرى بنا، **لنحتمل كل هذا ونكون سعداء**[١].

الوجه الثالث: أنّ صاحب الفتنة هو من يرمي الموحدين لله بالوثنية! فقد عدَّ بعضُ قساوسة النصارى جحودَ كلمة الله وروحه بمعنى إنكار الثالوث كالوثنيّة في الرداءة!

يقول الأسقف بولس البوشي: لا نكونُ مع قولنا نعبُد ثلاثةَ آلهة، لئلا نكون **كالوثنيين** الذين يقولون بكثرة الآلهة. ولا نكون أيضاً **كمثل الجاحدين كلمةَ الله وروحه. لأن الرداءة في هاتين المقالتين متساوية**، وإن كان قولهما مختلفاً[٢].

فهو يرى أنّ الله تعالى كان قد أَمَرَ نبيَّه موسى عليه السلام بأن ينشر ما يساوي الوثنيّة في الرداءة! لأنّه لم يأت بالتثليث، ولمّا كان موسى رسولاً أي مكلّفاً بهداية كل الناس كان دوره هداية البشرية قاطبةً إلى مقالة تساوي الوثنية!

وللقدّيس الشهير الذي يفتخر به النصارى يوحنا ذهبيّ الفمّ كلامٌ شديدٌ في من خالف عقيدتهم، وقال باختلاف الجوهر الإلهيّ، يحكم فيه على مخالفيه بالهلاك والكفر فيقول: هيا، لنَدخل الميدان ثانيةً من أجل **منازلة الزنادقة** القائلين باختلافٍ في الجوهر. وإذا ما كانوا يغتاظون لدى سماع مناداتهم بالزنادقة، **فليغيّروا مسلكهم أبدّل أنا من لهجتي، وليُحجِموا عن أفكارهم الكافرة أحجم**

(١) مساوٍ للآب في الجوهر ص٥٧.

(٢) مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية ص١٧٠.

أنا عن تسمية التقريع هذه. ولكن، إذا لم **يأووا إلى جحورهم**، بينما هم يحقِّرون الإيمان بأعمالهم، فيمتلئون هم أنفسهم خجلاً، **لماذا يحنِقون علينا نحن الذين نقرِّعُهم بأقوالنا** على ما يُبدون هم بأعمالهم؟[1].

فلماذا يعطي النصارى ومنهم القديس يوحنا الحقّ لأنفسهم في تقريع من خالفهم ورميه بالكفر، بينما يستنكرون وصف القرآن الكريم لهم بالكفر؟!

لقد وقع علماء النصارى المتقدمون منهم والمتأخرون في مشكلتين:

المشكلة الأولى: أنّ النار اشتعلت في بيتهم فلم يطفؤوها حتى امتدّت الى سائر البيوت، وقد حذّر عيسى عليه السلام من ذلك، فقد روينا عنه قوله: بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الْحَرِيقَ لَيَقَعُ فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ **فَلَا يَزَالُ يَنْتَقِلُ مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ حَتَّى تَحْتَرِقَ بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ، إِلَّا أَنْ يُسْتَدْرَكَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَيُهْدَمَ مِنْ قَوَاعِدِهِ**، فَلَا تَجِدَ فِيهِ النَّارُ مَعْمَلًا، وَكَذَلِكَ **الظَّالِمُ الْأَوَّلُ لَوْ يُؤْخَذُ عَلَى يَدَيْهِ لَمْ يُوجَدْ مِنْ بَعْدِهِ إِمَامٌ ظَالِمٌ** فَيَأْتَمُّونَ بِهِ، كَمَا لَوْ لَمْ تَجِدِ النَّارُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ خَشَباً وَأَلْوَاحاً لَمْ تُحْرِقْ شَيْئاً.

بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ نَظَرَ إِلَى الْحَيَّةِ تَؤُمُّ أَخَاهُ لِتَلْدَغَهُ وَلَمْ يُحَذِّرْهُ حَتَّى قَتَلَتْهُ فَلَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ شَرِكَ فِي دَمِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ نَظَرَ إِلَى أَخِيهِ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ وَلَمْ يُحَذِّرْهُ عَاقِبَتَهَا حَتَّى أَحَاطَتْ بِهِ فَلَا يَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ شَرِكَ فِي إِثْمِه[2].

فلو أن الأوائل منهم قد أطفؤوا حريق الثالوث لَأَمِنَ جميع النصارى من نارِ الشرك بالله تعالى، ولَسَلِمَ لهم دين الله تعالى الذي أتى به عيسى عليه السلام: هذه

(١) كتاب: في ان الله لا يمكن ادراكه ص٧٣.

(٢) تحف العقول ص٥٠٤.

كانت مسؤولية المتقدمين منهم.

المشكلة الثانية: أن **المتأخرين منهم شَمَخُوا ولم يتواضعوا فشُجَّ رأسهم** بعدما تَلَفت الحكمة في سهلٍ لم يحتضنها، كما قال عيسى عليه السلام: بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الزَّرْعَ يَنْبُتُ فِي السَّهْلِ وَلَا يَنْبُتُ فِي الصَّفَا، وَكَذَلِكَ **الْحِكْمَةُ تَعْمُرُ فِي قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ** وَلَا تَعْمُرُ فِي قَلْبِ الْمُتَكَبِّرِ الْجَبَّارِ، أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ **مَنْ شَمَخَ بِرَأْسِهِ إِلَى السَّقْفِ شَجَّه**[1].

إن قيل: عليكم أن تنظروا أيها المسلمون إلى الآخرين بعينهم لا بعينكم لتروا أنهم موحّدون برأيهم، وحينها لا يصحّ وصفهم بالكُفر، وهي دعوةٌ تتعالى في أيامنا هذه على المنابر وفي المنشورات.

قلنا: لو كان هذا هو المنهج القويم لَلَزِمَ على القدّيس يوحنا ذهبي الفم وسائر علمائهم إذاً أن **ينظروا لهؤلاء الذين يقولون باختلاف جوهر الله تعالى عن جوهر عيسى** عليه السلام **على أنهم مؤمنون لا كفار وزنادقة**، لأنّهم يصرحون بأنهم على التوحيد الحق، فلم لم ينظر ذهبيّ الفم لهم بعينهم هم لا بعينه؟

ولهذا القول لازمٌ باطلٌ لا يمكن الالتزام به، حيث أنّ مَن عَبَدَ سوى الله واتّخذه ولياً إنما قال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى﴾[2]، ولازم هذا القول هو الحكم بإيمان هؤلاء الكفار الذين يعبدون غير الله تعالى، ولا قائل به.

وليس هذا المنهج في التقريع مقتَصِراً على الاسقف البوشي والقدّيس ذهبيّ

---

(١) تحف العقول ص٥٠٤.

(٢) الزمر٣.

الفم، فهما من نماذج المتقدمين، ومن نماذج المتأخرين ما ذكره القسّ بسام مدني بقوله: إن **الهالكين هم** الذين لا يرون ولا يؤمنون بأن يسوع هو الله المتجسد[١].

ما اكتفوا بذلك، بل استهزؤوا بنبيِّنا وقد أكرَمْنَا نبيَّ الله عيسى عليه السلام، **لأنّنا لا نُفَرِّقُ** بين رسل الله كما يفعلون، ومن كلمات كبار علمائهم في ذلك، قول القديس يوحنا الدمشقيّ: قام في ما بينَهُم نبيٌّ منتحل (النبوة) اسمه **محمد!** والذي قد أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرَّف بالصدفة على العهدين القديم والجديد، وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب آريوسي. وبعد أن أحرز لنفسه حظوةً لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى كان يلمِّحُ بأن كتاباً آتياً من السماء قد أوحي به إليه من الله. وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه نقل إليهم هذه الطريقة في عبادة **الله!**[٢].

فهو قد نسب للنبي صلى الله عليه وآله أنّه منتحل النبوة، وحاشاه صلى الله عليه وآله، وزعم أنّ دعوته هرطقة، وأنّه أخذها من بعض النصارى، وزعم أنّه متظاهرٌ بالتقوى، وسَخِرَ من معتقدات المسلمين التي ذكرها القرآن، وفي كلّ هذا لم يرُفَّ له جفنٌ.

فأيُّ سخريةٍ قد يلومنا عليها النصارى؟! وأيُّ فتنةٍ يحذّروننا منها؟! إنّ جلّ ما عرضناه هو حوارٌ ونقاشٌ وفق أسس العقل والمنطق.

لا يكتفي القدّيس الدمشقيُّ بهذا، بل يزعم أن كلَّ من لا يعترف بعقيدة الثالوث هو مسيحٌ دجّال! يقول: إنه **لمسيحٌ دجّالٌ كل من لا يعترف أنّ ابن الله قد**

(١) المسيح في الوحي الإلهي ص٧٣.

(٢) الهرطقة المئة ص٤٩-٥٠.

أتى بالجسد، وأنّه إلهٌ كاملٌ، وأنّه قد صار إنساناً كاملاً بعد أن كان إلهاً[١].

فهل التزم هؤلاء العلماء بتعاليم الكتاب المقدس السالفة؟ وكيف كان تعاملهم حتى مع أبناء جلدتهم إن اختلفوا معهم في عقيدتهم؟

من نماذج أسلوبهم موقفُهم من آريوس المنكر للثالوث، وهو من لم ينكر توحيد الله تعالى، يقول القديس الكبير أثناسيوس الرسولي: الهرطقة الأخيرة التي ظهرت الآن.. التي تسمى الآريوسية.. **باطلةٌ وخبيثةٌ وماكرة**.. ليس فيها شيء من الصواب[٢].. صار ضرورياً أن أفتِّتَ قوّة درع هذه **الهرطقة الدَّنِسَة، وأن أكشف عن نَتَانَةِ حماقَتِها، وعَفَنِ وقاحتها**، لكي يتجنّبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة[٣].

انظر أيها المنصفُ الى أوصاف كِبار القدّيسين للعقائد المخالفة لهم، وتشنيعهم علينا عند وصفنا لهم بالكفر!

إن القدّيس أثناسيوس قد وصف من ذهب إلى عقيدة آريوس من المسيحيين **بأنهم مجانين الأريوسية**[٤]، ولما كان آريوس قد أنكر أزلية عيسى عليه السلام وألوهيّته الحقيقية وعَدَّهُ مخلوقاً من المخلوقات، عبّر أثانسيوس عن أقواله بأنها:

---

(١) المئة مقالة في الايمان الارثوذكسي ص٢٧٣.

(٢) الشهادة لألوهية المسيح ص١١.

(٣) الشهادة لألوهية المسيح ص١٢.

(٤) الشهادة لألوهية المسيح ص١٥.

مليئةٌ بكل أنواع الإلحاد والكفر![١]، ووصف قوله بالنجاسة والنتانة!

أمّا القدّيس كيرلّس فإنّه يصف بعض من يختلف معه حول طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية بأنهم: **مختلّين في عقولهم**[٢].

وفيما تحصر البابوية الكاثوليكية الخلاص بأتباعها: تقول روما: **لا خلاص خارج الكنيسة الرومانية**، قال البابا بونيفاس الثامن، في خطابه البابوي يوم ١٨ تشرين الثاني عام ١٣٠٢: نحن نصرح ونقول ونعزم ونؤكد أنه **من الضروري لكلّ مخلوقٍ أن يخضع للسلطة البابوية لينال الخلاص**[٣].

يذمّ أتباعها سائر المذاهب، ففي مقدمة الكتاب المقدس للدار الكاثوليكية المصرية: لا يخفى أن **جماعة المبتدعين من الشيعة البروتسطانية منذ دخلوا البلاد السورية.. لفّقوا في الدين كتباً شتى**.. ثم انهم لم يكتفوا بذلك حتى مدّوا أيديهم الى الاسفار الالهيّة بالتحريف والحذف، وترجموها الى اللسان العربي.. وزيّنوها في عيون الناس[٤].

فيما يرى مخالفو الكاثوليك عبادة الكاثوليكي عبادة أوثان، يقول صموئيل بندكت: قال الله: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً.. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن".. هناك كثيرٌ من التماثيل والصور التي تمثّل يسوع ومريم والقدّيسين في الكنيسة الكاثوليكية، والشعب يقبل هذه التماثيل والصور ويركع لها ويصلّي أمامها..

---

(١) الشهادة لألوهية المسيح ص٢٥.

(٢) رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الانطاكي ص٣٧.

(٣) صموئيل بندكت في العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس ص٣٩.

(٤) الكتاب المقدس: العهد العتيق: الدار الكاثوليكية المصرية ١٩٣٧ ص٥.

تقول الكنيسة الكاثوليكية بأنها لا تعبد التماثيل والصلبان والصور، إلخ، ولكنها تعبد الربّ الذي يمثله الصليب. وهي باستعمالها لهذه الرموز إنما ترفع من قيمة القدّيسين وتزيدهم شرفاً. قد غاب عنها أن **هذا العذر قد استعمله الوثنيون** قبل عام ٧٨٨، وقالوا أنّهم لا يعبدون الأصنام الحجرية أو المعدنية، ولكنهم يعبدون الشخص الذي تمثّله هذه الأصنام. ولكن **مهما تكن التعليلات النظرية من هذا النوع، هي بنظر الله، وبمفهوم ممارسة الناس لها، عبادة أوثان**(١).

وهكذا تتبادل الفرق الاتهام بالبِدَعِ وعبادة الأوثان، ويصف بعضها تقديم البخور والصلوات للقديسين، ومسألة الصلبان والأيقونات في الكنيسة الأرثوذوكسية بأنها: **عبادة أصنام**(٢).

والخلاصة، أنّ من حاجّنا في ما ذكرنا في كتابنا، **تَمثّلنا في جوابه بكلام الكتاب المقدّس**: وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، **وَأَمَّا الخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟**(٣).

نحنُ أهل الدعوة للحق بالتي هي أحسن، نمتثل قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ

(١) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس ص٣٣.

(٢) د. حنين عبد المسيح: شماس وواعظ سابق بالكنيسة الأرثوذوكسية، في كتابه: بدعة تأليه مريم وعبادتها في الكنيسة الارثوذكسية ص٣٤.

(٣) متى٧: ٣.

(٤) النحل١٢٥.

ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١].

في كتابنا هذا: دعوةٌ لعبادة الله الواحد الأحد، خالق موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء عليهم السلام، وجدالٌ بالتي هي أحسن فيه: **قَطْع عُذْرِ الْكَافِرِينَ وَإِزَالَة شُبَهِهِم**[٢].

وهذه دعوة القرآن لا تزالُ ماثلةً بين أيدي القوم، فإن رأوا الحقّ فيما هم عليه، كانت ساحة الحجّة والبرهان في انتظارهم، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ **قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا** إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[٤].

ومسكُ الختام:

كلام أئمة الخلق عليهم السلام، ليرى المنصف أيُّها أحقُّ أن يُتّبع، من ضحى بالعقل على مذبح الصليب! أم من رفع العقل فعدَّهُ زينةً من الله لعباده؟!

عن صادق آل محمدٍ، أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: **إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ وَمَبْدَأَهَا**

---

(١) العنكبوت٤٦.

(٢) كما عن الإمام الصادق عليه السلام في الإحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي) ج١ ص٢٢.

(٣) البقرة١١١.

(٤) الأنعام١٤٨.

وَقُوَّتَهَا وَعِمَارَتَهَا الَّتِي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ الله زِينَةً لِخَلْقِهِ ونُوراً لَهُمْ، فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ وَأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمُ الْمُدَبَّرُونَ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَهُمُ الْفَانُونَ[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد مصطفى مصري العاملي

٢٤ رجب ١٤٤١ للهجرة، الموافق ١٩-٣-٢٠٢٠ للميلاد.

(١) الكافي ج١ ص٢٩.

كتبٌ للمؤلف

كُتُبٌ للمؤلف من سلسلة (العلم والإيمان):

١. عرفانُ آل محمد عليهم السلام.
٢. الإلحاد في مَهَبِّ الريح.
٣. قبساتُ الهدى: وقفاتٌ مع فِكر الدكتور شريعتي.
٤. تنزيهُ التَشَيُّع من خِرقَةِ التَصَوُّف.
٥. الثالوث والكُتُبُ السماويّة.
٦. الثالوث صليبُ العقل.

وأبحاثٌ أخرى قيد الإعداد.

الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

العَقْلُ يَحْفَظُكَ، وَالفَهْمُ يَنْصُرُكَ

حكمةٌ سُليمانيَّةٌ من العهد القديم

في هذا الكتاب

هل يُرشِدُ العقلُ إلى الثالوث؟!

وإن لم يُرشد:

هل يقبلُ العقلُ الثالوثَ؟!

وإن لم يقبل:

هل لنا أن نعتقد به؟!

أم نَصيرُ ممن لا يعقِل فيُصرع؟!